ومضات روحية
في حياة الرسول

دراسة منهجية مقترنة بعلم الروح الحديث
"البارسيكولوجي"
رداً على إساءات الضالين والمأجورين للرسول ﷺ

إعـــداد
محمد السادات



شارع جيهان ـ أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦
Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: ومضات روحية فى حياة الرسول ﷺ

إعـــــداد: محمد السادات

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى 2011



مقدمة

لقد انتقل الرسول الأمين محمد ﷺ، تاركا البشر مشدوهين من جلائل أعماله الروحية الباهرة، وسمو رسالته، متيمين بالبحث في سيرته العطرة، وكان ولا يزال وسيظل القرآن الكريم أعظم البراهين والأدلة على مدى صحة رسالته، وعظمة الإسلام وهيمنته على سائر الرسالات والعقائد بما ينفرد به من دلائل على هذه العظمة، تزداد رسوخا وتلألؤًا، كلما مرت السنوات وازدادت وطأة الحياة المادية وتعقيدات المدنية على الناس، وبدأ البعض منهم الذين وسوس الوسواس الخناس في صدورهم بالنسيان أو التشكيك في كل ما يتعلق بأمور الروح دون إعمال لعقولهم.

والحق أن رسالات الأنبياء جميعهم عليهم السلام كانت تدعو الناس إلى التفكير، إلا أن القرآن العظيم انفرد عنها بالتركيز الشديد المتكرر في هذا الخصوص واعتبره أساسا لسلامة وصحة الاعتقاد:

قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾} [الروم: ٨].

قال تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾} [البقرة: ١٦٤].

قال تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

ولو أعمل الإنسان عقله في سكينة وهدوء وفكر ملياً لوجد أن كل شيء في هذا الكون من شموس وأقطار وسماوات وأرضين ونبات وحيوان.. إلخ، وحتى هو نفسه يسير على هدي قوانين ومعادلات وضعها الخالق العظيم ولأدرك تماما أنه لا يوجد مخلوق في هذا الوجود له قانون خاص أو معادلة وحيدة أو كان خرقاً لناموس الكون.

لذا يتطلب منا الأمر مع التفكير عند البحث في نقطة ماء أو في جانب من جوانب التحليل والمقارنة أيضا، والاستعانة بضرب الأمثلة ما يمكن الإنسان من تفهم الأمور على وجه أصح وأدق من تفهمها في صورتها المحدودة..

ولا أدل على ذلك من كون أحد أساليب القرآن الكريم في إرشاد الخلق، هو ضرب الأمثلة وإيراد القصص.

قال تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾} [الزمر: ٢٧].

قال تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾} [الروم: ٥٨].

وإذا كنا سنعرض عزيزي القارئ لبعض ومضات روحية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه قد يلزم التأكيد على النقاط المهمة التالية:

أولا: إن أي إنسان كاتباً كان أو فليسوفاً أو مفكراً أو فقيهاً عالماً....

إلخ يعجز تماما بأن يوفي دراسة الجانب الروحي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حقها...... فالوحي من لدن الله القدير سبحانه وتعالى ورسول الوحي الروح القدس جبريل عليه السلام، ومادة الوحي المعجزة العقلية والروحية الخالدة على مر العصور والأزمان والموحي إليه أعظم الرسل وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

لذا فإننا إذا تحدثنا عن بعض هذه الومضات الروحية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيئته من قبل الخالق العظيم لتولي أعظم رسالة على وجه الأرض، فإننا نتحدث على قدر وسعنا الذي يضيق تماما، ويعجز كليا أن يوفي حتى هذه الومضات حقها من الدراسة أو الإيضاح.

وإذا كنا سنستعين للتفسير والإيضاح ببعض قواعد علم الروح الحديث في الغرب وبآراء وتفسيرات علمائه، فإنما هذا فقط لتقريب ما وراء الظواهر من معان للأذهان، ولإثبات أن ما وصل إليه علماء الروح المحدثون في الغرب من نظريات وحقائق علمية يتباهون بها إنما سبقهم إليها رسول الإنسانية ورحمة الله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم بما يجاوز الأربعة عشر قرنا وقتما كان أجدادهم وأسلافهم يعمهون في الظلمات

ثانيا: لقد تناول الكثيرون من الفقهاء والعلماء والكتاب والمفكرين والفلاسفة على اختلاف أجناسهم وبلدانهم، بل وعقائدهم مواهب وجوانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يختلفوا جميعا على عبقريته كإنسان، حتى أشد خصومه اتفقوا على ذلك، وعلى أنه كان على خلق عظيم، واجتهد المسلمون منهم في عصرنا كأساتذتنا:

العقاد ومحمد حسين هيكل وأحمد جاد المولى... إلخ.

في التركيز على عبقرياته السياسية والعسكرية والإدارية والخطابية وإتيانه جوامع الكلم وفضائله الذاتية والأخلاقية، وركز أغلبهم على الأدلة العقلية القاطعة على صدق نبوته ومن أهمها:

- احتماله صنوف الأذى واشتهاره بمكارم الأخلاق.
- شدة خوفه من عظمة ربه وأمانته الواضحة في نقل ما يوحي إليه.
- انتشار الإسلام بسرعة وحرصه الشديد على هداية الخلق
- إخباره بالمغيبات و اهتمامه بسعادة أمته
- تجرد نفسه من الحظوظ البشرية، وفرط حثه على تطهير النفوس ووصفة الدقيق لأمراض المجتمع وأدوائه وأدويته.
- عجز العرب عن معارضة القرآن وتأييد الله له وتكامل الفضل فيه.

ولأن هذا كله لا يمكن أن يجتمع إلا في نبي عظيم، وقد يكون من الملفت للنظر في هذا أن معظمهم لم يتعرض بأي دراسة في الجانب الروحي لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو حجر الزاوية وراء هذا كله، وقد تكون حجتهم في ذلك بأن القرآن الكريم وما يحمله الوحي به من معجزة عقلية وبلاغية وروحية وأبدية خالدة مسلم بها يكفي تماما لتغطية هذا الجانب الروحي، وعن أي حديث فيه، ونحن لا نملك إزاء ذلك إلا القول والتسليم بأنهم على حق في ذلك.

ثالثا: وهنا قد يثور التساؤل منك عزيزي القارئ بأنه إذا كان ذلك كذلك الذي أوردناه، فلم إذن البحث في جانب قد غطته معجزة القرآن تماما وأوفته حقه وخاصة أننا مهما حاولنا وبذلنا قصارى جهدنا لن نوفيها حتى بعض حقه..

أقول: إن الاجتهاد في الدراسة والبحث من خصائص الإسلام، إذ أن الحض على العلم كفريضة واحتضان الإسلام له من ضمن ما تنفرد به دلائل عظمة الإسلام عن باقي الرسالات والأديان،هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، إننا نخاطب في هذا عقول الغرب التي لا تستطيع أن تستوعب إعجاز القران إلا فيما يتعلق بالحقائق الكونية والعلمية التي أتي بها منذ ما يجاوز الأربعة عشر قرنا، ولا يزال يعطي المزيد يوما بعد يوم، مما أدي إلى سعة وازدياد انتشاره يوما بعد يوم، بين النخب من المجتمعات الغربية، فإذا كان التعرض لبعض الومضات الروحية لحياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوافق أحدث ما وصل إليه علماء الروح الحديث في الغرب من نظريات وقواعد، بل ويسمو عليها كثيرا في التفسير وبأدلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فقد يكون في ذلك دعوة لهم أيضا إلى تلمس هذا الدين العظيم القيم، ولم لا ونكون نحن أيضا على حق خاصة كلما ازدادت محبتنا للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مهبط الروح الأمين ورحمة الله المهداة للعالمين.

* * *

الباب الأول: ومضات قبل الهجرة

الباب الأول

ومضات قبل الهجرة

الفصل الأول:
التنبؤ بالبعثة المحمدية

إذا كان الله تبارك وتعالي قد أمرنا في قرآنه المجيد بأن نعمل عقولنا في تدبر آياته الكريمة، فإنه منطقيا وترتيبا على ذلك لابد أن يكون لهذا الدين العظيم القيم لمن لا ينطق عن الهوى وحمل لواء خاتم رسالاته ومشقة الدعوة إليه، حتى عم مشارق الأرض ومغاربها بشارات بهما في كتب الله عز وجل قد جرت على لسان أنبيائه ورسله عليهم السلام في رسالاتهم التي سبقت زمان هذه الرسالة

الجامعة الخاتمة:

ولقد عرضنا لهذه البشارات سواء التي تتعلق بمكان بزوغ نور الرسالة المحمدية للدعوة إلى الإسلام، أو التي تتعلق بزمان بزوغ نورها وشخص المصطفي لحمل لوائها محمد صلى الله عليه وسلم بشيء من السرد التفصيلي في كتابنا: " من دلائل عظمة الرسالة المحمدية والبشارات بها في كتب أهل الكتاب ".. ولكن قد يجدر بنا أيضا في هذا المقام أن نعرض بشيء من الإيجاز لواحدة أو اثنتين من هذه البشارات خاصة التي تتعلق منها بمكان بزوغ نور الرسالة المحمدية أي مكة المكرمة:

1. نور في جبال مكة:

جاء في العهد القديم في سفر التثنية 2\23 من " الكتاب المقدس Version James King توماس للنشر نيويورك ".

"... جاء الرب من سيناء وأشرق لهم في سعير، وتلألأ من جبل فاران وأتي معه عشرة آلاف من القديسين وعن يمينه نار شريعة لهم... ".

وهذه النبوءة متضمنة للنبوات الثلاث: نبوة موسى، ونبوة عيسي ونبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم فمجيئه من سيناء تعني هنا تكليمه لموسي، وتكليفه بالرسالة والمقصود بسيناء هنا هو مكان الجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسى عليه السلام، وإشراقه من سعير المقصود به ظهور رسالة المسيح عليه السلام من بيت المقدس وسعير قرية هناك إلى اليوم أما بشارة التلألؤ من جبل فاران هي بشارة لا تحمل الجدل على الإطلاق ببزوغ نور الرسالة المحمدية من جبل فاران، ففاران هنا هي مكة المكرمة، والمقصود بالجبل هنا جبل حراء بمكة المكرمة (فاران) الموجود بأعلاه غار حراء الذي كان يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء في سفر التكوين 20/21 - 21عن إسماعيل عليه السلام " وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من مصر ".

ومن المشهور والمتعارف عليه تاريخيا أن إسماعيل سكن بجوار البيت الحرام أو ما يسمي ببرية فاران وقيل: إنها سميت فاران بالتشديد على الراء - بمعنى هاربان - والمقصود بهما هاجر وإسماعيل عليهما السلام.

وقد قال المؤرخ جيروم واللاهوتي يوسيبيوس (أن فاران بلد عند بلاد العرب على مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق من إيلة).

فإذا ما عرف ذلك فإنه ترتيبا عليه كان لابد من خروج نبي من مكة - وقد يجدر هنا أيضا استخدام النبوة لكلمة (تلألؤ) مما يشير إلى مدي عظمة رسالة هذه النبوة ومن سيحمل لواءها وسعة انتشارها.

وقد جاء ما يشير إلى ذلك ويؤكد عليه في صحيفة حبقوق 2/2 (والله جاء من تيماء والقدوس من جبل فاران مجده على السماوات والأرض امتلأت بحمده) والمراد بالقدوس هنا هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إذ هي إحدي صفاته لكثرة تطهره - كما أن الوحي نزل عليه في غار حراء وهو جبل من جبال مكة (فاران) وخرج منه قدوسا ليحمل أعظم الرسالات إلى الإنسانية جمعاء، كما لا يفوتنا هنا أن كلمة حمده هنا ذات مغزي هام ودلالة واضحة، ذلك أن اسم محمد وهو لم يكن متداولا في الجزيرة العربية عند بزوغ البعثة المحمدية - يعني حرفيا الممدوح.

ولقد كان اليهود قبل ظهور الرسالة المحمدية يعلمون ذلك تماما حتى أن يهود المدينة وصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا يهددون الأوس والخزرج بقرب خروج نبي يقتلهم قتل إرم وعاد ولكنهم كانوا يأملون أن يخرج منهم، وليس من ذرية إسماعيل عليه السلام.

أما لفظ: (وأتي معه عشرة آلاف من القديسين) فهذا من أعجب العجائب الصارخة بالدلالة والوضوح البين - فالمقصود هنا بلا ريب وبلا أدني مجال للشك، أو الموثق تاريخيا، إنه لعشر خلون من شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة الهجرية - غادر رسول الله محمد

صلى الله عليه وسلم المدينة متجها إلى فتح مكة في عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم، وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله فيه دينه وجنده ورسوله الأمين واستنقذ به بلده وبيته الحرام من أيدي الكفار والمشركين، وطهرهما من عبادة الأصنام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا، ولفظ (وعن يمينه نار شرعة لهم) جلي بأن هذا النبي العظيم القادم معه شريعة جديدة ناسخة ومطهرة مشرقة سيحترق بها وفيها كل غث أو باطل أو محرف أو منحرف أو خارج عن الناموس، وأنه بالإضافة إلى كونه بشيرا لأتباعه الموحدين بالله، المؤمنين برسالته ودعوته، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بجنات تجري من تحتها الأنهار عرضها السماوات والأرض، وفيهن من البهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إلخ، فأنه يكون نذيرا أيضا لخصوم دعوته من الكفار والمشركين والملاحدة ومرتكبي الفواحش و الطغاة.. من عذاب نار جهنم المستعرة التي وقودها الناس والحجارة.

وفي تراجم أخرى (والشريعة المشعة بيده اليمني) كما هو الحال في نص النسخة المنقحة المعتمدة التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية، ونحن نميل أكثر إلى هذه الترجمة - حيث أن الشريعة الإسلامية فعلاً وواقعاً ومنهجاً، هي أقوم وأكمل وأتم الشرائع على وجه الأرض منذ آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة.

2ـ وعد لبلاد العرب بنزول الوحي في مكة وأن سيكون له مجد عظيم:

ففي سنة 701 ق. م في أرض السبي، في بابل تنبأ النبي إشعياء

بالإسلام دينا ودولة، وبمكان ظهوره ففي سفر إشعياء في العهد القديم يتضح تماما بما لا يدع مجالا للشك أو التأويل البشارة بمكة المكرمة ومجدها العظيم المنتظر: (لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم، سكان الجبال ليهتفوا ويمجدوا السيد وليعلنوا حمده في الجزر، السيد سيخرج جبارا، ويثير الحمية كرجل حرب ويهتف ويدوي ويسيطر على أعدائه) إشعياء - 13:42/11.

وخلاصة هذه البشارة بما يتضح منها جليا أن الديار التي سكنها قيدار الجد الأكبر للعرب - وأولاده وذريته سيعلو شأنها ويرفع صوتها بالتكبير، والأذان والشهادة لنبوة محمد ورسالته صلى الله عليه وسلم، وستترنم ديار العرب بذلك ويهتف بذلك من ورائها وبعدها، من آمن بذلك من الإنسانية جمعاء سواء كانوا سكان جبال، أم سكان جزر ممجدين الله تبارك وتعالى ورسالة رسوله - وأن هذا الرسول الذي سيخرج إلى العالم من ديار قيدار وذريته سيكون فارس حرب مقدام يثير الحمية يهتف مدويا بتكبير الله ووحدانيته واحديته والدعوة إلى رسالته وسيقوى ويسيطر على أعداء دعوته ومن المتعارف عليه والمستقر والثابت تاريخيا أنه لم يخرج إلينا من الديار التي سكنها قيدار وأحفاده من العرب من ادعى الرسالة والنبوة وهتفت به ومجدته ومدحته الإنسانية (وليعلنوا حمده في الجزر) بأن قرنت اسمه ورسالته بالشهادة، بوحدانية الله: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) آناء الليل وأطراف النهار، وهزم أعداء دعوته سوى محمد صلى الله عليه وسلم وأن أول ظهور دعوته، ورسالته، كان في ديار مكة المكرمة التي سكنها الأكبر قيدار.

ولقد كان بجانب اليهود الذين ينتظرون قبل البعثة المحمدية ظهور

نبـي فـي بـلاد العـرب، يـأملون أن يخـرج مـنهم، ولـيس مـن ذريـة إسـماعيل عليـه السـلام الـبعض مـن أهـل الجاهليـة أيضـاً، المتنبئـين بظهور نبي من بلاد العرب في ذلك الزمان وكان من بينهم أمية ابن أبي الصلت من أهل مكة ولكن العجيب أنه كان يطمع في تلك النبوة وبذلك لم يؤمن بالرسول حينما ظهر فعلا ظنا منه وكما يظن كثير من الجاهلين أن النبوة مركز دنيوي يحسد عليه ناسيا أو غافلا بأنها تكليف لروح طاهرة لكي يقضي حياته الدنيوية معلقا بين جذب قوتي السماء والأرض.

كما يحكي بأنه في أحد أيام مكة القائظة، وقفت فتاة تدعى سودة بنت زهراء حينما مرت أمامها جماعة من بنات قريش وإذا بها تقول فجأة بصوت عال بنبوءة غير منتظرة: (أن إحدى هذه البنات ستحمل رجلا ينذر البشر وعندما مرت آمنة بنت وهب، نظرت إليها، وقالت: هاهي التي ستحمله، وبالفعل تحققت النبوءة وتزوجت آمنة بنت وهب من عبد الله بن عبد المطلب وولدت محمدا في فجر يوم الاثنين الموافق 12 من ربيع الأول الموافق 20 من يونيو عام 571 م.

تري كيف عرفت سودة بهذه النبوءة؟ أغلب الظن أن هذه الفتاة كانت وسيطة روحية ملهمة، سواء عرفت هي ذلك أم لم تعرف؟

ومن الشائع أيضاً أن في ليلة ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم رأي أحد كبار أحبار اليهود في المدينة، وكان على علم بمطالع النجوم دليلا على وقوع حدث هام، فقام يصيح فيمن حوله وفي طرقات المدينة قائلا: طلع نجم أحمد، طلع نجم أحمد، وبالفعل ولد ذلك النجم الجديد في مكة وسمع اليهود به ولكنهم لم يشاهدوه فعلا، إلا بعد ثلاث وخمسين سنة من تلك النبؤة الفلكية حينما دخل المدينة وأتخذ

منها مركزا لإشعاعه.

وقيل: أن جده عبد المطلب والذي كان لا يؤمن في دخيلة نفسه بالأصنام التي كانت تملأ الكعبة التي هو مشرف عليها - يري في مناماته بأنه سيكون من أحفاده من يكون محمودًا في السماء والأرض، فلما سئل عن السبب في تسمية حفيده بمحمد، وهو اسم غير متداول بين العرب قال:

" أردت أن يكون محمودا في السماء والأرض لخلقه " وعندما كان محمد صلى الله عليه وسلم جنيًا في بطن أمه مات أبوه عبد الله في المدينة، فحزنت زوجته آمنة عليه حزنا عميقا شديدا ولكن كان يسري عنها من هذا الحزن رؤيتها في منامها نورا يخرج منها يغطي كل ما حولها، حتى قصور الشام وأنها أمرت بتسميته محمداً، إذ تحدثنا كتب السيرة، بأن السيدة آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت تحدث أنها أتيت - حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم - فقيل لها:

(... إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً).

وأنها رأت - حين حملت به - أنه خرج منها نوراً، رأت به قصور بصري من أرض الشام. (61/ صحيح السيرة / صحابة).

وقال ابن إسحاق: " فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام، فأته وانظر إليه، فأتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه، فأخذه عبد المطلب فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر

له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء..) 62 صحيح السيرة / صحابة.

وقال: " فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر، يقال لها: حليمة ابنة أبي ذؤيب.. ".

وقال أيضاً: "... حدثني ثور بن يزيد عن خالد بند معدان الكلاعي أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: " نعم.. أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا، نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيضاء، بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبي، وبطني بذلك، الثلج حتى أنقياه. ثم قال أحدهم لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم، ثم قال أحدهم لصاحبه: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال: دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها ") 63/صحيح السيرة/ صحابة.

ثم ماتت أمه أيضاً، وهو طفل في السادسة، وتركته فقيرا عائلا وتوفي بعدها بقليل جده عبد المطلب، تاركا إياه في كفالة عمه أبي طالب الذي ضمة لعياله المعوزين ورعاه وحماه، حتى بعثته رسولا نبيا وكان جده عبد المطلب لا يؤمن في دخيلة نفسه كما ذكرنا بعبادة الأصنام التي كانت تملأ الكعبة، ومن المنطقي أن ترك هذا أثراً كبيرا في دخيلة نفس محمد الصبي أيضاً، حيث كان شديد القرب من

جده والالتصاق به، كما يروي أيضاً في مناماته أن سيكون لحفيده هذا المحبب إلى قليه شأن عظيم.

يقول ابن إسحاق: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي - وهو غلام صغير - حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأي ذلك منهم: دعوا ابنى فو الله إن له لشأنًا ثم يجلس معه على الفراش، ويمسح على ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع) 63 صحيح السيرة / صحابة.

وعلى أية حال فقد كانت عوامل اليتم والفقر والوحدة كلها عوامل مساعدة على تقدم محمد صلى الله عليه وسلم في صباه وشبابه إنسانيًا روحيا عن أقرانه ودعوة له للتفكير في الخلق ومنشئه.

* * *

الفصل الثاني:
حب الخلاء وحكمته

كان محمد صلى الله عليه وسلم في صباه وشبابه على طباع غير طباع شباب مكة فلم يسجد قط لصنم ولم يمل إلى ما كانوا يميلون إليه من شراب وميسر ولهو وغير ذلك من ماديات بل حبب إليه التأمل والبحث في أمور ما وراء الفيزياء.

ويؤكد علم الروح الحديث (الباراسيكولوجي) على أن حب الخلوة والتأمل هو الأساس أو المقومات اللازمة التي لابد أن يمر بها كل روحي راق أخذ في تدريب نفسه أو في إعدادها لاستقبال المساعدة من العوالم الأعلي فهو صلى الله عليه وسلم لم يشذ عندما كان يعشق الخلاء عن القانون الروحي الذي ألهمه الله جل وعلا لمصطفيه من الرسل وعرفه كثير من المجتهدين منذ الأزل لأجل تدريب النفوس بالمجاهدة وقد تتأكد أهمية الحياة في الخلاء والتأمل عند الرسول صلى الله عليه وسلم من إجابته عن سؤال / أي الناس خير؟ بقوله (رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره).

وحيث أنه لم يكن في بدء حياته وشبابه مجال لأن يكون الرجل الأول فكان الرجل الثاني صديق الخلاء ومؤنس غار حراء.

وفي الحقيقة لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بدعا بين قومه في اتجاهه إلى الجبل ليختلي بنفسه إذا أنها عادة العرب إذ ذاك أن ينقطع مفكروهم - وإن كانوا ممن يكبرون محمدا آنذاك سنا بكثير - للعبادة

زمنا في كل عام يقضونه بعيدا عن الناس في خلوة يتقربون إلى آلهتهم بالزهور والدعاء ويتوجهون إليها يلتمسون عندها الخير والحكمة وكانوا يسمون هذا الانقطاع للعبادة التحنف أو التحنث، ولكن شتان ما بين متحنث سجد لصنم، وتغلغل الشرك في قلبه ووسوس الوسواس الخناس في صدره - ومتحنف على فطرته السوية، التي خلقه الله عليها، ولم يسجد قط لصنم، وإنما يبحث عن الحقيقة في دأب وجهد، وصبر، لذا فلم يكن من العجيب أو المستغرب في رأيي أن يكون هناك أعراب عديدون يتحنثون، ولا يصل أحد منهم إلى نتيجة من تحنثهم سوي هذا الشاب الصادق الأمين الوقور محمد الذي يزداد قربه يومًا بعد يوم بخطوات ثابتة من الحقيقة، التي هيأه العلي القدير، واصطفاه لها ليلتقي فيه عالم الروح وعالم المادة، ليكون هاديا ومبشرا ونذيرا وسراجا منيرا للإنسانية جمعاء ورحمة للعالمين.

ونظرا لأن التاريخ يؤكد لنا أنه صلى الله عليه وسلم كان أحد أربعة كفروا، بأوثان قريش وفروا من محيطها، من بينهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث اللذان اعتنقا المسيحية، والأول اعتزل الناس، والثاني هرب إلى القسطنطينية (ولا يعلم أحد على وجه اليقين أي نهج كان محمد صلى الله عليه وسلم آنذاك أثناء تحنثه هذا، وقبل بعثه فاجتهد البعض بالقول: إنه شرع نوح. وقيل: إبراهيم. وقيل: موسي. وقيل: عيسي. وقيل: كل ما اقتنع بأنه شرع عنده، يرفض السجود للأصنام، والتعبد بها أو بمعني آخر أنه كان محايدا لا يميل إلى أي شريعة بالذات).

وقد يجدر الذكر هنا أن مكة نفسها آنذاك لم يكن ليدخلها أي شخص

كتابي، اللهم إذا كان أجيرا فهي إذا كانت بدون شريعة ولا كتاب.

وقد تستدعي هذه النقطة منا الكثير من الانتباه وهي أن الإنسان الذي يعد لاستقبال أي إلهام جديد من عالم الروح، يلزم عليه أن يتخلص من الآراء القديمة والعقائد والعادات التي تربطه بدستور الحياة، ودوامات التفكير التي تدور في محيط قومه، وأن يطهر نفسه من أي رجس يمس جسده أو نفسه أو حتى ثيابه.. وهو ما يطلق عليه علم الروح الحديث ب (حالة الفراغ العقلي) وفي هذا المعني (ظاهرة الفراغ العقلي) يقول الدكتور العالم على راضي رحمة الله (حياة محمد):

(... يمكننا أن نشاهد مثل هذه الظاهرة مع كثيرين من المفكرين الذين وجدوا أنفسهم فجأة أحرار العقول بالنسبة لغيرهم حساسين للإلهام محبين لكل ومضة من نور يبدد ولو ذرة مما أحاط بهم من ظلام ولأضرب مثلا لما أقول بالإمام الغزالي عندما تصارع مع نفسه وكتب عن قصة حياته في كتاب (المنقذ من الضلال) ويقول في وصف تلك اللازمة النفسية: " فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري " وخرج من بغداد هائما على وجهه تاركا مكانته الدينية العالية في قومه، ويصف ما أشيع عنه وقتئذ بقوله: (ثم ارتبك الناس في الاستنباطات) ثم هداه الله بعد ذلك لاكتشاف نفسه وأنقذها من معمعة الحياة التقليدية، واستفاد من تصوفه، وانفراده بذاته حتى ألف ما ألف، وأصبح يسمي بحجة الإسلام، وأما المثل الثاني فهو القسيس الانجليزي ستينسن موسي، الذي ضاق بسطحيات اعتقاده فحار عقله، وطلق مهنته وظل في حالة فراغ عقلي، حتى هداه الله عندما اكتشف أنه وسيط روحي

واتصل بعالم الروح، ومنه عرف الخطأ في نظرية ألوهية المسيح وغير ذلك مما دونه في كتابه الشهير (تعاليم روحية) وأصبح مدينا فيما وصل إليه من علم إلى اليوم الذي فرغ عقله من الرواسب الماضيات...

وغير هذين المثلين كثير... إذ يتكون الإنسان من جسم مادي وجسم روحي الأول، يتبع قوانين العالم المادي والثاني يتبع قوانين العالم الروحي، ولكي يتصل الأحياء في هذين العالمين، يجب أن يكون هناك أجهزة اتصال، والروح الذي يحمل الرسالة القادمة من عالم الروح يسمى جهازا مرسلا، أو رسولا، أو وسيطا، أو الروح المرشد من العالم الروحي والإنسان الذي يتلقي تلك الرسالة على الأرض، يسمي جهاز استقبال أو رسول أو وسيط ذلك العالم المادي وتختلف هذه الأجهزة المستخدمة في الاتصال اختلافا بينا، فقد يدخل فيها ملائكة وأرواح بشر وجن وغير ذلك من مخلوقات الله العديدة.. وكل نوع من هؤلاء له درجاته المتفاوتة.

ومن هنا يمكننا أن نميز السادة الأنبياء عن سواهم من البشر وذلك لأنهم رجال كانت درجاتهم الوساطية عالية بحيث مكنتهم من الاتصال بالملائكة أو بجبريل في حين أن بقية البشر دون ذلك. كما أن الأنبياء يكونون بفضل من الله في صيانة دائمة، أما بقية البشر فهم أجهزة قابلة للتلف والانحراف بدرجات متفاوتة، ويمكنني أن أقرب هذا إلى الأذهان بمثل علمي، هناك جهاز لاسلكي تكون ذبذبته عالية وعلى درجة كبيرة من الثبات أي غير قابلة للتغير (الذي يستعمل بللورة كوارتز مثلا) وهناك جهاز آخر تكون ذبذبته أقل وعرضة للتغيير الأول يمثل الأنبياء والثاني يمثل بقية البشر، ومعني

علو الذبذبة وثبوتها في الجهاز الأول هو أن الجهاز يظل مترنما على نفس الموجة المرسلة إليه (جبريل عليه السلام فقط) ومعني انخفاض الذبذبة، وعدم ثبوتها في الجهاز الثاني هو أن الجهاز يمكنه الاتصال بمستويات منخفضة ومختلفة في نفس الوقت أي ليس له مصدر ثابت أي مصادر أقل مرتبة ومتباينة ").

وقد نخلص مما تقدم أن الله جل وعلا قد أودع في كل نبي بعد إعداده وتهيئته جوهرة روحية ثمينة تكفل له الثبات على درجته من الروحية طوال حياته، وهذه الجوهرة الروحية هي التي جعلتهم مرتفعين في الذبذبة عن سائر البشر، وإن كانوا غير مختلفين عنهم في التكوين العام..

ومن المتعارف عليه أن الاتصال الروحي مع الأحياء لا يكون مع أجسامهم الفيزيقية، وإنما مع الجسم الروحي فيهم، وأن الاتصال مهما كان نوعه يكون بين جهازين من نفس النوع، ومن هنا قد نفهم ما وراء حرص الغرب الشديد والمراكز الروحية فيه على (الوسطاء الروحيين الراقين) وتوفير كافة الأسباب اللازمة للحفاظ عليهم، وعلى مستوياتهم وتوجيههم التوجيه الصحيح وبما يكفل متابعة تقدم العلوم الروحية لديهم..

ومن المتفق عليه بين علماء الروح أنه يتعذر تماما الاتصال بين عقلين لنقل الأفكار (تلباثي) من شخص إلى الآخر داخل المدن والمجتمعات المزدحمة، وهذه بدهية علمية يعرفها الكثيرون إذ أنه لكي تنقل إشارة لاسلكية من محطة إذاعة إلى جهاز استقبال وتكون واضحة جلية يجب ألا يكون هناك تداخل أو ضوضاء صادرة من محطة إرسال أخرى ويؤكدون على الأهمية القصوى للخلوة لإيجاد

الإنسان في حالة صفاء ذهني تمكنه من استقبال أفكار العقول الأخرى سواء كانت هذه العقول حية في عالم الأرض أو متنقلة أي في عالم الروح لذا فإن الأنبياء والحكماء والكتاب والشعراء ورجال الفنون والعلوم والاختراع، بل وكل المفكرين على مر العصور لا يتلقون أفكارهم في زحمة المجتمع الذين يعيشون فيه، وإنما يتلقونها إذا كانوا في وحدة مع أنفسهم.

ويؤكد هنا علماء الروح على أنهم في الحقيقة لا يكونون مع أنفسهم فقط بل يكونون مع أرواح عالية تلهمهم في عملهم، وترشدهم فيما يتعلق بدنياهم، وما وراء دنياهم، وقد يكون الروح المرشد هذا واضحا للشخص وقد يكون صوتا هاتفا أو فكرة عابرة، أو مجرد إيحاء داخلي، ولكنه بالتأكيد مؤثر خارجي مستقل تمام الاستقلال عن ذات الإنسان، ولكي يستفيد منه المرء أكبر فائدة يجب عليه أن يسترخي أو ينسي وعليه أو يذهب في غيبوبة خفيفة أو عميقة، وهذه الحقيقة يعلمها الكثيرون، عندما يريدون الاهتداء إلى فكرة صائبة فهم يختلون بأنفسهم ويذهبون في شبه صلاة صامتة مركزة، وسرعان ما تأتيهم الإجابة على السؤال الذي حير بالهم، فالغيبوبة هي نوع من الاختلاء بالنفس، واختفاء الوعي عن السطح يفسح المجال للذات الأعلي في البروز، والتي لها من الإمكانيات والملكات ما لا تمتلكه الذات الظاهرية، وهناك أمثلة عديدة في العالم اليوم تؤيد ذلك.

يقول الموسيقار الشهير موزارت: (عندما أكون في شخصيتي الكاملة وحدي تماما، وفي حالة انشراح في هذه الحالة تتدفق أفضل الأفكار وأوفرها كيف تجيء؟ أنا لا أعرف كما أني لا أغتصبها).

وكذلك عرف عن بيتهوفن والفارابي الموسيقار العربي العظيم (الذي اخترع آلة القانون) وغيرهما من الموسيقيين العظام أنهم كانوا لا يتلقون إبداعاتهم، وألحانهم الخالدة إلا عند مجتمع ماء، أو مشتبك رياض، أو فوق قمم الجبال، وكذلك كان معظم الشعراء والكتاب على مر السنين...

يقول الرسام المعروف هويسلر: إن الدقائق الأخيرة التي أمضاها وهو في حالة شبه غيبوبة، هي التي خلفت من صورة أمه لوحة خالدة.

والمخترع العظيم أديسون اعتاد أن يأخذ فترات استرخاء أثناء عمله وفي تلك الفترات القصيرة من الاسترخاء والتأمل جاءت له حلول المسائل للمعضلات، التي كان يبحث فيها، وقد قال في ذلك:

(.. أن الساعات التي قضيتها وحيدا مع مستر أديسون جاءت لي بالفوائد العظمى في حياتي، ولها أعزو كل ما وصلت إليه).

ويقول بول برنتون في كتابه الشهير (الطريق السري) تعليقاً على ما قاله كاتب فرنسي من أن الكون هو الله بقوله (على أن يكون سكونا للجسم والأفكار والشهوات، وليس سكونا شفويا فقط في هذه اللحظة السامية يبدأ الله في الهيمنة، على نفسك وكل ما عليك عمله هو أن تمارس الطريقة التي تسلم بها نفسك إليه إلى أبعد حد).

فالاختلاء بالذات هو في الواقع المعمل الذي يتمكن فيه الإنسان من اكتشاف نفسه، وجوهرها بعيدا، عن أدوات الحياة التي تحاول طمس معالمها وتشويه منظرها، وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

{.. إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه..} أخرجه البخاري ومسلم.

يقول العالم هاري إدواردز في كتابه المرشد للتدريب الوساطي:

(يوجد في عالم الروح هؤلاء الذين مهمتهم هي إرشادنا ونحن في الوجود المادي، هم شخصيات نبيلة ذات نوايا طيبة، ونكون صادقين تماما لو قلنا: إن الأرواح المرشدة تنجذب إلى الآدميين الذين تربطهم بهم علاقة من نوع ما أي أن الشبيه ينجذب إلى شبيهه).

ويقول العالم سويدنبرج في كتابه " الجنة والنار " :

(يتجاذب المتشابهون لأنهم يشعرون بالألفة معا في حين يشعرون مع الآخرين أنهم أغراب، ومع أشباههم يشعرون أيضا بالحرية وجميع مباهج الحياة..).

والواضح أن نظرية الاتصال الروحي، كما ينادي بها الروحيون المحدثون ما هي إلا مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

{الأرواح جنود مجندة ما تشابه منها ائتلف وما تنافر منها اختلف}.

والخلوة بشكلها الصحيح ليست مجرد انطواء أو تعالٍ على النفس، وإنما هي معمل يأتي مع الصبر والطهارة، والعفة بنتائج عملية وخبرة علمية لا يشعر بقيمتها إلا مجربوها، وهناك مذاهب مختلفة تؤيد الخلوة وتحض عليها، ولو أنها تحمل أسماء مختلفة، فمنها المذهب الصوفي، وفيه يزهد الإنسان الملذات الدنيوية، ويتوسل إلى الله بالعبادات، وهو طريق قديم سلكه المسلمون وغيرهم، وهناك المذهب الروحي وهو لا يختلف عن الصوفي كثيرا، وإن كان يعتمد

على التركيز الشديد للإنسان في جلسته، إلى أن يصبح في خلوة مع نفسه، وبالكيفية التي تسمح له بالابتعاد عن ضجيج وزحمة الحياة، إلى أن تتكشف له المواهب الروحية بالتدريج.

وفي هذا المعني وحوله يقول الإمام الغزالي رحمه الله عن نفسه وفائدة الخلوة له: (وآثرت العزلة، حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر، وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها) ويقر بأن سنين العزلة، جعلته يكتب مؤلفاته المشهورة إلهاما من روح مرشد فيقول في كتابه " المنقذ من الضلال " : (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإني لم أتحرك لكنه حركني وأني لم أعمل لكنه استعملني).

ثم يبلغ الإمام الغزالي الذروة في إثبات المواهب الروحية فيقول:

(ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الاحتراز عنه).

ويتكلم عن كيفية تفجير العلم بما خفي على الإنسان وغيره من الوساطات الروحية من داخل القلب فيقول: (إنما هو تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها و الإقبال بهمة على الله تعالى وإذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته تلمع لوامع الحق في قلبه ويرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فينكشف له الغيب ويحصل له اليقين).

ويقول أيضا عن الاعترافات بالوساطات الروحية:

(فمن أمن بالأنبياء، وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بالبصيرة، أو بتعبير آخر يقر بباب القلب، ينفتح على عالم الملكوت هو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي).

ثم يربط الغزالي بين الأنبياء والصف الذي يليهم أي الأولياء فيقول:

(فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الاسم وكرامات الأولياء، هي على التحقيق بدايات الأنبياء، وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل على جبل حراء حين كان يخلو فيه بنفسه ويتعبد).

ويقول أيضا: (فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل الزهد في الدنيا والتبرؤ من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها).

والخلوة تعلم الإنسان الاتصال بخالق الناس فلقد قال الجنيد يوما:

(أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة، والناس يظنون أني أكلمهم..).

ويروي الإمام المراغى أن الاستعداد الروحي يمهد للنبوة (لكن النبوة حكمة لا تنال بالكسب، لكن حكمة الله وعلمه جدير بأن تمنح للمستعد القادر على حملها.. والرسول صلى الله عليه وسلم أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه).

هذا ويؤكد علماء الروح في العالم بما فيهم المسلمون على أن الوسطاء الروحيين الراقيين لا بد وأن يكونوا على درجة كبيرة من الشفافية والعفة والطهارة وعلى درجة إيمانية عالية بالله عز وجل.

وفي هذا المعنى يقول العالم الدكتور/على راضي (المصدر السابق) رحمه الله:

("... وفي الحقيقة إن كل مسلم يجب أن يعترف ويسلم بوجود كل أنواع الوساطات الروحية، وبقدرة الروح على التصرف بمعايير مختلفة وهي في الجسد أو خارج الجسد - جاء في الحديث القدسي: إن الله تبارك وتعالى قال:

{من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه..}.
وحول هذا المعنى يعلق الشيخ العالم / محمد حسنين مخلوف على هذه المرحلة بقوله:

("... يوجه العبد إرادته للشيء، فينفعل عنه بإذن الله تعالى بدون حاجة إلى الآلات البدنية، أو غيرها مما شأن العقل أن يتوقف عليه.. "). هذا وعدا الصوفيين والروحيين، يوجد اليوجيون وفقراء الهنود، ومن شابههم، وتتلخص طرقهم في تدريب الجسد تدريباً شاقاً ومرهقاً لتتكشف له حواسه العليا ومن العجيب الملفت للنظر أن تدريباتهم قائمة على معرفة التشريح الأثيري لجسم الإنسان، ولكن على أية حال لا تصل قدراتهم إلى القدرات والمواهب الروحية للصوفيين والوسطاء الروحيين الراقين.

الفصل الثالث:

تأثير مضغ الجسم بالاختلاء والتأمل

يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:{إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب} رواه أحمد في مسنده وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وقد يدفعنا هذا الحديث المعجز للحديث عن المضغ التي هي أشمل وأدق في التعبير عن الغدد التي في الجسم ففي هذا المعني يقول الهنود ويؤكد على قولهم علماء الروح المحدثون بأن بجسم الإنسان سبع مراكز أثيرية تنصب فيها القوي الحيوية وبالتالي إلى الضفائر المناظرة لها في الجسم الفيزيقي - وهذه المراكز الأثيرية تسمي بلغة الهنود (شاكرا) أي عجلة النار، وفيها تتولد (برانا) أي الطاقة الحيوية التي تصلها من الطاقة الكونية.

والعجلة الأولى: موضعها عند قاعدة سلسة الظهر وهي تهيمن على عملية الإخراج - وهي المركز الحقيقي للناحية الروحية في الجسم لأنها تحتوي على الطاقة السرية النائمة المسماة (كونداليني) والتي يرمز لها بثعبان ملفوف ثلاث مرات وذيله في فمه، وقد يجدر الذكر هنا أن تمثيل الطاقة المقدسة كان شيئا معروفا عند أهل آسيا، وقدماء المصريين والإغريق.

والعجلة الثانية: عند منطقة الطحال، وتهيمن على الرغبات الجنسية، وهي الضفيرة فوق المعدية في الجسم الفيزيقي.

والعجلة الثالثة: موضعها منطقة السرة، وهي تهيمن على الجهاز

الهضمي وتناظر الضفيرة الشمسية، ويقول علماء الروح بأن هذه العجلة مع العجلة الثانية مسؤولتان عن وساطة الطرح الروحية.

والعجلة الرابعة: موضعها منطقة القلب وهي تهيمن على عملية التنفس، وتناظر الضفيرة القلبية في الجسم الفيزيقي، ويوجد في القلب ما يعرف بالبذرة، ويتفق علماء الروح بأن في هذه صورة مصغرة للإنسان نفسه، وأن جسده ما هو إلا نسخة مكبرة من هذه البذرة، كما يؤكدون أن هذه البذرة هي الحلقة بين الشخص ونفسه، أي أنها تربط الحبل الفضي (الذي يربط الجسم بالروح) بالقلب وعند الموت تغادر هذه البذرة القلب).

والعجلة الخامسة: موضعها منطقة الرقبة، وهي تهيمن على الكلام وتناظر الضفيرة البلعومية الدرقية.

والعجلة السادسة: موضعها الجبهة، وتقع بين الحاجبين وتسمي العين الثالثة، وتهيمن على الجهاز العصبي اللاإرادي، وتناظر الضفيرة المجوفة أو بمعني أدق الغدة الصنوبرية، وهي مركز الموهبة، وتعرف باسم الجلاء البصري.

أما العجلة السابعة: وموضعها الرأس، وتناظرها الطبقة السحائية في المخ - أو الغدة النخامية التي تعتبر مركزا للعقل، وسيدة للغدد الأخري في الجسم.

ويقول العالم أو يليد جاردنز في كتابه (العلاج المغناطيسي الحيوي) إن لها تأثيرا مباشرا على الغدد الصماء الواقعة في مناطق تأثيرها، وأن العلاج المغناطيسي، أو التأثير السيكولوجي الذي يحدث للعجلات يمكنه أن يغير عمل الغدد المتعلقة بها ثم يستطرد قائلا:

(إن العجلات هي التي تتغير أولا، وأما المتعارف عليه عند الصوفيين واليوجيين وأمثالهم، أن الخلوة والتعبد والتأمل لها تأثير مباشر على غدة القلب والعمل على تقويتها - وفي هذا تقول العالمة (فيراالدر) في كتابها (اكتشاف العين الثالثة):

(إن اليوجيين وفقراء الهنود يقضون الساعات الطويلة في التأمل، أي تهدئة كل نشاط في الجسم والعقل، بحيث تترنم الغدد القلبية والصنوبرية والنخامية، مع القوي العليا، وعندما يتم ذلك يمكنهم أن يعالجوا أي متاعب عقلية، سواء في أنفسهم أم في غيرهم، كما يمكنهم استقبال الإلهام وتقوية أجسامهم بدون عمل تمريناتنا المعروفة).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من أصحابه وأتباعه وأمته التفكير والتأمل في ملكوت الله، ويوصي بالعطف والمحبة ورقة القلب فحساسية القلب هي التي تحول الطاغية والشرس والمفترس إلى ملاك يسير على الأرض ومن المقرر عند الصوفيين والروحيين أن هؤلاء المتأملين في خلوتهم بإمعان كثيرا ما رأوا ضوءا يصدر أثناء جلساتهم من جهة قلوبهم، فكأن التعبد والتأثير الفكري قد أثر على عجلة القلب التي أثرت بدورها على غدة القلب، وتأثير العقل على المادة هو حقيقة واقعة لا جدال فيها، بناء على ما ينادي به العلم الحديث.

ومن عوامل التأثير على غدد الجسم التي تحدد الشخصية أنواع الطعام الشراب المختلفة، ومن المعروف أن اليوجيين والروحيين ينظمون تغذيتهم، بحيث تعمل غددهم جيدا، وبذلك تطول أعمارهم ويكتسبون صحة في الجسم، وفي الروح فعلى سبيل المثال من بين

العوامل التي تقوي الغدة النخامية والغدة الدرقية تناول الفواكه الطازجة، والسلطات، واللبن والفواكه المجففة، كما أن العسل الأسود ينشط هاتين إلى حد بعيد.

ويتفق الصوفيون وعلماء الروح في تقاريرهم وكتبهم على أن الامتناع عن الكحوليات واللحوم والدخان، وكل ما يحل جسم الإنسان يفيد التقدم الروحي، إذا أن الروح تعبر عن نفسها من خلال جسم فيزيقي، فكلما كان نوع الجسم أفضل، كلما كانت الروح أفضل، ويتضح من ذلك أن الكحوليات والدخان والأدوية أشياء دخيلة، وغير طبيعية بالنسبة للإنسان، ولذلك كلما كانت حياة الإنسان أقرب إلى الطبيعة كلما كانت غدده أقرب إلى الصلاح.

وتخبرنا كتب السيرة أن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مغرما باللبن والبلح والحلوى، ولم يعرف التدخين ولا الكحول في حياته، كما كان مقلاً في أكل اللحوم، فهو إذن كان على علم بالقانون الذي يتبعه اليوجيون والروحيون للحصول على التقدم الروحي ويتفق الروحيون واليوجيون أن العمليات الجراحية تؤثر على عمل الغدد، ومن ثم العجلات، فإذا صادف الجرح مكانا معينا قرب إحدي الغدد، فقد يؤثر على عملها وبالتالي على عمل المواهب الروحية للإنسان.

* * *

الفصل الرابع:
الاتصال ومدة التدريب والممارسة

ويؤكد الروحيون واليوجيون على أنه إذا ما تعود الإنسان على الاختلاء و التأمل، وتدرب على ذلك كثيرا، ولفترات طويلة تحدث له تغييرات فكرية يعقبها تغيرات جسمية، يصبح فيها أكثر تحملا في بعض النواحي، وأكثر حساسية في نواح أخري، فكثير من المتدربين يصبحون أكثر صبرا على الجوع والعطش.. إلخ، ويتلقون عونا من الأرواح الصديقة، وقد يفسر هذا لنا أن كثيرًا من الأولياء والمجاذيب لا ينالون كثيرا من الطعام، ولا يسألون عنه، ومع ذلك هم أكثر طاقة وصحة من غيرهم، وفي كتابه الشهير (يوجا التبت) يحكي لنا برنارد بروماج أن يوجيا يدعي (ميلا ريبا) رأي ذات ليلة في منامه ثلاثة ملائكة تعلمه كيف يتخلص من البرد والجوع والعطش إلى غير ذلك.

كما أوردت مجلة شيمس الأمريكية في فبراير 1960، تقريرا من إحدي المراكز الروحية بالولايات المتحدة ويتضمن أنه أمكن الاتصال بروح الزعيم مهاتما غاندي في إحدي الجلسات الروح فقال: (في خلال الفترات الطويلة التي كنت أصومها لم تتركني الأرواح لأشعر بالجوع، ولهذا لم يكن صيامي في حاجة لشجاعة كبيرة).

ونحن لو أمعنا الفكر في اختلاء الرسول صلى الله عليه وسلم بغار حراء، الذي يبعد حوالي ثلاثة أميال عن مكة لأدركنا على ضوء ما

تقدم أنه لم يكن صلى الله عليه وسلم في الفترات الطويلة التي كان يقضيها في الغار في حاجة إلى طعام وشراب، عندما كانت الأرواح تشرف على تدريبه، كما قد يفسر لنا هذا قوله صلى الله عليه وسلم:{**لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه**} رواه أحمد في مسنده.

وقوله:{**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع.. وإذا أكلنا لا نشبع**} أخرجه مسلم في صحيحه ورواه أحمد والترمذي.

ويقول العالم هاري أدواردز عن الاتصال الروحي وضرورة إخلاء الذهن - المصدر السابق -:

(الاتصال ما هو إلا عامل طبيعي بسيط يأتي نتيجة للتوافق مع الروح، وكل الوسطاء خاصة وسطاء الجلاء السمعي، يعرفون أنهم لكي يحصلوا على رسائل من الروح، يجب أولا أن يضعوا عقولهم في حالة تفرغ، أو بمعنى آخر يلزمهم أن يصقلوا مرآة عقولهم، ويخلصوها من الأفكار الأرضية، حتى يسهل عليها تسجيل الصور، أو الأصوات القادمة).

وقد يلقي لنا هذا مزيدا من الضوء على الحكمة من وراء عدم تعلق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأية أفكار أو تقاليد أو عادات أو عقائد، أو شوائب وملوثات أرضية، وعدم سجوده قط لصنم، ورفضه بفطرته السوية العبادات الوثنية.

وما جاء في قول هاري إدواردز من صقل مرآة العقل، وتخليصها من الأفكار الأرضية وشوائبها، لتتوافر فيها الطهارة والحساسية لاستقبال الصور والأصوات القادمة، فقد يفسر لنا هذا قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها :

(كان رسول الله إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه).

وفي هذا وغيره مما نقلته لنا كتب السيرة عن حياته صلى الله عليه وسلم أنه كان شديد الحساسية، وإذا كان علماء الروح المحدثون والصوفيون واليوجيون من قبل يؤكدون على أن الحساسية هي شرط أساسي، وجوهري لابد أن يتوافر في الوسيط أو الصوفي أو اليوجي للترقي والتقدم الروحي - فما بالنا بمن سيكون اتصاله بالروح الأمين جبريل عليه السلام؟

تقول فيرا إلدر في كتابها عن الطهارة الروحية: (إن في طهارة أو كمال العقل الباحث لا غير، يمكننا أن نلقي إحدى الأحداث العظيمة في حياتنا ألا وهي اليقظة السليمة لثعبان الكوند اليني).

ومن المعروف أن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يتميز بين قومه تماما بطهارة النفس من شوائب، وملوثات الحياة الأرضية التي كانت تجري حوله كما كان يتميز أيضاً في صباه، وشبابه بكثير عن أقرانه بالحكمة، ورجاحة العقل، وقد تؤكد لنا ذلك واقعة نقل الحجر الأسود للكعبة والقتال الذي كان سيشب بين سادة وقبائل قريش على أولوية من ينقل هذا الحجر لولا تحكيم قومه إياه، وإلهام العلي القدير له بأن يوضع الحجر في ثوب يحمل سادة قريش أطرافه، وهو معهم حتى موضعه في جدار الكعبة المشرفة..

وقد يجدر الذكر هنا أن صفات الطهارة والأمانة والعفة والحياء والصدق إلى غير ذلك من الفضائل كانت من الشروط والقواعد القديمة تاريخيا، التي وضعها الله تبارك وتعالى لتهذيب النفس،

وأوصى بها عز وجل أنبياءه ورسله، ولتكون دليلا وبرهانا للناس على صدق نبوتهم ورسالاتهم، لأن الأرواح السفلية يستحيل عليها الاتصال بمن تتوافر فيهم هذه الصفات والفضائل..

وهو ما نبهت إليه، وأكدت عليه السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بإلهام من الله جل وعلا، عندما نزل الوحي أول مرة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذه الخوف من هذه التجربة الجديدة، وذهب إليها ليخبرها، فقالت له: (أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا) والمقصود بالخزي هنا هو أن يكون المتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم روحًا سفلية كما ادعى جهلاء قريش، ثم بنت رضى الله عنها وأرضاها حجتها على ذلك ملهمة من العلي القدير كزوجة صالحة لزوج صالح (إنك تصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق).

ويقول علماء الروح المحدثون في هذه العبارة التاريخية الخالدة التي قالتها السيدة أم المؤمنين خديجة: إنها تحمل في طياتها ملخصاً بليغا لذروة الصفات التي إذا ما توافرت يكون صاحبها أرقى الوسطاء الروحيين.

(يراجع في ذلك كتاب حياة محمد للدكتور على راضي - الإنسان روح لا جسد للدكتور رؤوف عبيد - بعد الموت تبدأ الحياة للدكتور سمير الشناوي، الطهارة الروحية للعالمة فيرالدر " محمد الرسالة والرسول " للمفكر المسيحي نظمي لوقا... إلخ).

وبالحق والحقيقة أن هذه الشهادة لم تكن شهادة السيدة خديجة وحدها، بل كانت شهادة قومه أجمعين، حتى ألد خصومه وأعدائه الذين

أنكروا في البدء نبوته حسدا ومكابرة، ليس إلا هم الذين لقبوه منذ عرفوه بالصادق الأمين.

ويتفق علماء الروح ومن قبلهم الصوفيون واليوجيون أيضاً على أن التقدم الروحي، لا يتأتي إلا عقب سلسلة من المشاهدات الروحية ومحاولة تفسيرها بالقوي الروحية التي كانت السبب في إظهارها وهذا شيء يستدعي زمنا - ويؤكد علماء الروح على قاعدة روحية جوهرية لديهم وهي أنه كلما كانت درجة الروح المرشد المراد الاتصال به عالية كانت مدد تدريب وسيطه أطول.

تقول فيرا الدر في كتابها الشهير (اكتشاف العين الثالثة):

(يريد كثير من الناس أن يقطع في بضع سنوات قليلة شوطا من التقدم الروحي، كان يلزم له حياتهم كلها لو ساروا بصبر، والنتيجة أن الجسم لا يكون لديه الوقت الكافي، لأن تتطهر ذبذباته، ويرتفع إلى مستوى أعلي ويتخلص العقل من أفكاره الأرضية) ثم تتكلم عن الخطورة في التسرع في التدريب فتقول إنه:

(لو استخدمت قوة الإجبار، فإن ثعبان الكونداليني، سوف ينساق إلى أعلى قبل الأوان حارقا كل الشوائب في طريقه، ويصل إلى المخ غير المعد لاستقباله، وعندئذ لن تتحمل أجزاء من المخ حمام النار هذا... وقتئذ سوف تحدث اضطرابات مختلفة الأنواع.

ويقول هاري إدواردز في كتابه (الاتصال الروحي) وفي أكثر من موضع في مؤلفاته: (إنه من الأفضل أن يكون التدريب ببطء، وحتى يسير قدما، وأن الوسيط عندما يتدرب يجب أن يفهم ما يأتيه من معرفة بوعي، ويشرب من كأس الحكمة قدر طاقته بالتدريج).

لذا نجد أئمة الصوفية - خاصة في عصور ازدهارها - يجرون اختبارات لتلاميذهم، ويباشرون تصرفاتهم، أولا بأول ويراجعونهم فيما يفعلون، وفي هذا المعني يتفق علماء الروح أن وراء كل وسيط روحي راق روحا مرشدا يوجهه بشكل ما، ويتركه عندما يعود لصوابه، ويصحح خطأه، وعندئذ سوف يفهم الوسيط خطأه من تلقاء ذاته، وقد نجد فيما تقدم صدى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (وإن كان لا يتوافر لنا تفاصيل حياته في مرحلة الصبا والشباب) فقد أخذ يعد نفسه بإلهام من الله تبارك وتعالى في التحنف حوالي عشرين عاما على الأقل، من سن العشرين تقريبا حتى سن الأربعين، إلى أن أصبح في مرتبة سامية جذبت إليه الروح الأمين - جبريل عليه السلام - الذي طالما انجذب إلى أخوة محمدٍ من الأنبياء والرسل السابقين، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه أما ما يتعلق فيما تقدم من توجيه الروح المرشد فقد قيل: إنه صلى الله عليه وسلم وهو في مقتبل شبابه قد ترك غنمه يوما لراعي زميله وهبط إلى مكة في جنح الليل ليشاهد فيها أماكن اللهو التي طالما سمع عنها لكنه قبل أن يبلغها استرعى انتباهه عرس زواج، وقف عنده ثم ما لبث أن نام ونزل ليلة أخري فسمع موسيقى من السماء فجلس يستمتع حتى نام فالروح المرشد، قد يوجه صاحبه، بأذن من الله تعالى للاختيار، بحيث يقتنع بنفسه بنتيجة ما يقدم عليه، وإذا لزم الأمر، فإنه يدركه في اللحظة المناسبة ليمنع عنه الفتنة أو أفعال الشباب، ولعلنا في هذا المقام نتذكر ما حدث للنبي يوسف عليه السلام:{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف: ٢٤].

وقد يمكننا أن نفسر هذا البرهان الذي أدي إلى صرف السوء والفحشاء عن النبي يوسف ظهور ملاك أو روح مرشدة أمام عينيه، قام بفتح الأبواب التي أحكمت غلقها امرأة العزيز لتمكن يوسف عليه السلام من الهرب منها، ونجد في القرآن الكريم أكثر من أية تؤكد على وجود ملائكه (أو أرواح مرشده) للبشر أثناء حياتهم الدنيوية، على حسب قدر إيمانهم و استقامتهم:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾} [فصلت: ٣٠ - ٣١].

وقد يجدر بنا ألا نغفل عند حديثنا عن تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء أكثر من عشرين عامًا وممارسته لرعاية الغنم بتواصل ما يقارب خمسة عشر عاما (من سن الثامنة حتى الثانية والعشرين) حين بدا تجارته مع السيدة خديجة رضى الله عنها ، ويقال أيضًا أنه مارسها على فترات أيضاً بعد زواجه من السيدة خديجة، حتى تاريخ بعثه، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:{**ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم وبعثت أنا وأنا أرعى غنم أهلي بأجياد..**} رواه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في صحيحه.

ولا ريب أن التأمل عنصر هام وأساسي في إعداد كل نبي، ولكن من الملفت للنظر أن رعاية الغنم عامل روحي قوي في حد ذاته على وجه التحديد فيجانب أن راعي الغنم الذكي القلب يجد في اتساع ورحابة الآفاق وفسحة الهواء الطلق أثناء النهار، وفي تلألؤ النجوم، ونور القمر إذا ما جن الليل موضعا لتفكيره وتأمله، فلقد دلت

الأبحاث الروحية الحديثة طبقا لما هو مدون في دوائر المعارف الروحية، أنه يكتسب من حياته بين الغنم قوة روحية تكبر مع طول المدة التي يمارسها في رعايته للغنم، إذا تخرج منها شبه إشعاعات (سحرية) تتجمع كما تتجمع أشعة الضوء في بؤرة المرآة المقعرة...

كما يجد ربنا في هذا المقام أيضا حب الرسول صلى الله عليه وسلم الشديد في حياته للنظافة، وولعه بالروائح الطيبة، والأماكن الممتلئة الهواء، ونهيه عن ارتياد الأماكن المزدحمة أو الخانقة، وعن الروائح الكريهة المنفرة، وكان ينادي قائلا:**{من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذي مما يتأذي بنو آدم}** رواه أحمد في مسنده والترمذي.

ومن قواعد علم الروح الحديث التي يؤكد عليها الروح في مؤلفاتهم لنجاح الجلسات الروحية، أن يكون جوها مهيأ من قبل، من إعداد الجو المناسب للوسيط أو للحاضرين، فتكون درجة الحرارة مناسبة، والمكان نظيفًا مريحًا ذو رائحة عطرة طيبة وكذلك الحاضرون للجلسة مما يجعل النفوس جميعا في حالة انشراح دون أي منغصات، إذا أن كثيرا من الجلسات تفشل - كما هو مدون وثابت في مؤلفات وتقارير علماء الروح، بسبب عوامل منغصة للحاضرين، سواء من جهة حاسة الشم أو السمع.. إلخ.

يقول الدكتور على راضي رحمه الله في هذا المعنى في كتابه (اعرف روحك):

(ومن المعلومات عند الروحيين الآن أيضا أن الأرواح المساعدة تأتي لتطهر الغرفة قبيل الجلسة، ولكي لا توضع في طريقها العقبات، يجب

أن تظل الغرفة بعيدة عن المناقشات والأفكار المتعلقة بالأعمال الأرضية، كما يستحسن أن تبقى مظلمة، قبيل انعقاد الجلسة الروحية الخاصة بالغيبوبة).

لذا فمن الأرجح أن يكون اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لغار حراء، رغم مشقة الوصول إليه الذي لم يكن يذهب إليه غيره، هو اختيار مسبب ومبني على قانون روحي، يتطلب أن يكون هناك جو أو ذبذبة الأماكن، وبعضها يفضل الآخر بنسبة كبيرة، مما يطلق عليه العامة من الناس ب (العتبة)، ولا يستبعد أن يكون غار حراء قد استخدم من قبل أنبياء سابقين كجدي الرسول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أو من الأولياء الصالحين.

* * *

الفصل الخامس:

مواهب الرسول صلى الله عليه وسلم الروحية

وطرق هبوط الوحي

لا ريب في أن الوحي هو العامل الجوهري الذي غير من حياة محمد صلى الله عليه وسلم راعي البشر والإنسانية جمعاء، وفيها يتعلق بالوحي، فإن كل ما يمكننا أن نخلص به من كتب السيرة، هو أن الوحي ما هو إلا الرسائل الروحية التي كان يدلي بها جبريل عليه السلام، الذي يلقب أحيانا بالروح القدس أو الروح الأمين، ويطلق عليه الروحيون (الروح المرشد) للرسول صلى الله عليه وسلم وللأنبياء السابقين، كما نخلص أيضا إلى أن اتصال جبريل عليه السلام بالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحدث بطرق مختلفة، وقد تمكنا أن نستشف هذه الطرق من وصف عبد الله بن عباس رضى الله عنه حين قال:

(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمسة عشر سنة، ثمان سنين أو سبعا يري الضوء، ويسمع الصوت، وثمانية أو سبعا يوحى إليه وقد أقام بالمدينة عشرا).

لذا فقد يجدر بنا لكي نوضح طرق نزول الوحي بشيء من التفاصيل أن نقسمها إلى ما يلي:

أولاً: الرؤيا في المنام.

ثانياً: الغيبوبة.

ثالثاً: الرؤيا في اليقظة.

رابعاً: التجسد.

خامساً: الإلهام.

سادساً: الجلاء السمعي.

أولا: رؤية المستقبل في المنام:

لما أصبح سن المصطفى صلى الله عليه وسلم حوالي الأربعين عاما - وأصبح غار حراء رغم مشقة الصعود إليه هو المكان المفضل لراحته النفسية والبرج الذي يتأمل فيه ناظرا إلى الآفاق العلوية حوله وأعده العلي القدير لتحمل الرسالة العظيمة وهيأه لها ظهرت المرحلة الجدية الأولى، إلا أنه لم يدون منها عن فترة حياته مع السيدة خديجة إلا القليل، لأن أغلبها كان قبل البعثة، فلم يهتم بتدوينها، وفيها يتعلق برؤى الرسول صلى الله عليه وسلم تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها في ذلك أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد روي الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:{**أريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين**}. وفي لفظ (ثلاث ليال) جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا هي أنت فأقول:{**إن يكن من عند الله يمضه**} أخرجه البخاري (2895) ومسلم (/792438) وأحمد في مسنده (6/41).

وروي الترمذي وحسنه ابن عساكر عن السيدة عائشة عن الرسول

صلى الله عليه وسلم أنه قال:{جاءني بك جبريل في خرقة خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة}.

وروي ابن عساكر بسنده: (لما ماتت خديجة حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا فبعث الله جبريل، فآتاه بعائشة في مهد فقال:{هذه زوجتك في الدنيا والآخرة}.

وروي ابن عساكر بسنده: (لما ماتت خديجة حزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا فبعث الله جبريل فآتاه بعائشة في مهد فقال: يا رسول الله هذه تذهب ببعض حزنك، وإن في هذه خلفا من خديجة ثم ردها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى بيت أبي بكر، ويقول: يا أم رومان استوصي بعائشة خيرا منزل عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها).

كما رأي صلى الله عليه وسلم في منامه غزوة بدر وانتصاره فيها وفي هذا نزل قول الله تبارك وتعالي:

قال تعالى:{ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} [الأنفال: ٤٣].

كما رأى صلى الله عليه وسلم في منامه كل ما حدث في غزوة الفتح قبل حدوثها وكيف دخل مكة منتصرا وفي هذا قال الله عز وجل:

قال تعالى:{لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾} [الفتح: ٢٧].

ويري صلى الله عليه وسلم في منامه الفرق بين حكم أبي بكر، وحكم

عمر رضى الله عنه مستقبلا فيقول:{بينما أنا نائم رأيت أني على حوض أسقي الناس، فأتاني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي، ليريحني، فنزع ذنوبين، وفي نزعه ضعف الله يغفر له، فأتي ابن الخطاب، فأخذ منه فلم يزل ينزع، حتى تولي الناس والحوض يتفجر} رواه أحمد في مسنده.

وفي مرة أخري يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في رؤية منامية له عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه:{بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ، وعليهم قمص منها ما يبلغ القدم، ومنا مادون ذلك، ومر عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: ما أولت يا رسول الله.. قال: الدين} رواه أحمد والترمذي.

ورأي الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه بعض طبقات النعيم والعذاب في البرزخ فقد قال صلى الله عليه وسلم:

{رأيت الليلة رجلين أتياني وأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بصخرة يشدح بها رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه قلت: من هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فإذا اقترب ارتفعوا، حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدوا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال وشيوخ، ثم دارا، قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالا: أما الذي يشق شدقه فكذاب، والذي يشدخ رأسه رجل تعلم القرآن

ولم يعمل به، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر، فهو آكل الربا، والشيخ الذي في أصل الشجرة النبي إبراهيم، والذي يوقد النار مالك، خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوق مثل السحاب، قالا ذاك منزلك، قلت دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك} رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده والترمذي.

وكل ما كان يراه في منامه من رؤي كان صادقا، وهو كثير لا يسع المجال هنا لحصره، أو ذكره، وقد يجدر الذكر، هنا بأن التاريخ أيضا يحمل لنا الكثير من الرؤى الهامة، وقد ذكر بعضها في الكتب المقدسة، ولعل أشهرها رؤيا النبي يوسف عليه السلام منذ حوالي خمسة آلاف عام وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى:

قال تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾} [يوسف: ٤ - ٥].

ويقول عز وجل:

قال تعالى:{فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾} [يوسف: ٩٩ - ١٠٠].

والنبي إبراهيم رأى - كما هو معروف - تلك الرؤيا الشهيرة التي

وردت في القرآن الكريم في قوله عز وجل:

قال تعالى:{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾} [الصافات: ١٠٢].

والنبي يعقوب كما ذكرت التوراة (رأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض رأسها يمين السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة.. وهو ذا الرب واقف عليها..).

وجاء في كتاب (أول فرعون) على لسان ممفيس، قيل الأسرة الأولى قصة حلم رآه ينبئ عن زوال عبادة التماثيل في الأرض وقد تحقق هذا الحلم على يد المصطفي صلى الله عليه وسلم - كما هو معروف - بعد آلاف السنين، يقول ممفيس: (وذهبت للكاهن، وقلت له لماذا أري هذه الأحلام العجيبة.. إذ يبدو لي أني حي وأنا أنتقل في الفضاء والزمن، وفي هذا العصر المستقبل الذي أصل إليه في الحلم، لا أري أي عبادة للتماثيل ويبدو الناس وهم يعبدون شيئا لا يمكنهم أن يروه).

وفي خلافة أبي بكر رؤى هذا الحلم الذي أورده ابن القيم في كتاب (الروح) وقد نوجزه فيما يلي:

(أن ثابت بن قيس كان يقاتل مع خالد بن الوليد مسيلمة الكذاب، فاستشهد، وكان على ثابت يومئذ درع نفيسة فمر به مقاتل من المسلمين فأخذها فبينما مقاتل أخر من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه فقال له: إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما استشهدت أمس مر بي رجل من المسلمين ومنزله

في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد ألقي على الدرع برمة وفوق البرمة رحل.. فأتى خالدَ بن الوليد فمره فليبعث إلى درعي، فليأخذها فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله أبي بكر، فأخبره أن على من الدين كذا وكذا وفلان وفلان من رقيقي عتقي فأتي الرجال خالدا، فأخبره فبعث إلى الدرع، فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته).

ومن الرؤى الهامة التي تروي في العصر الحديث رؤيا أبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة التي رواها ودونت قبل اغتياله بأسبوعين والتي قصها كما يلي:

(بدا لي كان هناك هدوء مميت.. وبعدئذ سمعت تأوهات مكبوتة كأن عددا كبيرا من الناس يبكون، فظننت أني تركت فراشي، ونزلت على السلم، وهناك بدد السكوت صوت العويل المؤلم نفسه، إلا أن الباكين لم يكونوا منظورين، وذهبت من غرفة إلى غرفة، ولم يكن هناك أحد من الأحياء، ولكن نفس أحداث العويل واليأس قابلتني، عندما مررت دهشت، وانتبهت ما معني هذا كله؟ ووصلت إلى الغرفة الشرقية التي دخلتها.. هناك قابلتني مفاجأة قاتلة أمامي، كانت منضدة فوقها رقدت جثه في ملابس الدفن، وحولها الجنود الذين كانوا يحرسونها وكان هناك جمهور من الناس بعضهم ينظر بمرارة إلى الجثة، التي كان وجهها مغطي وكان البعض الأخر يبكي في حرقة.. وسألت: من هو هذا الميت في البيت الأبيض فكان الجواب: إنه الرئيس لقد اغتاله قاتل)

وقد قيل: إن أبراهام لنكولن قال بعد رؤيته لهذا الحلم: (أنا لم أنم بعد ذلك الحلم في تلك الليلة وأصبحت في ضيق شديد منذ تلك الرؤيا).

وفي الرؤى العجيبة الموثقة قضائيا ما نشرته الأخبار في أول عام 1963 في حلم عجيب كان السبب في تبرئة ثلاثة أشقاء، وإدانة شخص أخر أمام النيابة مما كان له ضجة صحفية وإعلامية في حينه فقد قالت الصحيفة:

(لقد شاهد والد الطفلة نعمات عبد الجواد ابنته في المنام، واستمع إليها وهي تروي له تفصيلا في الحلم قصة مصرعها، وقالت له: أن قاتلها هو عبد الحميد، وألقي رجال المباحث القبض على المتهم وكان قد هرب إلى أسوان بعد ارتكاب الجريمة، وعندما جيء به ووجه بالتفاصيل التي روتها الضحية، لأبيها في الحلم، اعترف أنه حقا استدرجها إلى المقابر ثم خنقها وألقى بجثتها في زير ثم هرب إلى أسوان)

ولو كان المجال متسعا لأفضنا في الذكر الكثير عن موضوع الرؤى المنامية وتصرفات الأرواح فيها، ولكننا نود أن نؤكد على نقطتين في غاية الأهمية في هذا الخصوص:

أ- أن الرؤى الصادقة التي كان يراها الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه والتي كانت تتحقق كلها وتجيء مثل فلق الصبح بالإضافة إلى ورود ذكر بعضها في القران الكريم ما لا يدع مجال للشك أو الجدل.. هي نوع من المواهب الروحية - التي أقرها علماء (الباراسيكولوجي) حديثا والتي مازالوا ينكبون في بحوثهم ودراساتهم لمعرفة المزيد عنها.. وما أورده القرآن الكريم وأوردته الأحاديث الشريفة، منذ ما يزيد عن 14 قرنا من الزمان وهو ما عرضنا إليه بشيء من التفصيل، في مواضع عدة من هذا الكتاب.. وعلى أية حال فهم يتفقون تماما على أن الإنسان إذا نام يخرج جسمه

النجمي الأثيري (النفس - أو ما يطلق عليه مجازا الروح) ولكنه يظل مرتبطا به بحبل أثيري (الحبل الفضي) ويجوب الجسم النجمي الأثيري الأماكن المختلفة وهو يتمتع بحواس أقوى بكثير من الحواس العادية وعندما يعود إلى الجسم الفيزقي ويستيقظ الإنسان قد يتذكر ما رآه جسمه الروحي أو لا يتذكر:

قال تعالى:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الزمر: ٤٢].

(الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا) حديث شريف - أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وهذا الحديث يسري معناه، على النوم والموت معا - فمن المعروف أن النوم ضرب من ضروب الموت، أو كما يقال عنه (الموتة الصغرى).

وما يحكي به الروحيون عن هذه الحواس الروحية، أثناء النوم حكي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل فقد تكرر في كتب السيرة كثيرا أنه صلى الله عليه وسلم (كانت تنام عينه ولا ينام قلبه) فنري إذن أن القلب هنا يعني الجسم الروحي الذي لا ينام مع نوم الجسد الفيزيقي.

كما يتفقون على أن الرؤيا قد تنصب على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد تكون رمزية، وقد تكون واضحة - وهي تنشأ غالبا عن مساعدة أو إرشاد من شخصية في عالم الروح، قد يشعر بها النائم أو لا يشعر، أثناء عرض الرؤيا، وهذه الشخصية

تسمى بالروح المرشد وأن درجة علو هذه الروح، لابد وأن تتناغم مع الدرجة الإيمانية للنائم وسمو روحه أيضا، وفي هذه النقطة قال الرسول صلى الله عليه وسلم:{**رؤيا المسلم يراها أو تري لـه**} أحمد في مسنده والترمذي وصححه مسلم.

فالرسول صلى الله عليه وسلم عند نومه إذن كانت روحه الطاهرة تصحب روح المرشد جبريل عليه السلام في رحلاته ومشاهداته المنامية.. ومن الأرجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تعرف على جبريل عليه السلام في منامه ومشاهداته المنامية.. وهكذا بدأ الوحي وقد يؤيدنا في ذلك قول السيدة عائشة، بأن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يري رؤيا إلا جاءت في فلق الصبح.

ب- وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشترك مع الكثيرين سواء من الأنبياء أو الصالحين أو حتى سائر الناس سواء من أتباعه أو غيرهم في إحدى المواهب الروحية، وهي الرؤية المنامية الصادقة، والتي كان يميزها صلى الله عليه وسلم في الحلم بقوله:{**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**} أخرجه مسلم وأحمد في مسنده.

إلا أنه يجب أن ننبه هنا إلى أنه فيما يتعلق بهذه الرؤى الصادقة، فقد خصه الله عز وجل بخاصيتين ينفرد بهما صلى الله عليه وسلم :

أولهما: أن كل رؤاه المنامية صادقة، وليس بعضها أو أغلبها - إذا أنها كلها وحي له من الله عز وجل بصفته رسول الله إلى الإنسانية جمعاء ورحمة الله للعالمين

ثانيهما: أن من يرى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه سواء من

المسلمين أتباعه أو حتى من غير أتباعه، فقد رآه حقاً وصدقاً، وينطبق ذلك على من رأوه صلى الله عليه وسلم سواء أثناء حياته، أو بعد مماته صلى الله عليه وسلم لأن الشيطان لا يمثل به أبدا، وقد أكد صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله:

(من رآني فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي).

وفي هذا المعني تقول السيدة جويرية بنت الحارث اليهودية، والتي تزوجت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بني المصطلق، في رؤيا لها عن الرسول تحققت:

(فقد رأيت قبل مجيء النبي على قومي بثلاث ليال، كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر أحداً من الناس، فلما سبينا رجوت الرؤيا.. وقد أعتقني النبي وتزوجني).

والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه، كانت بين السبايا في غزوة (بني المصطلق، فأكرمها النبي صلى الله عليه وسلم من أن تذل ذلة السباء، فتزوجها وأعتقها وحض المسلمين على إعتاق سباياهم، فأسلموا جميعاً، وحسن إسلامهم وخيرها أبوها بين العودة إليه، أو البقاء عند رسول الله فاختارت رضى الله عنها الإسلام والبقاء في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتقول رواية أخرى: أن سودة بنت زمعة التي تزوجها النبي بعد السيدة خديجة، رأت حلماً مشابهاً، أي أن قمراً انقض عليها من السماء، وهي مضطجعة فأخبرت زوجها آنذاك السكران بن عمرو رضى الله عنه، الذي كان على فراش الموت، ففسر لها منامها، بأنه سوف يموت، وتتزوج من بعده من هو أفضل منه بكثير وهذا ما

حدث بالفعل.

والسيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها ، مات ابن عمها السكران بن عمرو رضى الله عنه المتزوج بها بعد عودته من الهجرة إلى الحبشة ولا مأوى لها بعد موته، إلا أن تعود إلى أهلها، فيكرهوها على الردة، أو تتزوج بغير كفء لها فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم حماية لها وإكراماً.

واستيقظ عبد الله بن عباس رضى الله عنه من نومه مرة، وهو يصرخ قتل الحسين، والله وكان ذلك قبل استشهاده، فأنكره أصحاب فقال:

(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم، فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه، أرفعها إلى الله تعالى فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله).

ومن الرؤى الشهيرة الحديثة ما رآه الشيخ الجليل / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه في رؤيا منامية قبل حرب أكتوبر 1973، يبشره بعبور قناة السويس واستيلائها على خط بارليف الحصين، وكان آنذاك ضرباً من ضروب المستحيلات العسكرية - وهم يكبرون ويهللون - وأبلغ الشيخ الجليل رحمه الله هذه البشارة العظيمة إلى شعب مصر، وإلى قياداته السياسية والعسكرية قبل الحرب... وهو ما حدث فعلاً بفضل الله وعونه وتوفيقه، فقد عبرت القوات المسلحة المصرية، واستولت على خط بارليف المنيع، وهم يرددون جميعاً نداء الإسلام العظيم،

بالتكبير للمولى عز وجل، وكان هذا الترديد لكلمة (الله أكبر)، كما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم هو مفتاح النصر في هذه الحرب وتحرير سيناء من دنس ورجز صهيونية العدو الغاضب المحتل.

ورؤية الأولياء والفقهاء والعلماء والصالحين وحتى سائر الناس سواء من أتباعه صلى الله عليه وسلم أو حتى من غير أتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم في مناماتهم لا تعد ولا تحصى... سواء جاء لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، في هذه الرؤى هادياً أو مبشراً أو نذيراً... فرسالته صلى الله عليه وسلم باعتبارها الرسالة الخاتمة، والمتممة لكل ما قبلها من رسالات، ماضية تحفظها عناية الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

* * *

ثانيا: الغيبوبة

وفي ذات مرة في شهر رمضان المبارك عندما كان صلى الله عليه وسلم يتعبد في الغار... وفي تجليات هذا التعبد التي لا توصف... والتي لا يلتمس معناها إلا من ذاق بعضاً من حلاوتها سمع صوتاً يناديه... ويقول له: إقرأ. فتعجب صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه لم يكن يعرف حينئذ كيف يقرأ... وتصف السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها هذا الحادث فيما بعد بقولها:

(أنه حبب إليه الخلاء... وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه... حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك وقال له: اقرأ، فقال:{ما أنا بقارئ... قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني... فقال: إقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطي الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني... فقال: اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارئ.. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني.. فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ... فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني}. فقال:{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾} [العلق: ١ - ٥].

ومعنى الغط هنا هو الغيبوبة... وتعبير الرسول هنا بجملة (حتى بلغ مني الجهد) يشير إلى أن هذه الغيبوبة كانت مصحوبة ببرد ورعشة... وقد وصف القرآن الكريم هذه الحالة في تلك الفترة في قوله جل وعلا:

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾} [المزمل: ١ - ٢]،{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾} [المدثر: ١ - ٢].

وينتبه صلى الله عليه وسلم وهو مجهد الأنفاس، وقد كساه العرق، وقد أخذ تصلب الأطراف في الاختفاء رويداً رويداً... ويتذكر ما قد رأى وسمع ويستعيد تصوره ويردده لنفسه حرفاً حرفاً... فقد كانت تجربة فريدة جديدة عليه في الغار بعد عشرين سنة، من التحنث والتعبد.. أشعرت قلبه أيضاً بشعور جديد.. جميل ورائع ولكنه مبهم في ذات الوقت.. إذ أصبح قلبه يحمل كلمات نورانية، فيأخذ في ترديدها، ويصف صلى الله عليه وسلم ذلك بإيجاز شديد فيقول: (هببت من نومي، فكأنما كتب في قلبي كتاباً.. فخرجت) أحمد في مسنده والترمذي.

ولقد خرج صلى الله عليه وسلم من هذه المفاجأة، غير المنتظرة مشدوهاً... وعندما رجع إلى بيته ألقي محمد الإنسان، بنفسه بين أحضان زوجته السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وأسر إليها بما حدث له والقرآن الذي سمعه.. ونظرا لبغضه الشديد، للأصنام والكهانة بكافة أشكالها، وأنواعها وضروبها، وخشيته على نفسه من هذه الكهانة، أفرد لها هذه العبارة التاريخية الخالدة الرائعة:

(والله ما بغضت هذه بغض الأصنام شيئاً قط، ولا الكهان وإني أخشى أن أكون كاهناً) أحمد ومسلم والترمذي.

وكانت السيدة خديجة رضوان الله عليها تتميز بحكمة ذائعة الصيت ورجاجة عقل، ووقار شهد لها بهما قومها، وكانت قد شاهدت فيه من قبل من دماثة الخلق، وإشراق علامات النبوة فيه، وما أتى لها من خير وبركة بعد زواجها منه وما حكي لها عنه قبل زواجها منه، ما يكفي تماماً ويفيض بكثير.. بأنه مبارك من السماء ومحفوظ بعناية الله تعالى ورعايته، وأنه عز وجل لن يخزيه أبداً.. فقالت رضوان

الله عليها قولتها المأثورة التاريخية الرائعة.. التـي تنم عن فكر عـال وثاقب.. وإحساس بلغ من السمو مداه وحجـة دامغـة.. وبلاغـة قـول.. وفصاحة لسان:

(أبشـر فـوالله لا يخزيـك الله أبـداً.. إنـك لتصـل الـرحم.. وتصـدق الحديث.. وتؤدي الأمانـة.. وتحمل الكل.. وتقري الضيف.. وتعين على نوائب الحق..).

(أبشر يا بن عم وأثبت فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة).

وذهبت معه صلى الله عليه وسلم للزيادة في طمأنينته، إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان رجلاً ورعاً يدين بالمسيحية، وقد اعتزل قومه.. خوفاً من بطشـهم.. وكـان يعمل تماماً مثل غيره من أهل الكتـاب بالبشارات التي وردت في التوراة والإنجيل، مردداً إياها عن قرب ظهور خـاتم الأنبيـاء والمرسلين فـي بـلاد العـرب.. وأن هـذا النبـي سيكون محل اضطهاد وإنكار وعداوة من قومـه، وأنهم سيضـطروه للخروج والهجرة من بلده ليستقبله هو وصـاحب لـه بالتهليل والفرح والدفوف، وترديد الأناشيد المرحبة بلد آخر.. ورد ذكرها فـي بعض هذه البشـارات نصـاً ولفظـاً (تيمـاء) وهـو الاسـم القـديم ليثـرب " أي المدينة المنورة ".

قـال لـه ورقـة وهـو يتنبـأ لـه بمسـتقبله، ويشـاهد دلالات وإمـارات ونورانيـة النبوة فيه:

(.. هذا الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام - ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك) فقال صلى الله عليه وسلم :{أو مخرجـي هـم؟}

قال: (نعم.. ولأن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزرا..). ولكنه مات قبل ذلك بحوالي عشر سنوات.. ولم يدرك هجرة الرسول.. التي تنبأ له بها.. في البشارات التي وردت في كتب أهل الكتاب.

وذاعت الأنباء.. وانتشرت الأخبار.. بأن محمداً صلى الله عليه وسلم ينزل عليه وحي من السماء.. ويشير إليه بعض من قومه قائلين بتعجب أو باستخفاف: هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء!؟.

وبدأت الآراء تتضارب ونظراً لأن قريشًا لم تعرف من قبل ماهية الوحي.. رغم سماعهم.. ترديد أهل الكتاب من اليهود والنصارى الموجودين في الجزيرة العربية أو في بلاد الشام من قرب ظهور النبي المنتظر في بلاد العرب، فقد رموه تارة بالجنون.. وتارة بالخداع لكي يكتسب بينهم مكانة إلى غير ذلك..

ووصل الجهل بالكثير منهم إلى الاعتقاد أن الوحي، يجب أن يختار العظيم فيهم.. فقد قال الوليد بن المغيرة آنذاك: (أينزل على محمد وأترك أنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين؟!).

وعندما بدأ صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة من الزمان يمارس رسالته ودعوته الخالدة إلى عبادة الواحد الأحد الديان.. ناهياً عن عبادة الأصنام والأوثان.. آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وضلالات وأساطير وخرافات ذلك الزمان.. سار رجال من علية قريش وسادتها إلى عمه أبي طالب يشكونه إليه.. وفي ثالث مرة قالوا له: (إنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد

الفريقين).

فيذهب أبو طالب إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له بأبوة وتأثر مما سمعه من سادة قريش: (فأبق على وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق..).

وعندئذ يتفجر الحق في فم ابن الأخ، دمث الخلق المطيع الطيب الطاهر الوقور الحنون المتواضع الفؤاد، ويقول لعمه قولته المأثورة الشهيرة الخالدة:

(يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته..)

نعم هنا تظهر النفس العظيمة، المؤمنة المتقدمة المطمئنة، لما تقوم به وأقدمت به وأقدمت عليه مهما واجهت من أذى وأحداث جسام، وهنا يتجلى اليقين القوي، التام لتتلألأ أنوارهما، على البشرية فيعطيا لها دروساً مضيئة يحتذي بها.

ومنذ أقدم العصور ونحن نرى أن قوانين الناموس تنفي وجود نتائج بدون مسببات ومنذ أقدم العصور ونحن نرى الصراع قائماً بين النور والظلام فالنبي إبراهيم عليه السلام جد محمد صلى الله عليه وسلم عندما حطم الأوثان وسفه عبادتها أيضاً نادى قومه بحرقة لنصرة آلهتهم من الأوثان:

قال تعالى:{ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾} [الأنبياء: ٦٨].

وموسى عليه السلام عندما نادى بالإله الواحد اتهمه آل فرعون ومنافقوه بالفساد والإفساد في الأرض:

قال تعالى:{ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾} [الأعراف: ١٢٧].

ولقد أورد المولى عز وجل النتائج بعد استيفاء المسببات بإجمال معجز في قوله تعالى:{وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن كيفية إتيانه الوحي قال: (أحياناً يأتيني مثل صلصة الجرس، وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال) رواه أحمد - الترمذي - وصحيح مسلم.

ووصفت السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ما كانت تراه بقولها:

(لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

وروى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه وصفه لهذه الحال بقوله:

(كان إذا نزل أخذته برحاء - أي آلام تشبه الحمى - شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سرى عنه، وكنت أكتب وهو يملي على).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: (كان محمد صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوى كدوى النحل..).

ولكن تأتينا كتب السيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تمرن على الغيبوبة وقت إتيانه الوحي، لم يعد يرهبها، وأصبحت

تأتيه على هيئة مخففة حتى وهو مع أصحابه أو مع زوجته.. ومن ذلك على سبيل المثال أنه وقف صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب.. فقام رجل وسأله قائلاً يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ (فسكت عنه النبي وقلنا يوحى إليه، وسكت، وسكت الناس وكأن على رؤوسهم الطير، ثم مسح عن وجهه الرحضاء ثم أخذ يجيب السائل).

وفي مرة أخرى، حينما كان صلى الله عليه وسلم بمكان يسمى الجعرانة مع أصحابه جاءه رجل بدوي يريد أن يستفسر عن شيء، (فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سرى عنه، فقال: أين الذي يسأل عن العمرة آنفا فالتمس الرجل فأتى به..) ثم أجابه عما يستفسر مما أوحى إليه.

ومن القواعد الروحية المعروفة في العالم حديثاً والمثبتة في مراكز ودوائر المعارف الروحية في الغرب، أن الغيبوبة نوع من الوساطة الروحية، متفق عليها بين علماء الباراسيكولوجي الحديثين بلا استثناء وهي من أقسى أنواع الوساطة إذ أنها ترهق الجسم ويعاني منها الشخص معاناة كبيرة، خاصة عندما يستفيق، إذ يتطلب الأمر أن يأخذ وقتها عناية ورعاية حتى يعود إلى طبيعته.

وقد يلزم التنويه هنا ونحن نتحدث عن قواعد علم الروح الحديث لمجرد البحث والدلالة... أن نراعي القياس مع الفارق الشديد... فالذي يحمل وحي الله عز وجل، هو الروح القدس، والأمين جبريل عليه السلام والموحى إليه الذي يتلقى هذا الوحي هو رسول الله للإنسانية جمعاء ورحمته المهداة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم..

وقد يجدر بنا الذكر هنا أن علماء الإسلام، قد سبقوا علماء الروح الحديثين في وصف الغيبوبة المتعلقة بالوساطة الروحية.

يقول الإمام الغزالي في كتاب (المنقذ من الضلال) في وصف الغيبوبة:

(إن من الناس من يسقط مغشياً، عليه ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب..).

وجاء في كتاب الإبريز، أنه كانت تحدث للشيخ الدباغ غيبة عن جسمه، حتى أن الجالس معه يراه بمنزلة من خرجت روحه، ولا يبقى في ذاته رضى الله عنه حركة نفس ولا غيرها في شفتيه وما يقرب منهما في العروق.

وقد يلفت النظر أن نفس التعبير الذي استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم (صلصلة الجرس) استعمله مسلمون من إتباعه بعده.. فقد جاء في (الإنسان الكامل) للجيلاني، وصفه للغيبوبة التي كان يذهب فيها بقوله: (وفي هذا التجلي سمعت صلصلة الجرس فانحل تركيبي، واضمحل رسمي، وانمحى اسمي، فمكثت لشدة ما لاقيت مثل الخرقة المعلقة في الشجرة العالية، تذهب بها الرياح الشديدة شيئاً فشيئاً).

يقول السير أوليفر لودج مدير جامعة برمنجهام سابقاً واصفاً غيبوبة الوسيطة مسز بيير:

(كان نومها عميقاً له أعراض التخدير بالكلوروفورم) (كتاب أعرف روحك للدكتور على راضي).

وتقول الوسيطة الشهيرة مسز ميلون (الإنسان روح لا جسد للدكتور رؤوف عبيد):

(أشعر ببرودة ورعشة وكأن ماء يجري على ظهري.. وبضوضاء في أذني، وكأني أغوص في باطن الأرض وعندئذ أفقد وعيي).

وتقول أرسولا روبرتس في كتابها الشهير (إرشادات لتنمية الوساطة):

(يصبح الشخص وهو في الغيبوبة، أشبه بشخص ميت، فالتنفس والنبض يصبحان غير ملموسين، ومثل هذه الحالة تكون مصحوبة بالخطر الذي قد ينشأ من انقطاع حبل الحياة، الذي تتصل الروح بالجسم عن طريقه (الحبل الفضي)، وعندئذ تحدث الوفاة.. وهذه الحالات تخيف من يشاهدها، لأن الوسيط يبدو ميتاً، والتنفس المرهق الطويل عندما تأتي روح لإحياء الجسد شبه الميت.. وبعد ذلك عند مغادرة الروح، سوف يخرج الوسيط تأوهات طويلة، وأحياناً صيحات ألم عندما تعود الحياة إلى جسده الذي كان بارداً ومرهقاً.. ومن هنا نشأت الفكرة أن الوساطة شيء غير مرغوب فيه، لأن مثل هذه الغيبوبة، لابد أنها كانت تحدث إجهاداً ضخماً في القلب والأعضاء الحيوية).

وللغيبوبة تفسير وساطي، وهناك اصطلاحات يعرفها علماء الباراسكولوجي في الكلام عنها تقول فيها أيضاً أرسولا روبرتس: (ليس الوسطاء بمتوهمين عندما يقولون أنهم يشعرون بقشعريرة البرد عندما تتصل الروح بها لاتهم وقد يشعرون أيضاً بحرارة عندما تعطي الروح شيئاً من المغناطيسية لتلك الهالات.. وقد يشعرون بإغماء تام عندما يسحب منهم شيء من المغناطيسية، وأحياناً يشعرون بتعب كبير في المعدة أو القلب أو الرأس إذا كان المساعدون من عالم الروح يستعملون أشعة بقصد بها إبطاء أو

إسراع ضربات القلب أو الهضم أو العمليات العقلية، وقد يكون هناك أيضاً تغير في غدد معينة، يجب أن تثار لكي تسير الوساطة في الطريق الصحيح..).

ولقد أوردت دائرة المعارف الروحية البريطانية تقريراً عن التجارب التي أجريت على وسيط الغيبوبة رودي شيندر، فوجد ارتفاع معدل تنفسه من قدره العادي 16 في الدقيقة إلى 200، 250، 300 في الدقيقة.. وأن درجة حرارة الغرفة انخفضت فجأة سبع درجات ثم استمر هذا الانخفاض حتى 20 درجة فهرنهايت، وكان هذا الانخفاض مصاحباً لحدوث الظواهر الروحية في الجلسة، وهذا عكس ما يتوقع من جلوس عدة أشخاص، في غرفة مقفلة أثناء الجلسة، حتى وإن كانت الغرفة كبيرة، فقد كان المعقول أن ترتفع درجة الحرارة لا أن تنخفض.

ويقول العالم هاري أدواردز في كتابه الشهير (الاتصال الروحي): إن التنفس سوف يزداد بسرعة، ولكن مع التجربة، سوف يتعود الوسيط على اتصال الروح، المرشد به، ويقل كثيراً اضطراد التنفس وهذه علامة الوسيط المتدرب).

ويتحدث هاري إدواردز عن فاعلية الروح المرشد في الوسيط والمعنى الحقيقي للهيمنة فيقول:

(إن جسد الروح المرشد ليس جسداً مادياً بل روحياً، ولذا لا يمكنه أن يستولى على الجسد المادي للوسيط وتكون هيمنة الروح على الوسيط مجرد هيمنة عقلية وعندما يستولى المرشد على الجهاز العقلي للوسيط يصبح بالطبع متحكماً في حركة الجسد، وفي استخدام الذراعين

والساقين والأحبال الصوتية، كما أنه يمكنه أن يستمع للأصوات عن طريق أذني الوسيط، وبذا يصبح قادراً على إجابة الأسئلة..).

ثم يتكلم عن مدى قرب الروح المهيمن من وسيطه فيقول:

(ويمكنه أن يترنم مع الوسيط على بعد.. ولو أن الأخير قد يشعر بقربه والمسألة مسألة تقديرية لا غير، والشعور بحضور الروح المرشد شعور حقيقي ويجب ألا يشك فيه، ويجب أن يرحب به، ويتعرف عليه، وكلما زادت أواصر المحبة، فسوف يصبح عقل الوسيط المترنم أكثر نشاطاً وحساسية).

ومن الملاحظ أن ما اتفق عليه علماء الروح الحديثون، يقارب كثيراً ما قاله الصوفيون من المسلمين، وبعض علمائهم المتقدمين.

فالزركشي في (البرهان) يقول: (إن رسول الله انخلع من صورته البشرية إلى صورته الملكية.. فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد ترقى بروحه حتى وصل إلى درجة الروح الأمين.. أو أن الملك انخلع من الملكية إلى البشرية ليتلاقيا).

ويقول الشيخ الدباغ في (الإبريز) عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة يوم شقت الملائكة صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وهو صغير، ففي ذلك الوقت وقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته صلى الله عليه وسلم وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع روحه).

ويقول أيضاً في تمييز درجات الوحي:

(إذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الكلام بغير اختياره فهو

القرآن، وإن كان باختياره فإن سطعت حينئذ أنوار عارضة فهو الحديث القدسي، وإن كانت الأنوار الدائمة فهو الحديث الشريف الذي ليس بقدسي).

والأنوار التي يتكلم عنها الشيخ الدباغ يقصد بها الأنوار التي تصدر من الروح المهيمن (جبريل عليه السلام) وعلى قدر نسبة ظهوره يكون الحديث صادراً منه وإلا كان صادراً من عقل النبي نفسه.

وقد يجدر بنا أن ننوه في هذا المقام إلى أن الوحي عن طريق الغيبوبة قد تتكرر وتعدد كثيراً عبر التاريخ وأتى بألسنة مختلفة في شعوب مختلفة فهداية السماء للإنسانية على الأرض، لم تتوقف منذ خلق آدم عليه السلام:

قال تعالى:{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤].

قال تعالى:{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥].

ومن ذلك على سبيل المثال أنه جاء في كتاب (أول فرعون) لمؤلفته دجمار أوكونر وصف لوسيطة الغيبوبة سوفيرا التي عاشت منذ أكثر من خمسة آلاف عام: (جاء صوت من سوفيرا.. كان صوتاً مختلفاً عن أي صوت استعملته، وكان قوياً مثل صوت الرجل وهي المرأة الضعيفة.. وقال لنا الصوت عن كائن عظيم، هو إله الكل، والذي لا يؤمن بالآلهة الأخرى، تلك التي خلقها الإنسان، أو أتى بها القدماء، وأخبرنا هذا الصوت، أن هناك كائناً واحداً فقط، إلهًا واحدًا يحكم الجميع هو المسئول عن حفظ أمواج البحر في مكانها حتى لا تفيض.. هو المسؤول عن الرياح التي تعم الأرض.. هو المسؤول عن الأنفاس في أجسادنا.. هو الذي يرعى كل حشرة فوق الأرض.. هو في الواقع الحياة نفسها).

وقد يتضح جلياً مما سبق أن سوفيرا هذه، لم تكن أقل من قديسة، إذ يتنزل عليها هذا الكلام الصادق الذي يحمل معاني رسالات الأنبياء والرسل.. ومن العجيب أن سوفيرا كانت أمية، لذا فأن سامعي هذا الوحي يتعجبون.. لأنهم واثقون من أمية سوفيرا وأنها لا تعرف كل هذه الحكمة فيسألونه: من أنت؟ فيجيب الوحي:

(أنـا رسـول الحـق إلـيكم، أنـا آت مـن الله الواحـد الأحـد أمـا الآخـرون (يقصد التماثيـل) مـا هـم إلا رمـوز.. أنـا رسـول مـن الواحد العظيم).

ثم تصحو سوفيرا من الغيبوبة مرتعدة، ويذعر الحاضرون من هذه التجربة الجديدة، عليهم فيتلطفون بها، ويأخذونها إلى منزلها، وهي مجهدة لتنام نوماً طويلاً.

ويحدثنا كتاب (أول فرعون) عن أن سوفيرا كانت تعاني من نسيان ما تتحدث به في غيبوبتها فتقول:

(أحياناً أتذكر ما أرى وأحياناً كنت أحزن عندما أعود إلى جسدي، بعد أن يتكلم الحكيم خلالي.. وأجد نفسي قد نسيت، كأن عقلي أصبح ظلاماً دامساً، ولكني بعد قليل كنت أتذكر إذ يعود إلى ذهني كل شيء).

هذا كما جاء أيضاً في هذا الكتاب، أن شخصاً كان يدعى (عبد الله) قال بأنهم في تلك الأيام البعيدة التاريخ، كان يتصلون بـ (روح الحيـاة) ولا يسـتبعد أن يكـون هـذا اسـماً لـروح عاليـة مشـابه لجبريل، أو يكون اسما آخر لجبريل نفسه.. فلقد أنبأنا الله تبـارك وتعـالى فـي القـرآن الكـريم بـأن هنـاك أنبيـاء لـم يقصصهم الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول روح هذا المصري القديم (عبد الله):

(قبل أن يأتي الشخص العظيم إلى الأرض ليبين طريق الجنة، تعلمنا نحن طريق الجنة هذا من الاتصال بروح الحياة الذي جاء ودخل في قلوبنا).

كما جاء في موضع آخر من ذات الكتاب.. إن روحاً مرشداً كان يتصل بسانا زوجة أول فرعون، وأنه قال لها في إحدى المرات: (في فترة من الزمن وبعد عدة مئات السنين سوف يأتي واحد إلى هذه الأرض ليهدي قلت: ألمصر هو قادم؟.. قال: سوف تطأ قدماه تراب مصر أو بالأحرى أبواه..).

كما أن الكتاب المقدس به الكثير من الآيات التي تدل على وجود الغيبوبة عند كثير من الأنبياء والمرسلين فعلى سبيل المثال.. جاء في التوراة:

(وحي الذي يسمع أقوال الله الذي يرى رؤيا القدير مطروحاً وهو مكشوف العينين..).

(ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على إبراهيم سبات..).

وفي التوراة أيضاً يقول النبي حزقيال عن نفسه:

(فدخل في روح لما تكلم معي، وأقامني على قدمي، فسمعت المتكلم معي وقال لي: يا ابن آدم إني مرسلك إلى بني إسرائيل).

وجاء في إنجيل يوحنا:

(ولما قال يسوع، هذا اضطرب في الروح وشهد، وقال: الحق الحق أقول لكم، إن واحداً منكم سيسلمني).

ولكن للحق، وفي الحقيقة لا يوجد نبي أو رسول، ممن سبقوا الرسول

محمدًا صلى الله عليه وسلم أوحي إليه بالكم أو الكيف الذي أوحي به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم... بل لا نبالغ على الإطلاق إذا قلنا: أن كم وكيف ما أوحى الله عز وجل به إليه يفوق بكثير ما أوحي به إلى أخوته الأنبياء والرسول أولى العزم أصحاب الكتب السماوية والرسالات السماوية - ويكفيه صلى الله عليه وسلم في هذا الخصوص القرآن الكريم بإعجازه وإعجاز آياته، والذي أكمل العلي القدير به دينه على الأرض، وأتم به نعمته على الإنسانية جمعاء وعلى العالمين.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا (٧) وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨)} [المزمل: ١ - ٨].

وفي رأينا أن كثرة تعدد وتكرار الوحي، وترقي روح الرسول في هذا التعدد لتتوافق ذبذبته في الاتصال مع ذبذبة جبريل عليه السلام ومصاحبته له طيلة فترة الوحي غير المسبوقة مع أي نبي أو رسول آخر - قد أزالا بفضل الله جل وعلا عليه الحجاب بين الذات الطاهرة، وبين الروح الشريفة، ووقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته - كما يقول بذلك الشيخ الدباغ الإبريز - وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع عليه روحه.

* * *

ثالثا: الرؤيا في اليقظة

عندما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة في غار حراء طلب منه أن يقرأ وراءه في الغيبوبة.. ثم أفاق من نومه مرهقاً فزعاً مشدوهاً.. وخرج قاصداً بيته كما سبق أن ذكرنا..

أراد الروح الأمين " جبريل عليه السلام " أن يكمل له في اليقظة ما حدث في الغيبوبة.. وليبث في نفسه في ذات الوقت بعضاً من الطمأنينة لهول ما رأى وأحس به من صوت يناديه باسمه مبشراً إياه بالنبوة والرسالة.

ويصف الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المشهد في قوله:{حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء، أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء} أخرجه البخاري.

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم :{بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء.. فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس ما بين السماء والأرض.. فرعبت منه.. فرجعت فقلت.. زملوني.. زملوني}. أخرجه مسلم ورواه أحمد.

وفي حديث آخر بقوله:{فلا أنظر في ناحية منها إلا رايته كذلك..} رواه أحمد والترمذي.

ونجده صلى الله عليه وسلم مرة أخرى يقول للسيدة أم المؤمنين خديجة:{إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي.. يا محمد.. يا محمد.. فانطلق هارباً في الأرض واليوم رأيت ملكاً هبط على وكلمني وسمعت

صوته، وقال أنا جبريل وأقرأني من كتاب معه في نمط من ديباج}.

وقد يتبين لنا مما تقدم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصف جبريل عليه السلام بأنه ملك أحياناً، وبأنه رجل أحياناً أخرى.. ولكننا نلاحظ بعد ذلك أن ظهور جبريل على هيئة رجل هو الأغلب، فقد جاء في أقواله صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة " أحياناً يتمثل لي الملك رجلاً ويكلمني فأعي ما يقول ".

كما تؤكد لنا كتب السيرة على تعوده صلى الله عليه وسلم على مقابلة جبريل عليه السلام دون خوف منه، إذا أخذ جبريل عليه السلام يدخل عليه في بيته في ألفة ومحبة، سواء كان وحده، أو كان جالساً مع زوجته، وكثيراً ما كان صلى الله عليه وسلم يراه وهو جالس مع السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فيقول:

(يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فتقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى) رواه أحمد والترمذي.

كما كان صلوات الله وسلامه عليه يرى كثيراً من الملائكة، وليس جبريل فقط سواء على هيئتهم أو على هيئة بشرية.. والمتأمل في إتيان جبريل عليه السلام في بداية الوحي على هيئة ملاك هو أمر منطقي لاطمئنان قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وثقته ويقينه في أن ما يأتيه من وحي إنما يأتيه من الله تبارك وتعالى العلي القدير.. أما بعد وثوقه صلى الله عليه وسلم في جبريل وإعجاز ما يتنزل عليه من وحي.. فلم تعد هناك حاجة لظهور جبريل عليه السلام بهيئته الملائكية.. فأصبح يظهر على هيئة بشرية جميلة يألفها صاحبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ أن خالق الكون العظيم وهب

للملائكة القدرة على التشكل بالصورة التي يحبونها، وسبحان من أنزل هذا الكلام.

قال تعالى:{وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ } [الأنعام: ٨ - ٩].

ولا ريب أن نزول الملك بصورته الوضاءة العلوية تزلزل الأرض ولا يتحملها أحد.. إذن فالأمر يقضي أن يخفض من ذبذبته، ويغير من صورته إذا ما نزل للسماء الدنيا ليتصل بنبي مثلاً.. حتى يصبح أقرب منه للطبيعة البشرية التي يريد أن يترنم معها.. وخفض الذبذبة هذا يسميه القرآن الكريم التدلي في قوله جل وعلا:{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾} [النجم: ٤ - ٨].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " نزل جبريل فأمني فصليت معه ثم صليت معه ثم... " خمس مرات ".. " رواه أحمد وصححه مسلم.

ولكن كتب السيرة تؤكد لنا في ذات الوقت، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذات الفترة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى جبريل عليه السلام، على هيئة بشرية، كان يراه في حالات معينة على صورته الحقيقية الملائكية.. مثل ليلة العروج إلى السماء فقد أنزل العلي القدير في محكم آياته:

قال تعالى:{وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ} [النجم: ١٣ - ١٤].

وقد يجدر الذكر في هذا المقام أن معظم قصص التوراة تتكلم عن

الملائكة بصفة البشر ففي سفر التكوين على سبيل المثال - جاء ما يلي:

" طلع الفجر، وكان الملكان يعجلان لوطاً قائلين: قم خذ امرأتك وابنتك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة، ولما توانى أمسك " الرجلان " بيده امرأته، وبيد ابنته لشفقة الرب عليه، وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة ".

ونظراً للترقي الكبير لروح الرسول الشريفة صلى الله عليه وسلم، الذي هيأ لها العلي القدير عز وجل الأسباب والإعداد الكافي، والتدريب مع الروح القدس ذاته جبريل عليه السلام، وبما يترنم مع قواعد الناموس الأبدية التي وضعها سبحانه وتعالى للناموس ولخلقه، فقد أصبح للرسول صلى الله عليه وسلم مدى واسع وقدرة كبيرة على الرؤية لملائكة، وأحداث ومناظر مختلفة بالإضافة إلى رؤيته لجبريل عليه السلام، فقد كان يرى أمكنة وأشخاصاً ومشاهداً لا يراها غيره، حينئذ فقد قال يوم عقبة على سبيل المثال، فيما يتعلق برؤيته للملائكة الآخرين:{**رفعت رأسي فإذا أن بسحابة قد أظلتني، فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: أن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ..**} رواه أحمد في مسنده والترمذي.

وعن جابر رضي الله عنه عندما استشهد أبوه، وجيء به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له الرسول:{**لا تبك ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها..**} أخرجه البخاري ومسلم ورواه أحمد.

وقد أخرج أحمد في مسنده عن نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم

بشهادة الإمام الحسين بن على رضى الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :{لقد دخل على البيت ملك، لم يدخل على قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض، التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء}.

وكان صلى الله عليه وسلم يرى الجن فقد روى عنه أنه قال:

{إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان، رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً} رواه أحمد وصححه مسلم.

ومرة أخرى يرى جاناً يهيمن على صبي ويتكلم بلسانه.. فعن عبد الله بن عمر، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ففر الصبيان وجلس ابن الصياد.. فكأن رسول الله كره ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : {تربت يداك أتشهد أني رسول الله.. } فقال: لا.. بل تشهد أني رسول الله.. فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله..} رواه أحمد.

والمعنى هنا هو أن القتل الذي كان يريده غمر رضى الله عنه لن يصيب الجان الذي يتكلم بلسان الصبي ويتضح من سياق النص أن عمر كان يرى الجان أيضاً لما كان لديه من موهبة الجلاء البصري وقد قيل في هذا أيضاً إن الشيطان والدجال كانا يتمثلان في صورة عبد الله ابن الصياد هذا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إذ في روايات أخرى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب

بأنه لن يستطيع قتله لأن قاتله سيكون المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عند عودته للأرض مرة أخرى.

كما جاء في كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم نعى لهم النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه وقال:{**استغفروا لأخيكم**}.. كما نعى جعفراً وزيداً قبل أن يجيء بخبرهما وعيناه تذرفان.. ".

وبعد أن انتهت معركة بدر قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه بكيا.. فلما سئل النبي أجاب السائل: " أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة " رواه أحمد والترمذي وأشار إلى شجرة قريبة من هذا يتبين أنه صلى الله عليه وسلم رأى بالجلاء البصري البعيد منظراً لعذاب قريش في حين كانت تتنزل عليه الآيات:

قال تعالى:{ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾} [الأنفال: ٦٧].

وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم ما سيصيب أمته من فتن فكان كثيراً ما يقول:{**هل ترون ما أرى**} فقالوا: لا! قال:{**فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر..**} رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده والترمذي.

ويرى أمامه صورة الجنة والنار فيقول صلى الله عليه وسلم :{**ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط أنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها دون الحائط**} أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي.

وعلى أية حال فإن رؤاه صلى الله عليه وسلم ونبوءاته المستقبلية لا تعد ولا تحصى، فمنها ما كان أثناء حياته، وتحقق كله بشهادة

أصحابه ورواياتهم عن ذلك، ومنها ما يتعلق بالتابعين ومن بعدهم وقد تحقق أيضاً كله، ومنها ما يتعلق بزماننا، ويتحقق يوماً بعد يوم، ومنها على سبيل المثال: نبوءته صلى الله عليه وسلم عن ظهور الرايات السود في خراسان.

روى أبو نعيم في " كتاب الفتن " ص 188 بسنده عن محمد ابن الحنفية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " نخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان " أفغانستان " أخرى سوداء قلانسهم سود، وثيابهم بيض، (حركة طالبان) إلى أن قال:{**يكون بين خروجهم وبين أن يسلم الأمر اثنان وسبعون شهراً..**}.

وروى أيضاً بسنده عن أم المؤمنين حفصة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :{**إذا سمعتم بناس يأتون من قبل المشرق أولو دهاء يعجب الناس من زيهم فقد أظلتكم الساعة**} أي يعجب الناس من ثيابهم البيضاء وقلانسهم السود - وقد يلاحظ أيضاً، أن وصفهم، بأنهم أولو دهاء قد يؤكده انسحابهم في الوقت المناسب من كابول، واحتفاظهم بقواتهم تمهيداً لعودتهم وبسط نفوذهم ".

كما روى بسنده عن الزهري قول الرسول صلى الله عليه وسلم:{**إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم (الطالبان وقوات التحالف الشمالي) أتتهم الرايات الصفر**} أي قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة " فيجتمعون في قنطرة أهل مصر " أي مرور قوات التحالف من قناة السويس " فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً.

وروى بسنده عن كعب " الفتن ص 205 " قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " علامة خروج المهدي:{**ألوية تقبل من الغرب**} أي قوات

التحالف عليها رجل أعرج من كندة " وقد تجدر الملاحظة هنا أن الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة أركان التحالف وهو من أصل كندي قد شوهد على عكازين على مرأى من العالم كله في القنوات الفضائية.. حيث كان مصاباً في رجليه آنذاك.. أثناء إلقائه لبيانه عن ضرب قوات التحالف لأصحاب الرايات السود في أفغانستان.. ولا يزال القتال دائراً بضراوة حتى تاريخه بأفغانستان.

نبوءته صلى الله عليه وسلم عن نبوغ أبناء فارس في العلم:

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لو كان العلم الثريا (مجموعة من النجوم) لتناوله ناس من أبناء فارس} حديث صحيح اتفق عليه الشيخان.

وجاء في البخاري سبب ورود الحديث وهو عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنزلت عليه سورة الجمعة وفيها: " وآخرين منهم لما يلحقوا بهم " قال: قلت: من هم يا رسول الله وظل يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال:{لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء}.

وهكذا وقع الأمر كما رآه وتنبأ به الصادق الأمين حيث برز ولا يزال من أهل فارس رجال أولعوا بالعلم والدين، وأشربوا محبته باذلين في ذلك ما يملكونه من رخيص وغال متحملين في سبيله المتاعب والمشاق، إلى أن نبغ منهم، ولا يزال من العلماء الكثير والكثير في كل مجال من مجالات العلم، والدين منهم على سبيل المثال الإمام مقاتل بن سليمان في التفسير، والبخاري في الحديث،

وأبي حنيفة في الفقه رحمهم الله.. وغيرهم الكثير في مجالات العلوم والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والطب.. إلخ بما لا يتسع المجال لذكرهم.

ومن دلالة ذلك في أيامنا هذه التقدم الملحوظ في كافة مجالات العلم ومنها العلوم النووية في باكستان وإيران والعراق.. وما ضرب إسرائيل للمفاعل النووي في العراق، وما أعقبه من حصار وتدمير وتخريب للعراق، وقتل، واختطاف علمائه، والهمجية الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي حالياً على إيران، لوقف تقدمها الملحوظ في مجال العلوم النووية وخشيتها من هذا التقدم وتفوقه إلا دليل كاف على ذلك.

نبوءته صلى الله عليه وسلم عن الفتن الآتية من العراق والحصار والقتال والخراب الدائر فيها حالياً:

" ما رواه مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة فقد سمعت أبي " عبد الله بن عمر " يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{إن الفتنة تجيء من ها هنا..}.

وما أخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (البترول حيث يسمى بالذهب الأسود) يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون (دلالة على كثرة القتلى وهو ما هو قائم فعلاً) فيقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو}** (دلالة على الافتقاد التام للأمن والأمان القائم حالياً في العراق والفتن

والانقسامات الدائرة هناك).

قوله صلى الله عليه وسلم ما رواه أبو داود من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه:{**يا أنس إن الناس يمصرون أمصاراً (أي يبنون مدناً) وأن مصراً منها يقال لها البصرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلئها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف..**}.

وفي رواية الثعلبي " تجمع فيها جبابرة الأرض " ولا جدال في أن البصرة تعرضت أثناء شن الحرب على العراق، إلى قصف شديد حيث دارت فيها أعنف المعارك، وتم ضربها بأم القنابل والقنابل العنقودية لشراسة مقاومة القوات العراقية في بداية الحرب، كما انتشرت فيها آنذاك أمراض كثيرة أخطرها الكوليرا والتيفود والحمى الشوكية من جراء ضرب محطات المياه بها، ومنع المياه النظيفة عنها لفترة طويلة والله جل وعلا أعلم بما هو آت..

روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : {**يوشك أهل العراق ألا يجبي إليهم قفيز (مكيال أهل العراق آنذاك) ولا درهم**} قلنا من أين ذاك؟ قال:{**من قبل العجم**} (أي من غير العرب وهو ما يشير بوضوح إلى سنوات الحصار قبل شن الحرب على العراق وراح ضحيتها أكثر من مليون طفل عراقي قد اشترك في هذا الحصار بجانب الولايات المتحدة والغرب المسلمون من الفرس، ومن غير العرب، ولاحظ هنا بوضوح دقة اختيار لفظ العجم في الحديث الشريف..).

ثم قال صلى الله عليه وسلم:{**ويوشك أهل الشام ألا يجبي إليهم دينار ولا**

مدى} مكيال وعملة أهل الشام آنذاك " قلنا من أين ذلك؟ قال من قبل الروم؟ ولاحظ في هذا الحديث بوضوح أيضاً دقة اختيار لفظ الروم إذ أن ذلك يشير إلى حصار المدن الفلسطينية، من قبل إسرائيل، والعدوان التخريبي الدائم المستمر عليها، ثم الحصار الاقتصادي الواقع عليها من قبل الولايات المتحدة والغرب، ومنع المعونات عن الفلسطينيين، ودخول أموال إليهم، بسبب انتخابهم لحكومة حماس، وهو ما تم ويتم مع سوريا في حصارها اقتصادياً، وثم على لبنان أثناء حربها مع إسرائيل بهدف ردع قوات حزب الله وفشلها الذريع في ذلك.

وكما سبق أن شرحنا من قبل في هذا الكتاب أن الموهبة الروحية التي تمكن إنسان من رؤية شيء، لا يراه غيره في اليقظة التي سماها الأقدمون بالبصيرة، تسمى الآن الجلاء البصري، وأن علماء الروح الحديثين يتفقون على أن مركز حاسة الجلاء، هو موضع بين العينين والذي يسمى بالعين الثالثة وهي العين التي يقال: أنها كانت موجودة عندما كان الإنسان ما يزال أقرب إلى الروح منه إلى المادة في أول نشأته كما سبق أن ذكرنا.. وهي العين التي قال عنها ديكارت: أنها النقطة التي يتعامل فيها الجسم مع النفس، وأنها مركز الإلهام، وما تزال لها صور في كتب الضوء والطب حتى الآن.. وهذا المركز هو في الحقيقة غدة تعرف بالغدة الصنوبرية، وبه صبغة تشبه الصبغة الموجودة في العينين وتتصل بعصبين مع الجهاز البصري ويقال: أنها هي التي تتحكم في تأثير الضوء على الجسم.

وكان قدماء المصريين يعرفون فيما يبدو الكثير عن هذه العين

الثالثة.. وكان لهم في معبد منف مركز روحي يتدرب فيه المتدربون على استخدامها.. وعندما يتمون هذا التدريب يصبحون كهنة، وقد تركوا آثاراً تدل على ذلك.. فكثيراً ما نرى كرة فوق جبهة بعض التماثيل.. وكذلك الثعبان الذي يوضع على الرأس، كما كان الإله بعث يرسم له رأس الطائر المعروف بالرخم، إذ يتميز هذا الطائر بالنظر الحاد.. كما أخذ اليهود عن قدماء المصريون هذه الفكرة.. فكانوا يرسمون إلههم يهوذا وله هذه العين الثالثة.

تقول د / جمار أوكونز في كتابها " أول فرعون " عن وصف لحادث وقع أيام الملك (مينا) عام 3000 ق.م:

(كانت سانا زوجة فرعون تتمتع بموهبة الجلاء البصري حينما كانت جالسة مع أخيها ممفيس قالت: هنا واحد أنا لا أراه بوضوح ليس له جسد مثل أجسادنا، إنه جسم مختلف جميل لابد، وقد جاء من عالم آخر مختلف تمام الاختلاف.. وهو يقول لي: إن الآلهة التي تعودتم على عبادتها لا يمكنها أن تجيب على شيء أبداً، ألم تفكروا فيمن يديم الأرض حية؟ إن الأرض تتحرك باستمرار في الفضاء؟؟.

وتقول سانا أيضاً: (بعد ذلك كنت إذا جلست وحدي في المساء لأصلي وأسبح السماوات، أشعر بذلك الشخص الوضاء معي ولم أعرف أبداً اسمه، ولكن ذلك لم يكن ضرورياً لأنه ذكر لي أن الأسماء لا تستخدم في عوالم الروح).

وموهبة الجلاء البصري قد عرفها الأنبياء الأقدمون، بل أن ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عن رؤيته لجبريل عليه السلام وأنه أقرأه من كتاب معه في نمط من ديباج، قال مثله في التوراة النبي

حزقيال، وإن لم يكن بذات دقة التفاصيل:

" فنظرت وإذا بيد ممدودة إلى وإذا بدرج سفر فيها فنشره أمامي وهو مكتوب من داخل ".

ورأى زكريا جبريل عليهما السلام حين زاره ليبشره بابنه يوحنا المعمدان وقال له:

" أنا جبريل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا.. ".

ويتعدى يوحنا اللاهوتي الحاضر إلى المستقبل فيقول:

" رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض قد زالتا..)..

وجاء في كتاب قصص القرآن للنيسابوري أن الله عندما أراد أن يهلك قوم عاد أرسل لهم سحباً " فلما رأوها استبشروا بها، وقالوا:{هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} [الأحقاف: ٢٤]، وكانت التي أبصرت بها، وعرفت أنها ريح مهلكة امرأة يقال لها: مهدد فصاحت، ثم صعقت، فلما أفاقت قالت: أنها رأت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها.

وجاء فيه أيضاً أن النبي إبراهيم كان إذا سافر وتمنى سارة رفع الله الحجاب بينه وبينها حيث يراها حيث كان.

كما أن كثيراً من المسلمين - على وجه الخصوص - كانوا يتمتعون بهذه الموهبة الروحية أي الرؤيا في اليقظة، ويروي لنا التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أبرزهم، وما رواه التاريخ، عنه إنه إذ كان يخطب في المسجد يوماً فقطع خطبته ووجه حديثه لسارية

قائد جيش المسلمين في ميدان القتال منادياً إياه: " يا سارية الجبل الجبل " فهو قد رآه بالجلاء البصري البعيد.. وثبت بعد ذلك أن سارية قد سمعه فعلاً وهو ينادي عليه، وأنه فعلاً قد التجأ إلى الجبل، تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين وعملاً بنصيحته.

ويروي لنا الصحابي عامر بن الطفيل أنه يوم معركة بئر معونة في المدينة، رأى روح شهيد، وهي تصعد للسماء، فسأل عنها فقيل له: هذا عامر بن فهيرة - حارس الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق، في هجرتهما - فقال:{لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض}.

ويروي لنا ابن حنبل في المسند قصة قصيرة على لسان عبد الله بن عباس رضى الله عنه الذي كان يتمتع بموهبة الجلاء البصري:

" كنت مع أبي عند رسول الله وعنده رجل يناجيه، فكان " أي الرسول صلى الله عليه وسلم " كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: " أي بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه قال فرجعنا إلى النبي فقال أبي: يا رسول الله قلت: لعبد الله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله وهل رأيته يا عبد الله؟ قلت: نعم، قال:{كان ذاك جبريل وهو الذي شغلني عنك}.

وكان الصحابي عمر بن بن حصين الخزاعي رضى الله عنه يشاهد الملائكة ويسلمون عليه فلما اكتوي انقطعوا عنه.

وكان أبو الحسن الحزقاني - المتوفى سنة 1033 م - يتمتع بالجلاء البصري البعيد قال ذات مرة:

" جرح الليلة عدد كبير من الناس " ثم أخبر عن عددهم بالضبط، ثم أخبر عن المكان الذي هجم فيه اللصوص عليهم بالتحديد، ودل البحث عن صحة هذه الرؤيا والقبض على الجناة.

ويقول الإمام الغزالي عن عين البصيرة هذه في كتابه " المنقذ من الضلال " :

" وراء العقل طور آخر تتفتح فيه عين أخرى، يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل، وأمور أخرى العقل معزول عنها ".

وقد يجدر بنا أن نورد بعض الأمثلة الأخرى للجلاء البصري البعيد.. التي تمت في العصر الحديث، ويستند إليها علماء الروح في أبحاثهم لجهلهم بآلاف الأمثلة التي حدثت - ولا تزال - في تاريخنا الإسلامي:

وأشهر هذه الأمثلة ذلك الحادث التاريخي الشهير المسجل في معظم مراكز ودوائر المعارف الروحية بالغرب، والذي وقع سنة 1756م - حيث كان يومئذ العالم سويدنبرج - وهو وسيط شهير - في مدينة جوتنبرج على بعد حوالي 350 ميل من بلده إستكهولم بالسويد عندما رأى حريقاً، ووصفه تفصيلياً، كأنه موجود في ذلك المكان، وكان الفيلسوف الشهير كنت من بين الموجودين معه، وقتئذ وعندما جاءت الأخبار في اليوم التالي مؤيدة تلك الرؤيا سافر كنت بنفسه إلى إستكهولم وتأكد من صحة ما رواه سويدنبرج..

وسويدنبرج هذا كان من أشهر العلماء في أوروبا في وقته، وكان أستاذاً بجامعة إستكهولم، وقد لقب بأرشميدس الشمال لميله للاختراعات وكفاءته الهندسية، ويقول: إن في ليلة سنة 1745 رأى رؤيا منامية فحواها أن الله طلب منه أن يهب نفسه لخدمة جديدة،

فتفتحت بصيرته الروحية، فرأي ما في العالم الروحي، وذهب إليه، وأعلن طوال البقية من عمره أنه قد قابل وتكلم مع رجال ونساء انتقلوا من العالم الدنيوي، وأنه قد خصص مذكرات لكتاب تجاربه هذه، وفيها كتب تفاصيل عديدة ومن أشهر كتبه (الجنة والنار).

أما الوسيط الأسكتلندي الشهير " دانيال هوم "، الذي عاش في القرن التاسع عشر " 1833 - 1886 "، فقد رأى وهو في الثالثة من عمره صديقاً له يموت، وهو على مسافة بعيدة، وقد دل البحث بعد ذلك على أن الوفاة حدثت فعلاً في اللحظة التي رآه فيها هوم.

ويقول العالم هوارس ليف في كتابه " ما هي الوساطة " :

" ليس هناك حد للمسافة التي يصل إليها البصر الثاني، لقد عرفت سيدة رأت موت أخيها، مع أنها كانت في إنجلترا، وهو كان في الهند وأحد أفراد أسرتي، رأى خالي راقداً في المستشفى على بعد سبعة آلاف ميل ".

هذا ويقسم علماء الروح الحديثون الجلاء البصري إلى نوعين: " شيئي " و " إلهامي ".

ويقسمونه أيضاً من جهة أخرى حسب القدرة الروحية، لمن أتاه الله جل وعلا هذه الموهبة وعلوها إلى قريب وبعيد.

وفي هذا المعنى يقول العالم الروحي وعالم الفيزياء الأستاذ الدكتور على راضي رحمه الله في مؤلفه " أعرف روحك " :

(وينقسم الجلاء البصري إلى نوعين شيئي وهلامي، فالشيئي معناه رؤية الوسيط لروح أو لشيء آخر كما لو كان مجسداً، أمامه أي له أبعاد ثلاثة، وقد يكون الروح الذي يراه واقفاً، أو جالساً على كرسي،

إلخ والحياة بادية عليه، ومثل هذا المنظر، لن يستغرق طويلاً ربما ثانيتين.. ثم يضمحل، لأن هذا الروح ليس شيئاً؟ وبذلك لا يرسل بأشعة إلى العين لكي تراه.

وأما في الجلاء الإلهامي، فإن المساعدين من عالم الروح يعملون عن إلقاء صورة معينة لما يريدون إظهاره أمام الوسيط، إما في الظلام أو الضوء الخفيف أو الضوء القوي هنا يكون الأصل عبارة عن فكرة صادرة من عالم الروح وعقل، الوسيط هو الذي ترجمها على هيئة صورة معينة ساكنة أو متحركة، ملونة أو غير ملونة تماماً مثلما تترجم السينما النبضات الكهربائية المارة في الآلة إلى ظلال وضياء، تكون فيها بعد صورة بعد عرضها على حائل.

ويقول في ذلك هاري إدواردز: " قد يبدو للمبتدئ أن الصورة التي يراها في بادئ الأمر ما هي إلا صادرة من خياله ".

ومن هنا قد يمكننا أن نفهم السبب في أن النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الوحي عندما كان يرى جبريل عليه السلام لم يكن يصدق، ويظن أنها مجرد خيالات.

كما ينقسم الجلاء البصري من جهة أخرى إلى قريب وبعيد، ففي الأول يمكن للوسيط أن يرى أشياء مقربة له في مكانه، وفي الثاني يرى أماكن بعيدة تحمل صورها له، حيث هو وقد تكون الصور منقولة من الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

ولقد رأينا فيما عرضنا من قبل كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى العديد من الصور المستقبلية، حتى أنه تكلم عن العصور التي تلته وكأنه كان يعيش فيها ويشاهد أحداثها..

كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه وكان يقول لأصحابه رضوان الله عليهم:{أقيموا ركوعكم وسجودكم فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي} رواه أحمد وأخرجه مسلم والترمذي.

ويتكلم الجيلاني في كتابه " الإنسان الكامل " عن موهبة الجلاء البصري في قمتها فيقول:

(ومنهم من ينعم الله عليه بصفة البصر.. فكان بصر هذا العبد موضع علمه فما ثم علم يرجع إلى الحق وما ثم علم يرجع إلى الخلق ألا وبصر هذا الجسد واقع عليه فهو يبصر الموجودات كما هي عليه في الغيب).

ويقول إينشتين العلامة المشهور في نظريته " النسبية " :

أن كل الحوادث موجودة في مكان ما في الكون، وإنما نمر بها في الوقت المناسب، وأنه يمكننا استخدام السرعة المناسبة للمركبة التي نسافر بها أن نلحق بالحوادث المعينة، وعلى هذا الأساس، لو كان هناك منظر لحادثة، ينتقل بسرعة الضوء مبتعداً عن الأرض، وجب على الذي يريد رؤيته ثانية أن يسير بسرعة أكبر من هذه السرعة، أن يشاهد المنظر المعين، ويأتي ليخبر به وسيطه في الأرض، وبذلك لا يكون هناك شيء مستحيل من الناحية العلمية التي يتشبث بها الماديون والملحدون.. ولا تكن هناك دهشة عندما نسمع عن نبي أو رسول أو حتى - وسيط روحي (راق مشهود له بالإيمان)، أن يصف لنا بالجلاء البصري الذي تجلى به العلي القدير عليه منظر حادث وقع أو منظر حادث سيقع).

وقد نخلص مما تقدم أن موهبة الجلاء البصري، قد اشترك

فيها إلى حد ما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إخوته من الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام بل، وبعض الأولياء الصالحين والصديقين والقديسين وقلة قليلة من سائر الناس الذين تجلى العلي القدير عليهم بهذه الموهبة.. سواء في نوع من أنواعها أو أكثر.. ولكننا في هذا الخصوص أيضاً.. وبما لدينا من أدلة تاريخية جلية وحاسمة، وما لدينا من الكتاب والسنة وما هو ثابت لدينا مدون سواء في الأحاديث الشريفة، أو بما نقله الصحابة والتابعين بأن العلي القدير سبحانه وتعالى، قد تجلى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بكل أنواع الجلاء البصري.. سواء كانت شيئية أو إلهامية أو قريبة أو بعيدة أو من الإمام أو من الخلف أو بنقل الأفكار " السيمياء "... إلخ.

وإذا قال لنا قائل بأن بعض أخوته من الأنبياء والرسل أولي العزم عليهم السلام قد يشتركون معه في كل هذا فإننا نستطيع أن نقرر بثقة كاملة، بأنه حتى ولو كان هذا، فإننا لم نر نبياً أو رسولاً عبر تاريخ البشرية كلها نقل للإنسانية صوراً مستقبلية لما سيحدث منذ عصره، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بهذه الدقة، وهذا الوضوح إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم وليس هذا بمستغرب أبداً لدينا، بل هو عين المنطق والحقيقة التي تمليها قواعد الناموس، فلقد تجلى العلي القدير سبحانه عز وجل عليه بهذه المواهب وغيرها، ومكرمة للإنسانية ورحمة للعالمين بصفته نبي آخر الزمان صاحب آخر الرسالات المصححة والمتممة لكل ما سبقها من رسالات.. والتي ستقوم عليها الساعة وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾} [سبأ: ٢٨].

* * *

رابعاً: التجسد

في الواقع أن أمثلة التجسد عديدة سواء كانت عند المسلمين، أو غير المسلمين، ولدينا الكثير والعديد منها، إلا أن المجال لا يتسع إلا بما يكفي الدلالة والإقناع، وفي ذات الوقت ذكر أهمها: وعلى رأسه ما ذكره القرآن الكريم بتجسد الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى:{ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾} [هود: ٦٩ - ٧٣].

وفي التوراة أن الملائكة تجسدت للنبي لوط:

" فجاء الملكان إلى سدوم.. فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما.. ".

وأن ملاكاً تجسد للنبي موسى:

" وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة ".

وجاء في الإنجيل أن الملاك تجسد للسيدة مريم العذراء عليها السلام:
" فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها.. ".

وقد حدث في كثير من الأحيان أن رؤى جبريل عليه السلام على هيئة رجل يجلس مع النبي صلى الله عليه وسلم ويتحدث معه.. وكان يتخذ غالباً شكل دحية الكلبي رضى الله عنه أحد صحابة الرسول، وكان دحية رجلاً وسيماً جميل الصورة حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه كسفير له عندما أرسله إلى ملك الروم يدعوه للإسلام.

كما جاءه أيضاً على هيئة أعرابي آخر - فذات مرة والرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد مع أصحابه، جاءه جبريل على هيئة أعرابي وسأله عن الإيمان فقال له الرسول: " هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن تؤمن بالبعث ولقائه والقدر خيره وشره، وسأله الرجل ما الإسلام؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: " أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان " وسأله الرجل ما الإحسان؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. وسأله الرجل عن الساعة؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :{**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**}.

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه عن ذلك الرجل الذي كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ثم أدبر، فقال النبي: ردوه أي ائتوني به ثانية، فماذا حدث بعد ذلك؟ يقول أبو هريرة: " فلم يروا شيئاً "، فوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم اختفائه السريع وعدم رؤيتهم له بقوله صلى الله عليه وسلم :{**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**}.

ويستدل علماء الروح مما تقدم ومما نشرته تقارير الأبحاث الروحية

وجلساتها على أنه يمكن للروح أحياناً أن يجمع حول جسمه الأثيري مادة أرضية وبذلك يبدو لأعين الحاضرين، كأنه جسم مادي - إذ لا تقتصر رؤيته على الوسيط فقط ومن بعض ما نشر في هذا المعنى بإيجاز:

أ) ما نشرته مجلة عالم الروح في نوفمبر 1958 عن أن كليوباترا ملكة مصر الشهيرة، تجسدت في حضور الوسيط الأمريكي الشهير جيمس ويكسون، وتحدثت معه طويلاً - أدلت فيها بحقائق خطيرة.

كما نشرت في ذات السنة عن الجلسة التي عقدها الوسيط الأمريكي الشهير أيضاً د. كيت راينهارت في نادي الأطباء بالقاهرة، وحضرها لفيف من الأطباء والمثقفين، وتجسدت في حضورهم روح تدعى " كيتي كنج " وكان ذلك في ضوء النيون أمام جميع الحاضرين.

ب) ما نشرته مجلة عالم الأرواح أيضاً في يونيو 1959 عن الجلسة التي عقدها الوسيط البرازيلي ميرا بللي ومن أن الأطباء قاموا بفحص الأرواح المتجسدة في حضوره، وقرروا أنها تطابق التشريح الطبيعي للبشر، وأنها بعد فحصها لاحظوا أنها تتبخر في الهواء.. كما ذكرت المجلة أن طفلة تجسدت بعد موتها في حضور نفس الوسيط ورآها كل الموجودين... وكانت في الثياب التي دفنت فيها وظلت متجسدة 26 دقيقة وأن والدها أخذ صورة لها وهي متجسدة، ثم انسحبت الطفلة طائرة في جو الغرفة..

ج) كما ذكرت ذات المجلة تجسد روح الأسقف الدكتور جوزي دي كارمابو الذي مات غرقاً - وفحص الأطباء لضربات قلبه وحركة

تنفسه وتقلصات أمعاؤه وأسنانه.. إلخ وقرروا صحتها، وأنه في نهاية الأمر طلب الروح من الموجودين أن يلاحظوا كيف يتحلل من هذا التجسد.. ثم بدأ يصغر تدريجياً إلى أن اختفى نهائياً.

وفي هذا المعنى يقول العالم الفيزيائي وعالم الروح الدكتور على راضي رحمه الله في أكثر من مؤلف له ومنها " أنت تحيا بعد الموت " مفسراً ظاهرة التجسد:

(هناك مادة تدعى الأكتوبلازم الروحي.. وهذه المادة تستخدم في مساعدة الأرواح على إظهار الفكرة الروحية في صورة مادية سواء كانت هذه الفكرة لملاك أو لإنسان أو لحيوان أو لنبات أو لجماد والمفروض أنه بعد انتهاء التجربة المطلوبة تعاد هذه المادة إلى جسد الوسيط.. وقد ثبت خروجها وعودتها في آخر الجلسة بدون الوسيط أثناء التجربة، وبعدها، فوجد أنه ينتقص عدد كيلوجرامات يستردها ثانية، كما ثبت بالتصوير الفوتوغرافي باستخدام الأشعة ما وراء الحمراء كعينة بتطوير هذه المادة الخام تدريجياً حتى تصبح على هيئة متجسدة وفي حالة تجسد روح إنسان قام الأطباء بقياس نبضه وحرارته... إلخ مما لا يدع أي مجالاً للشك في هذه القضية وعندما سأل وسيط التجسد المشهور ديكسون روحه المرشد جوانيتا عن تفسير لظاهرة التجسد قالت: " إن في حالة التجسد في الظلام، هناك روح خبيرة بهذا العمل مستحب مواد كيماوية من السوائل الحيوية للحاضرين لإنتاج الاكتوبلازم ثم يستخدم قوة مغناطيسية، ليقرب هذا الأكتوبلازم من الروح المطوب تجسده.. حتى تتشكل ملامحه وملابسه، ولذلك ترتفع درجة حرارة الاكتوبلازم وتنخفض ذبذبة الروح حتى تصبح ذبذبتها محسوسة للحاضرين.

أما في حالة التجسد في الضوء فالأكتوبلازم هنا يكون من نوع خاص شفاف جداً مكون من عناصر عديدة، قد لا يكون بعضها اكتشف على الأرض بعد، فالروح الخبيره هنا تعمل على رفع درجة حرارة الاكتوبلازم للدرجة التي يكون عندها اتصال ذرات ضوء النهار به محتملاً، وينتج عن هذا حدوث احتراق على هيئة انفجارات في غاية الضآلة، ولكنها تكون في نفس الوقت شديدة التأثير في كل وضوح ملامح الروح الحقيقية.

ثم قالت أيضاً:

" إن وسيط التجسد النهاري يجب أن تتوافر لديه المواد الكيماوية المطلوبة، لأنها عندما تسحب منه لا ترجع إليه ثانية وإنما يمتصها الجو ".

وقالت الروح المرشدة في النهاية: " إن الروح وهو كامل التجسد في ضوء النهار حيث يسقط على هيكله ضوء الشمس هو في الحقيقة الغاية في الكيمياء الإلهية ".

وقد يجدر الذكر هنا أن كثرة تكرار المرات التي تجسد فيها الروح القدس جبريل عليه السلام نهاراً جهاراً للرسول صلى الله عليه وسلم، ليعلم الناس دينهم.. أو لمراجعة القرآن مع الرسول أو التوجيه بوحي من العلي القدير.. لا يضاهي الرسول فيه أحدٌ سواه، حتى من إخوته الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾} [الكهف: ١١٠].

خامسا: الإلهام

كان الإلهام من إحدى الطرق التي يتبعها الوحي في توصيل رسائله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، والتي سماها بعض الأئمة والفقهاء والمفسرين " النفث في الروح "، والاتصال عن طريق الإلهام يحدث بانبعاث فكرة داخلية يشعر معها الملهم شعوراً أكيداً، بأن عقله قد وعي شيئاً جديداً عليه، وبذات الإلهام يطمئن قلبه، إلى أن هذا الوعي الجديد موحى به إليه من لدن عزيز حكيم، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ) استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع نسائه رسالة غريبة بالإلهام لم يعرف أحد سواء من أصحابه أو نسائه معناها، إلا بعد وفاته بحوالي ربع قرن - فسألهن سؤالاً خفياً في حياء ومرارة:{كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب..} ثم أشار إلى عائشة واستطرد قائلاً:{فإياك أن تكونين أنت يا حميراء}.

ولاشك أن الرسالة كانت أطول من هذه الإشارة المؤدبة المهذبة لعائشة وأكثر تفصيلاً وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي خلافة الإمام على بن أبي طالب رضى الله عنه خرجت السيدة عائشة رضى الله عنها تعارضه ونفرت من مكة إلى البصرة.. وفي طريقها عند مكان يسمى " الحوأب "، نبحت كلاب القافلة فتطيرت السيدة عائشة، وقالت: أين نحن؟ فرد عليها محمد بن طلحة " عند ماء الحوأب " فصرخت وقالت: ماء الحوأب.. إنا لله وإنا إليه راجعون ردوني.. ردوني " فقد تذكرت تلك الإشارة التي أشار لها الرسول حين كان حيا وفهمت تفسيرها، وأرادت أن تستمع لأمره،

وتتندم على فعلتها وتصورته واقفاً أمامها يقول لها: إياك أن تكونيها أنت يا حميراء.. فضربت بعيرها في اتجاه مكة وهي تصرخ " أنا والله صاحبة كلاب الحوأب.. ردوني.. ردوني ".

وتحدث همهمة وضجة في القافلة، لأن قائدتهم نكصت عن رأيها وتريد العودة إلى مكة، ولا ترى الأغلبية أن ترى مثل هذا التردد، وقد خرجوا متجهزين للقتال، وأصبحوا على بعد كبير من مكة وقريبين من أرض المعركة.. فيوهمها عبد الله بن الزبير، ومعه بعض الرجال أن ذلك الماء ليس ماء الحوأب، فصدقت تلك الأكذوبة، وسارت إلى البصرة وتبعها على حيث هزمها في موقعة الجمل، وعن هذا الموقف بين الإمام على والسيدة عائشة أم المؤمنين في موقعة الجمل.. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته لنسائه وللسيدة عائشة:{أيتكن صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت..} حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والبزار في مسنده.

ويقول صلى الله عليه وسلم للإمام على بن أبي طالب:{أنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ} قال: أنا يا رسول الله قال:{نعم}. قال: أنا قال:{نعم} قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله قال:{لا ولكن إذا كان كذلك فارددها إلى مأمنها}. حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده والبزار في مسنده والطبراني.

وقد وقع مصداق هذين الحديثين السابقين سنة ستة وثلاثين من الهجرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من ربع قرن، لما سار طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم - لقتال الإمام على رضى الله عنه في واقعة الجمل - وقتل سبعون نفراً تحت محملها -

الذي كان يسير به جمل أدبب أي كثير الشعر على الوجه، كما وصفه تماماً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونجت السيدة عائشة من هذه الموقعة بأعجوبة، وردها الإمام علي إلى مأمنها مكرمة، كما أوصاه من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأرسل معها مصاحباً لها أخاها محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه..

وفيما يتعلق بواقعة الجمل أيضاً خلا الإمام على بالزبير فقال له:

أنشدك بالله كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، وأنت لاوى يدي في سقيفة بني فلان، لتقاتلنه وأنت ظالم له، ثم لينصرن عليك قال: قد سمعت لا جرم لا أقاتلك "، وهو ما وقع فعلاً سابقاً لإخبار النبي لهما سنة ستة وثلاثين من الهجرة، حيث قاتل الزبير عليا رضى الله عنه للمطالبة بدم عثمان رضى الله عنه في وقعة الجمل - ولكن للأسف كان التذكر متأخراً.

وهذه الإشارات المصاحبة لنصح مهذب وأدب جم سواء للسيدة عائشة، أو للإمام على أو للصحابي الجليل الزبير بن العوام، لا يمكن أن تصدر إلا عن نفس غاية في التقدم الروحي وقد يكون قال بمثلها أيضاً أخوه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، لأحد حوارييه، وهو جالس معهم في عشائه الأخير يقول: " الحق الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلمني.. " وعندما سأله يوحنا عن ذلك الشخص قال المسيح عليه السلام: " هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه " فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا الإسخريوطي.

وذات مرة والرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه، رضوان الله عليهم جاءه شخص يدعى الجارود من وفد عبد القيس،

فقال له: إن كنت نبياً فأخبرني عما أضمرت.. فخفق الرسول خفقة كما لو كانت سنة من النوم الخاطف، ثم رفع رأسه والعرق ينحدر عنه، ثم أجابه بما يريد في الحال قائلاً:

" إنك ضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة.. إلا أن دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الإسلام ألا وأن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاه " رواه أحمد في مسنده وأخرجه مسلم والنوار.

وهنا قد يمكننا تفسير ذلك بإمكان نقل الأفكار " التلباثي " بين الأسئلة الدائرة في عقل الجارود ثم تلا ذلك نقل الأسئلة من عقل النبي إلى جبريل، ثم مجيء الإجابة من جبريل عن طريق الإلهام إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي يوم جاء النبي وفد " تجيب " وهي قبيلة من كندة، ولما فرغ منهم سألهم فجأه هل بقي منكم من أحد، فقالوا: غلام خلفناه على رحلنا وهو أحدثنا سناً فقال صلى الله عليه وسلم: أرسلوه إلينا فأقبل وقال يا رسول الله إني من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فأقض حاجتي، فقال: وما حاجتك؟ فقال والله ما أخرجني إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي.

فقال الرسول: " اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه، ثم أمر به لغيره " رواه أحمد في مسنده وأخرجه الشيخان ورواه البزاز.

وقد يمكن تفسير ذلك، بأن أفكار الغلام، وهو جالس وحده على الرحل، قد انتقلت من عقله، إلى عقل النبي، مما جعله صلى الله عليه وسلم يفاجئ الوفد بهذا السؤال، هل بقي منكم من أحد؟ والذي يدل

على أنه علم ما يدور في ذهن الغلام وشعر بتلك الرغبة الجامحة للاهتداء والإيمان، وربما كانت هذه الرغبة أقوى عنده من رغبة أعضاء الوفد كله، ولهذا بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم بطلبه، انطلاقاً من موهبة الإلهام المتقدمة والعالية جداً التي وهبها الله العلي القدير له صلى الله عليه وسلم.

ومن الحوادث الإلهامية للرسول صلى الله عليه وسلم التي يصعب حصرها حادث إلهامي آخر:

فقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أمر أسامة بن زيد لمحاربة الروم، وعارضه في ذلك، بعض كبار الصحابة كما عارضوا خليفته أبا بكر الصديق في هذه القيادة لأن أسامة كان دون العشرين، ولم تكن له دراية من وجهة نظرهم بفنون القتال والحرب مثل كبار القواد من الصحابة حينئذ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ألهم بنجاح اختياره له، وليكون حدساً لأمته وثقة في شبابها عبر تاريخها، بل أنه وصف له الخطة الحربية التي يجب عليه اتباعها، وكأنه صلى الله عليه وسلم كان يرى الخريطة التي يشرح له منها تفاصيل الخطة مرسومة أمامه، فقد أمره أن يوطئ الخيل، تخوم البلقاء والداروم، ثم أرض فلسطين على مقربة، من مؤتة حيث استشهد أبوه زيد بن ثابت شارحاً له تفاصيل ذلك، وأن ينزل في عماية الصبح على أعداء الله، وأعدائه الذين يتربصون بالإسلام، شراً للقضاء عليه بضربات قوية متلاحقة، وأن يتم ذلك دراكاً فإذا أتم الله له النصر لا يطل بقاءه بينهم ويعود غانماً مظفراً، وهو ما قام به فعلاً القائد الشاب أسامة بن زيد رضى الله عنه متبعاً تعليمات الرسول ووصاياه، حتى تحقق على يديه بمشيئة الله تعالى، النصر المؤزر

الذي بشره الرسول الملهم صلوات الله وسلامه عليه..

ويقص علينا أيضاً الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " أمثلة أخرى لإلهام الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: " وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوي بعدها الجنة، وبأن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلمين عظيمتين، وأخبر عليه الصلاة والسلام عن رجل قاتل في سبيل الله، أنه من أهل النار، فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه.. وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب، ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله.. وقال لنفر من أصحابه، مجتمعين أحدكم في النار ضرسه مثل أحد، فماتوا كلهم على استقامة، وارتد منهم واحد، فقتل مرتداً، وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار، فسقط آخرهم موتا في النار، فاحترق فيها، ومات.

وأخبر عليه الصلاة والسلام، بأنه سيقتل أبي بن خلف الجمحي، فخدش يوم أحد خدشاً خفيفاً فكانت منيته فيه.

كما أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووفقهم على مصارعهم رجلاً رجلاً، فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ".

كما أن هناك أحاديث شريفة كثيرة يصعب حصرها، توضح مدى تقدم وسمو الإلهام الذي كان يتمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم، نذكر منها على سبيل المثال، ما رواه أحمد في مسنده، وأبو داود والبزار ومسلم:{ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي}.{ويل للعرب من شر قد اقترب.. }.{لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.. }.{سترون

بعدي أموراً تستنكرونها.. }.. إلخ.

ولا ريب في أن الإلهام من المواهب الروحية السامية يهبه الله تبارك وتعالى لمن يشاء من عباده وفي هذا لمعنى يقول صلى الله عليه وسلم :{اتقوا فراسة المؤمن فهو ينظر بنور الله}.

وقد فسر ابن كثير كلمة الفراسة في هذا الحديث بالإلهام " وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس ".

كما يقرر صلوات الله وسلامه عليه بإلهام العلي القدير له توافر الملهمين والمعلمين والمكلمين في أمته:{أن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمرَ منهم} رواه أحمد في مسنده وأخرجه الشيخان وأبو داود والبزار.

وقد فسر المفسرون كلمة محدث بكلمة ملهم، أي الشخص الذي يكتشف له الحق عن طريق الداخل..

وللحق والحقيقة فإن الباحث والمنقب في تاريخ الأمة الإسلامية وتراثها يجد في هذه الأمة من الأولياء والأئمة والفقهاء والعلماء والصالحين الملهمين، ما لا يتوافر على الإطلاق لدى أي أمة أخرى وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [آل عمران: ١١٠].

والإلهام موهبة روحية معروفة من قدم فها هي التوراة تحكي لنا عن النبي أليشع إذ اكتشف ملك سوريا تسرب أسرار قصره إلى الخارج،

فلما حقق في هذا فسأل رجال بلاطه ألا توضحوا إلى من منا موالي لملك إسرائيل؟ " فأجابوا: لا أحد يا مولانا الملك ولكن إليشع نبي إسرائيل يخبر ملك إسرائيل بالكلام الذي يدور في غرفة نومك ".

كما كان المسيح عليه السلام ملهماً في حياته فعندما ذهب إلى الهيكل أدهش اليهود بعلمه أو كما يقول إنجيل يوحنا: (فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم - أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني.. من يتكلم عن نفسه يطلب مجد نفسه).

ويقص علينا القرآن الكريم عن موهبة الإلهام عند النبي يعقوب عليه السلام وكيف أنه حزن مقدماً لفقدان ابنه يوسف.

يقول تبارك وتعالى: قال تعالى:{قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾} [يوسف: ١١ - ١٣].

وكما يوجد انتقال الفكر بين عقل آدمي وعقل آدمي آخر قد يوجد أيضاً بانتقال فكر بين الله عز وجل، أو أي من عباده ومخلوقاته، أو بين عقل ملاك وآدمي، أو بين عقل ملاك أو آدمي، وبين عقل حيوان أو طير والأمثلة عديدة ولا حصر لها على ذلك، وعلى أية حال يلزم القول والإقرار والتكرار بأنه لا يتم أي نقل أو اتصال طبقاً لقواعد الناموس إلا بمشيئة الله وإذنه وعونه وتوفيقه..

ففي القرآن الكريم نقرأ قول الله جل وعلا عن النحل:

قال تعالى:{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾} [النحل: ٦٨].

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق دخل المدينة راكباً ناقته القصواء بعد أن نزل في ضاحيتها، وبني مسجد التقوى، ثم سار يمشي براحلته هذه بين الناس، وهو يقول لهم: اتركوها فإنها مسيرة واستمرت حتى بركت عند موضع في المدينة كان يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل، وسهل وهما غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته:

" هذا إن شاء الله المنزل " ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا: " بل نهبه لك ".. وبالفعل أخذ هذا المكان وبني عليه مسجد المدينة.

أما الحادث الثاني: فكان يوم صلح الحديبية وصحابة رسول الله يضغطون عليه لكي يهاجم قريش في حين يصر صلى الله عليه وسلم على أنه خرج للحج ليس إلا، وأن فتح مكة لم يحن بعد ومع استمرار إلحاح الصحابة نجد ناقته تبرك فجأة في الطريق.. فظن الصحابة أنها جهدت.. ولكن الرسول قال لهم:{إنما حبسها حابس الفيل عن مكة} رواه الشيخان وأحمد في مسنده وأبو داود والبزار.

ومن الواضح الجلي في الحادثين أن الناقة كانت واقعة تحت تأثير إلهام، إما موجه لها من الرسول صلى الله عليه وسلم ترتيباً على إلهام للرسول نفسه من العلي القدير مباشرة، أو من جبريل عليه السلام أو موجه لها من جبريل عليه السلام يعلم به الرسول وبالإلهام أيضاً.

كما لا يستبعد أيضاً أن يكون هناك روح متجسد بالنسبة لها يراه

الرسول صلى الله عليه وسلم فقط، ولا يراه صحابته يمسك بمقودها وهو الذي جذبه في كلتا الحالتين، لكي تبرك في المكان المراد بمشيئة الله عز وجل.. وقد يكون هذا ما كان يعنيه صلى الله عليه وسلم بقوله إنما حبسها حابس الفيل.. إذ أن المعروف أن أبرهة قائد الحبشة، عندما هاجم الكعبة بالفيلة في عام مولد النبي صدتها قوة مجهولة، أذعرت الفيلة فارتدت من حيث أتت..

وقد يذكرنا ذلك أيضاً بحادث الرسول صلى الله عليه وسلم على تولي القائد الشاب الصحابي أسامة بن زيد، رغم رفض كبار الصحابة، لذلك وإلحاحهم على الرسول بتبديله بقائد آخر.

ولكن هذا هو الفارق بين القائد، حينما يكون إنساناً عادياً مهما كانت عبقريته وخبرته وشجاعته، والقائد حينما يكون إنساناً نبياً يجمع ما تقدم مع الإلهام والوحي من العلي القدير سبحانه وتعالى.. لا يملك إلا اتباع الوحي وتنفيذ تعليمات الله عز وجل دون خيرة من أمره أو غيره من سائر البشر مهما كانت قرابتهم وحجتهم وحبهم له، وعلى أية حال فإننا نجد دوماً في الحوادث التي مرت به صلى الله عليه وسلم البرهان الأكيد على تأصل الروحية في تصرفاته صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يتلقى كل الدوافع الهامة في حياته من الجانب الروحي، وما أودعه العلي القدير فيه من مواهب روحية.

هذا ويجمع علماء الروح الحديث أن الإلهام من المواهب الروحية السامية وفيه يقول العالم هاري ادواردز في كتابه (المرشد للتدريب الوساطي):

" إن أرقى حالات الوساطة التي ترتجي، هي أن الروح المرشد

تصبح طبيعة ثانية للوسيط بحيث، يمكنه أن يلقي بأفكاره على مرآة وعي الوسيط بدون أدنى حاجة لحالة الغيبوبة).

كما قد يجدر الذكر أيضاً أن هناك حالياً مراكز علمية وجامعات متعددة في العالم وأشهرها جامعة ديوك الأمريكية تقوم بأبحاث ودراسات متخصصة عن وساطة الإلهام، حيث ترك فيها العالم الشهير الدكتور رين أخطر الأبحاث والدراسات في هذا الخصوص.

* * *

سادسا: الجلاء السمعي

من المواهب الروحية للرسول صلى الله عليه وسلم حتى وهو غير مبعوث بعد أن كان يسمع وحده صوت جبريل عليه السلام، دون أن يراه - وهذا ما يسميه علماء الروح الحديث بالجلاء السمعي وهو سماع الشخص أصواتاً لا يسمعها الآخرون.

وتحكي لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان شاباً وغير مبعوث بعد أن اشترك ذات يوم مع قريش في إعادة بناء الكعبة، وأخذ يقوم بنقل الأحجار اللازمة للبناء، وكان من عادة الناس آنذاك أن يضع الشخص إزاره على كتفه ليحمل عليه الحجارة، فلما رفع صلى الله عليه وسلم إزاره مثلهم ليحمل عليه، فإذا به يسقط على الأرض، ويسمع صوتاً يناديه من بعيد باسمه ويطلب منه أن يسبل إزاره، فأطاع النداء، وهو مندهش وأخذ يحمل الأحجار بدون وقاية وعندما نبهه عمه العباس أبى أن يكشف إزاره.

وتحكي أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم ظل ثلاث سنين، يسمع صوت جبريل عليه السلام ولا يرى شخصه وفي أثنائها، كان يعلمه الشيء، وهو غير مبعوث بعد، وعندما بدأ البعث، وخرج صلى الله عليه وسلم من غار حراء، يطلب بيته وهو مشدوه بما رأى فاجأه صوت جبريل مرة أخرى، وهو يهبط من الجبل وسمعه يقول له منادياً: " يا محمد.. أنت رسول الله وأنا جبريل ".

ثم بعد ذلك عندما تعود صلى الله عليه وسلم على طرق الوحي المختلفة وعلى لقاء جبريل عليه السلام فكثيراً ما كان يحدثه جبريل عليه السلام سواء كان وحده أم جالساً مع غيره وكان هو وحده الذي

يسمعها وكم من مرة قال لعائشة: " يا عائشة ها هو جبريل يقرئك السلام ".

كما تروي لنا كتب السيرة أنه بعد موقعة بدر ذهب عمير بن وهب إلى المدينة حاملاً سيفه راغباً في الانتقام لابنه الذي أسره جيش النبي فيلمحه عمر بن الخطاب، ويقبض عليه، ويأخذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينادي: " يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ".

فيأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإدخال عمير إليه فيدخله إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو ممسك بتلابيبه فيقول له صلى الله عليه وسلم :{ما جاء بك يا عمير؟} فيقول عمير: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً " فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم : {أصدقني ما الذي جئت به؟} فيقول عمير: ما جئت إلا لذلك، وعندئذ يرد عليه النبي بحديث يبهته، ويجعله يتلعثم، ويعترف بالغرض الحقيقي الذي جاء من أجله إذ قال صلى الله عليه وسلم:{بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك " فيعترف عمير قائلاً: هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله أني لأعلم ما أتاك به إلا الله}.

ولقد صدق عمير في هذا فقد ألهمه العلي القدير وحيا بالمؤامرة التي تحاك ضده فرآها، وسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً بما أنعم عليه عز وجل من الجلاء البصري والسمعي، وهو ما لم يتوافر لغيره صلى الله عليه وسلم على الأقل في أوانه وزمانه مما حير

العرب تماماً في بدء البعثة في كيفية معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الغيبيات خاصة على محدودية ثقافتهم وجاهليتهم وتغلغل الماديات بغرائزها وشهواتها فيهم وقد وصف القرآن ذلك في قوله تعالى: { وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ } [التوبة: ٦١].

يقول الشيخ الدباغ في كتابه " الإبريز " في وصفه للجلاء السمعي:

" ما بين الصالحين بعد.. وإن تباعدت أوطانهم حتى إن صالحاً في المغرب يريد أن يتحدث مع آخر في السودان أو البصيرة ونحو ذلك، فتراه يكلمه بمنزلة من يكلم رجلاً إلى جنبه ".

وجاء في الإنسان الكامل " للجيلاني " في وصف هذه الموهبة:

" ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السمع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات وكأن البعيد كالقريب ".

وقد يجدر الذكر هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كلم جبل أحد وأمره بالسكون عندما اهتز بشدة أثناء سيره صلى الله عليه وسلم عليه ومعه عمر وعلي رضى الله عنه كما جاءته شجرة تسعى وشهدت أمامه بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. واشتكى له جمل أمام صاحبه، وهو صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه من سوء معاملة صاحبه له.

وجاء أيضاً في الإنسان الكامل عن الجلاء السمعي:

" ومن المتكلمين من ينادي بالغيوب فيشارك الأخبار قبل وقوعها ".

كما جاء:

" ومنهم من يرى نوراً في باطنه.. ويسمع الخطاب من تلك الجهة النورية " وهو ما كان ينطبق أيضاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ما أضفنا إلى ذلك المواهب الروحية الأخرى لاستطعنا أن نفسر جيداً قوله تعالى:{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾} [النجم: ٣ - ٤].

ويؤكد الشيخ الدباغ في " الإبريز " والشيخ الشعراني في الطبقات وغيرهما عديدون، على أن كثيراً من الناس قد سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يرد على أسئلتهم أو على تحيتهم عند زيارة مقامه..

ويحدثنا التاريخ عن الفيلسوف العظيم سقراط بأن كان له صوت مرشد يناديه، ويدله على الطريق المستقيم محذراً إياه في نفس الوقت من الأخطار..

ومن المعروف أن هذا النداء جعله يؤمن بالإله الواحد الخالق العظيم لكل شيء.. وكان ذلك أهم سبب في الاتهامات التي وجهت إليه إذ كانت تقوم على أنه كافر، إذ أدخل على الآلهة التي يؤمنون بها إلهه الواحد الذي يؤمن به، وضرورة فهم الروح والنفس داخل الإنسان لينبغي له فهم ما حوله والاقتناع بأن هناك إلهًا واحدًا فقط هو الخالق الأعظم لهذا الكون.

وفي وصف الوساطة يقول العالم هوراس ليف في كتابه " الاتصال الروحي ":

" ليس هناك تغير في شخصية الوسيط لأن الهيمنة هنا ما هي إلا هيمنة سيكولوجية ".

ويقول: (والصوت الذي يسمعونه وبدون استثناء لا يسمعه سواهم ويبدو في أغلب الأحيان، كأنه صادر من الرأس أو من داخل الأذن.. ولو كان الصوت منغماً فوسيط الجلاء السمعي يمكنه أن يميز شخصية الروح عن الشخصيات الروحية الأخرى من صوتها..).

ويقول سويدنبرج في كتابه " الجنة والنار " :

(وكلام الملائكة أو الروح مع الإنسان يمكن سماعه وهو يرن كما لو يستمع إلى إنسان آخر يتكلم وحده ولا يسمعه الآخرون والسبب في ذلك أن كلام الملاك أو الروح يسري في فكر الإنسان، ثم يأخذ طريقاً داخلياً إلى حاسة السمع، ولهذا يؤثر عليها من الداخل..).

هذا ويتفق الجميع سواء من علماء المسلمين، أو علماء الروح في الغرب أنه فيما يتعلق بالمواهب الروحية، وخاصة الجلاء السمعي يجب على الموهوب أن يخلي ذهنه عن الوسيط المحيط به حتى يستقبل الرسالة الآتية إليه صافية خالصة من التأثير المجاور، ونجد هذا ملحوظاً في كتب السيرة فقد تكرر فيها في أنه صلى الله عليه وسلم: " إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أتلى عنه رفع رأسه "، ومن الواضح أن سكون أصحابه رضوان الله عليهم كان لتهيئة المناخ اللازم للاتصال وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾} [الحجرات: ٢ - ٣].

الفصل السادس:

الوحي بالقرآن الكريم

تؤكد كتب السيرة والمراجع التاريخية أن الوحي بالقرآن الكريم الذي أنزل على قلب الرسول النبي صلى الله عليه وسلم ابتدئ في أحد أيام الاثنين الذي يقول عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم :{فيه ولدت وفيه أنزل علي..} وكان ذلك في شهر رمضان الذي كان يتكثف فيه عادة تحنثه صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن نفسه ما ينص على ذلك إذ قال الله تبارك وتعالى:

قال تعالى{شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾} [البقرة: ١٨٥].

كما تؤكد كتب السيرة أن ابتداء ذلك الوحي كان يوم الاثنين 8 ربيع الأول بعد عام الفيل، أي العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فإن نهايته كانت في التاسع من ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة أي الثالثة والستين من عام الفيل، أي أنه استمر نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم حوالي ثلاثة وعشرين سنة تقريباً - لذا يقدر الكثير من الفقهاء والعلماء المفسرين أن عدد زيارات جبريل عليه السلام للرسول محمد صلى الله عليه وسلم تجاوز 4000 زيارة، وفي رأينا أن هذا غير مسبوق مع أي من أخوة محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل والأنبياء السابقين، وفي رأينا

أيضاً أن هذا أمر طبيعي ومنطقي يتفق قواعد الناموس، لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وحامل الرسالة الخاتمة والمصححة المتممة في ذات الوقت لما قبلها من رسالات بالإضافة إلى عالميتها باعتبار أنها ليست موجهة لشعب بعينه أو لمنطقة بعينها، وإنما للإنسانية جمعاء، بل ولكل من يسكن عالم الأرض من جن وأنس:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

أما عن اختيار الليلة التي بدأ فيها التنزيل فيقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته:

قال تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾} [القدر: ١ - ٥].

قال تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾} [الدخان: ٣ - ٥].

ولا ريب في أن نزول الوحي على الأنبياء والمرسلين وحتى غيرهم له قانونه الإلهي الخاص، وأن أي اتصال بين الأرض والعوالم الأخرى يتم بناء على قواعد الناموس التي وضعها العلي القدير، لتيسير وتنظيم الكون طبقاً لحكمته ومشيئته الإلهية سبحانه وتعالى، ولا يجوز أو ينبغي لمخلوق أيا كان قربه من الخالق العظيم أن يستثنى منها، ونحن كبشر لا نفهم تماماً، فحوى قواعد هذا الناموس، وإن كنا نجتهد في محاولة تلمس النذير اليسير منها، وفي حدود وإطار فهمنا وإدراكنا وما سمح لنا به خالقنا العظيم.

ومنها إيماننا بأنه كلما توجهنا بدعائنا الخفي إلى خالقنا العظيم جل

وعلا وجدناه حاضراً وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} [البقرة: ١٨٦].

ففي كل عصر أوحى إلى نبي أو رسول أو ألهم، حكيم أو فقيه، لابد وأن كانت البشرية في أشد الحاجة إلى مثل ذلك النبي أو الرسول أو الحكيم أو الفقيه، كي يرشدها ويأخذ بيدها مما تردت فيه إلى الإيمان والأمان والسلام.

ألم يكن بنو إسرائيل في حاجة إلى موسى القائد القوي لينقذهم من طغيان وبطش وجبروت فرعون؟.

وألم تكن بنو إسرائيل في حاجة إلى المسيح ومواعظه الروحية النبيلة السامية، لينقذهم من ضلالات أفكارهم التي وصلت إلى حد إنكارهم البعث والنشور، ومن عنصريتهم البغيضة بتعاليهم على غيرهم من البشر وأن إلههم يختلف عن إله باقي البشر، لأنه إله خاص بهم هم فقط.. ومن تغلغل الماديات فيهم وجمودهم على النصوص والألفاظ والظواهر والأشكال وليبرهن لهم وللرومان حكام العالم آنذاك بأن وراء المادة دائماً روح الواحد الأحد؟

وألم تكن الإنسانية في حاجة إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليخرجها من ظلمات الجاهلية وعبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان؟

وألم تكن الإنسانية في حاجة ماسة لتصحيح وتتمة الرسالات السابقة ووجود رسالة أبدية خاتمة تتوافق فيها الروح مع المادة في تشريع إلهي معجز.

وإذا كان علماء الروح الحديثون ينادون بنظرية الطرح الوحي التي بها يمكن للشخص أن يطرح روحه إرادياً أو لا إرادياً لتسافر إلى عوالم أخرى بناء على ما ضربناه آنفاً من أمثلة في هذا الخصوص، إلا أنه لا يوجد من هؤلاء العلماء من يستطيع أن يقرر إذا ما كانت هذه الروح سائرة في الطريق السليم أو الخاطئ عند سفرها لتلك العوالم على حسب عوامل أخرى كثيرة قد لا يكون له هو أي دخل فيها.

وما يقال عن الروح الصاعد، يقال عن الروح النازل، فلو فرضنا أن روحاً يريد الاتصال بأهل الأرض للاطمئنان على أهله، أو لأي غرض ما وجب عليه أن يكون على دراية بالقوانين الكونية، وبالتالي معرفة الظروف الملائمة لهذا النزول وسلوك الطرق غير المتأنية، أو بمعنى أشمل الطرق المأمونة.. إذ إن الاتصال بيننا وبين العوالم الأخرى لا يخضع لقانون بشري، وإنما يخضع لقانون كوني يسمح له العلي القدير سبحانه وتعالى عندما يريد ويمنعه عندما يريد.. وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾} [الإسراء: ١٠٥].

وليلة القدر إذا ما هي إلا تعبيراً، عن تلك اللحظات المناسبة التي يكون فيها عالم الروح قريباً جداً من عالم الأرض واتصال كل من العالمين ببعضهما البعض بسهولة ويسر، وعالم الروح ليس مكاناً كالكواكب والنجوم، وإنما هو عالم أثيري قد يراه شخص معين ولا يراه شخص آخر.

ذلك لأن الأول لديه المنظار الروحي والتأهيل اللذين يمكناه من رؤيته، والثاني ليس لديه هذا، فإنه لا يستبعد أن تكون ليلة القدر متكررة بيننا الآن لأناس مفتوح عليهم مرضي عنهم عند خالقهم عز وجل لا يتحدثون عنها حتى لا يدخلوا في جدل عقيم أو يكذبهم السطحيون.. فليلة القدر هي جاهزة بأمر ربها جل وعلا، لأن تأتي لأصحاب العقول المترنمة والقلوب العطشى للرحمة الربانية، وكلما كان هناك طلب ودعاء كان هناك رحمة ونزول ملائكة.. أما وصف العلي القدير لليلة القدر بأنها خير من ألف شهر، فقد يكون من ضمن ما يعنيه هذا الوصف هو مدى التقدم الروحي للإنسان المستقبل لها ولرسالتها الروحية الصافية الصادقة التي تجعله مكتمل الإيمان، لأنه في ليلة الاتصال هذه يتذوق من حلاوة الإيمان، ويعلم من الأسرار ما لا يتيسر له لو سار في طريقه المادي العادي بدون رؤيته لنور الحق طوال ألف شهر (83 سنة)، أي أطول من الحد الأقصى الذي يتمنى الإنسان أن يعيشه..

هذا ولعلماء الفيزياء الروحيين رأي فيما يتعلق بليلة القدر أو بمعنى أدق بكلمة القدر لا ينبغي إغفاله، ففي هذا المعنى يقول الدكتور علي راضي رحمه الله في مؤلفيه " أعرف روحك " و " حياة محمد ":

(ولو أمعنا النظر في كلمة القدر، لوجدناها مرادفة لكلمة الكم في الفيزياء. فلو فرضنا أن هناك إشعاعاً روحياً صاعداً على الدوام من عالم الروح أو مصوباً إلى عالم الأرض على مدار أيام السنة، كان هناك وقت معين - ليلة تكون كمية الإشعاع الساقطة فيها بأكثر من كمية الإشعاع التي تسقط عادة في ألف شهر أي 30.000 ليلة، أو 720.00 ساعة أي أن النسبة المبدئية هي 30.000 " ولكن لو أخذنا

في الاعتبار أن ليلة القدر قد لا تكون ليلة بأكملها، بل قد تكون ثلث ليلة وربما ساعة تنزيل واحدة لكانت النسبة هي 1000.0000 أي مليون إلى واحد).

ويقول: (وهذه الطفرة الهائلة من الإشعاع الروحي في ليلة القدر إذن قد وجدت لها منفذاً أو جهاز استقبال الذي هو النبي المصطفى والمختار صلى الله عليه وسلم، وهذا النبي يبدأ بناء على ما أنزل إليه من توجيهات في إصلاح البشرية، وتوجيهها صعدا في سلم الارتقاء، ويكون كل ما تحصل عليه هذه البشرية من نجاح معزواً لذلك الكم أو القدر من رحمة الله الذي هبط إلى الأرض، فيما يسمى بليلة القدر، والتي تعتبر إذن مباركة أو ذات أثر فعال في التاريخ.. وهذا ما نلاحظه اليوم فالشعوب التي ظهر فيها أنبياء هي الشعوب التي كانت لها طفرات في التقدم، بعد أن كانت متردية في ظلمات الجاهلية، وعبادة الأوثان أو ملوكها وأباطرتها.. في حين أن الشعوب الوثنية أو البربرية ظلت حتى يومنا هذا غارقة في مادياتها تحكمها غرائزها وشهواتها تحيا كما تحيا الحيوانات.. إذ ليس التقدم قاصر على الناحية المادية.. بل هو أعظم بكثير في الناحية الروحية).

ويقول أيضاً:

(وتوجد ظاهرة مشابهة لدى علماء الفيزياء والبيولوجي وهي ظاهرة الإشعاع الكوني الذي يهبط من السماء إلى الأرض في كل الأوقات صادراً من مكان مجهول، وهذا الإشعاع يزداد ويقل، ويقال أن زيادة كمه وقدره يعمل على تطوير النبات والحيوان بسرعة.. ولذلك افترض البعض أن طفرات الارتقاء التي تكلمت عنها نظرية التطور جاءت في فترات كانت فيها كمية الإشعاع الكوني كبيرة، وعلى هذا

يكون أي ارتقاء في كل ناحية من نواحي البشرية والعوالم المادية والأثيرية والروحية معزواً لومضات كم أو قدر من إشعاع أو نور من نوع معين صادر من عالم أعلى وأقدر).

وقد صرح العالم سويدنبرج:

" أن معنى النور في السماوات هو نور الحق وأن هناك طبقة تعكس هذا النور إلى معان مختلفة ".

ومن هذا نحن نرى أن هذا الإشعاع أو النور الذي يسبب التطوير والارتقاء والانتقال من مستوى إلى مستوى أو من دار إلى دار يمكننا أن نقول أنه نور الله تعالى، مركز كل ما في الكون، وبذلك قد يمكننا أن نتمعن في معنى الآية:{ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [النور: ٣٥]، والآية:{نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ} [النور: ٣٥].

إذن لا ريب في أن هناك قوانين روحية تحدد هبوط الروح أو اتصاله بالشخص المعني على الأرض أو غيرها من الطبقات.. وفحوى هذه القوانين وكنهها أو ماهيتها والحكمة من ورائها لا يعلمها إلا الخالق العظيم عز وجل، ومن يشاء سبحانه وتعالى من خلقه إلا أنه يمكننا القول فقط من باب الاجتهاد أنه يلزم منطقاً لتمام الاتصال توافر ثلاثة عوامل على الأقل هي:

1- " استعداد جهاز الاستقبال " النبي أو الرسول أو الشخص الموحى إليه.

2- واستعداد جهاز الإرسال جبريل أو غيره من الملائكة والأرواح.

3- وصلاحية الجو الروحي الموصل بين عالم الأرض وعالم الروح.

وهذه الصلاحية ترتبط بعوامل عديدة لا نعلم أغلبها وإن كنا نستطيع أن نذكر منها الجغرافي والفيزيائي.

وكلمة روحي هنا تشمل أيضاً بجانب الملائكة والأرواح الجانب الجني والجانب البشري اللاأرضي..

فعن ابن عباس رضى الله عنه:

" أن الشياطين حيل بينهم وبين السماء فانطلقوا يبحثون عن السبب حتى وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا - كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

قال تعالى:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ

عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾} [الجن: ١ - ٢٣].

وللحق أن تفسير هذا يحتاج إلى إدراك وفهم عميق، فليست الرسالة المحمدية قاصرة فقط على هداية عالم الإنس، وإنما تمتد إلى هداية عالم الجن أيضاً، وأن الناس إذا فهمت حقيقة هذه الرسالة وما تدعو إليه من عبادة الخالق العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد الحي القيوم الذي لا إله إلا هو ليس كمثله شيء المحيي المميت الذي له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. واتبعوا ما أمر به من معروف، وما شرعه لهم، وانتهوا عما نهى عنه من فحشاء ومنكر وبغي، وساد بينهم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى... وأفشوا بينهم السلام... انتقل هذا التغيير إلى سكان عالم الروح الذين يسكنون الأرض معنا في - ذات الطبقة - ومنهم عالم الجن مما يؤدي إلى ارتقاء أفكارهم ومستوياتهم الروحية بعبادة الواحد الديان سبحانه وتعالى:{وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

وقد يؤكد على ما تقدم ما اتفق عليه علماء الروح من أن الاتصال بين سكان عالم الروح يستحيل على غير أهل الطبقة الواحدة.

وقد يتبين لنا من هذا التفسيرأيضاً معنى الآية الكريمة:{وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾} [الجن: ٨ - ٩].

ويتبين معنى الحديث الشريف الذي روته السيدة أم المؤمنين عائشة عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال:

(الملائكة تتحدث في العنان " الغمام " بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كلمة) رواه أحمد في مسنده وأخرجه البخاري ومسلم.

ومعنى هذا أنهم لا يستطيعون الاتصال بالأرواح الأعلى وإنما قد يسمعون أو يلتقطون أفكاراً سابحة يعجزون عن تفسيرها فيكذبون..

وفي هذا المعنى يقول العالم سويدنبرج في مؤلفه الشهير " الجنة والنار ":

" إن أفكار الملائكة وعواطفها وكلامها في السماء العليا لا يمكن أن يشعر بها الذين في السماء الوسطى لأنهم لا يخترقون الحجب لمعرفة ما يجري هناك إلا إذا أراد الرب ذلك "

ويقول أيضاً:

(ولو نظرت الملائكة إلى روح شريرة فإن هذه تسقط مغشياً عليها ولا تبدو أبداً كإنسان وتظل هذه الحالة حتى يلتفت الملاك عنها وهذا التأثير ناتج عن نظرة الملائكة لأن نظرهم صادر من السماء ونور السماء هي نور الحق الإلهي).

وقد نجد في هذا المعنى أيضاً تفسيراً مضافاً إلى معنى الآية " يجد له شهاباً رصداً " إذا أخذنا كلمة الشهاب هذه بمعنى آخر، غير معناها المادي الذي يظنه الكثيرون.. معنى أخف وزناً، ولكنه أعظم تأثيراً فكما أن هناك إشعاعات كأشعة إكس أو أشعة النيوترونات، أو غير

ذلك من الإشعاعات المهلكة التي نعرفها نحن الآن، توجد أشعة خاصة عند الملائكة أو الأرواح العالية، يمكنها بها أن تشل حركة الأرواح السافلة ولا أقول تهلكها لأن الروح لا تهلك ولا تفنى.. وفي هذا الشلل أو الخمود العقلي أو الشعور بالنقص، هو شعور ذاتي بالفناء وهذه الأشعة عندما تواجه تلك الأرواح السيئة الحظ، تؤثر على عقلها فتفقدها اتزانها وتشعر أنها هوت إلى أسفل سافلين.

لذا فإنه من ضمن ما نخلص به مما تقدم أنه بجانب الاتصال الصادق بالطبقات العليا من عوالم الروح، كما هو ثابت من موضوع الوحي نلاحظ أيضاً أن هذا الاتصال غير قائم بالطبقات السفلى - أي مع الجن، بل أن كل من يحاول الاتصال أو السمع من الجن يجد له شهاباً رصداً...

وهنا قد يثور التساؤل: وهو ما حدث فعلاً من بعض الماديين والملاحدة وخصوم الإسلام - لماذا لم يهتد الجن عن طريق السماء بدون حاجة لسماع القرآن الكريم الذي أوحي به إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟

والرد على ذلك سهل ويسير قد نوجزه في أن القرآن الكريم هو قول العلي القدير خالق السماوات والأرض وما بينهما الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو القول الحق الفصل الذي نزل به الروح الأمين القدس جبريل عليه السلام على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين بجنه وإنسه والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.. فإذا كانت هداية الجن نابعة من إيمانهم بما ورد في كتاب الله عز وجل " القرآن الكريم " والسنة

الشريفة فهي هداية بلا ريب أو جدال من السماء ومن لدن عزيز حكيم.

أما لماذا كانت هدايتهم عن هذا الطريق.. فهذا ليس شأننا.. لأنها إرادة العلي القدير العزيز الحكيم وحكمته جل وعلا التي لا نستطيع إدراكها.. وإنما قد يسمح سبحانه وتعالى بتلمس بعض عظمتها وإعجازها " ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " البقرة آية الكرسي.

وعلى أية حال فإن لعلماء الروح أيضاً رأيًا في هذه المسألة قد نوجزه في قول العالم الدكتور المرحوم على راضي في مؤلفه " أرواح مرسلة ":

(تقول الأرواح التي تم الاتصال بها أن طبقات عالم الروح متدرجة إلى أعلى الأرض في أسفلها فالجن وهم متأخرون يكونون في طبقة قريبة من الأرض وفي نفس الوقت لا تستطيع الملائكة ولا الأرواح العالية أن تهبط إليهم وترشدهم - لأن من القوانين الروحية أن الروح الذي يهبط من طبقة أعلى إلى طبقة أدنى تنقص درجته الروحية، ولا يمكنه أن يعود إلى نفس الطبقة الأولى التي كان يعيش فيها، زد على ذلك أنه على فرض تطوعه بالنزول إلى الطبقة الأدنى لهداية من فيها من جن مثلاً فهؤلاء الجن، لن يروه، لأن حواسهم لا تساعدهم على رؤية من هم أرقى منهم..

من هنا جاءت الحكمة في استفادة الجن من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كل من يقرأ القرآن على الأرض أو يدعو إلى الرشد، لأن الجن وهم قريبون من الأرض يمكنهم الاستماع إلينا

والانتفاع بدروسنا والنماذج التي نضربها لهم.. وفي جميع الجلسات الروحية يؤتى بأرواح جاهلة أو متأخرة لكي تستمع إلى ما يقال في تلك الجلسات، وتتعلم ما ينقصها من معلومات، وقد يؤتى بها في حراسة، وقد تأتي مكرمة. ولو كان الروح الحاضر روح قتيل أو منتحراً، فأنه كثيراً ما يجهل أنه مات.. وبذلك يعيش معذباً في البرزخ، فإذا جيء به وأفهم حقيقة وضعه انتبه بعد ذلك ولم يعد يأتي.. وكذلك الجان الصالح إذا حضر في جلسة وافهم بلباقة ووجه نحو الخير يجوز أن يستمع ويرتقي، ويصبح جاناً صالحاً وتكون الهداية قد جاءت من الأرض لا من السماء ولقد سألنا الأرواح المرشدة عن هذه الحالات فقالوا لنا: إننا نحن الذين في الدنيا القادرون على هداية هؤلاء لأنهم هم يعجزون عن الوصول إليهم.

هذا وقد تعجبت الجن من وصول الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً، لأن هذه المعلومات لم تمر عليهم، ولم يسمعوا بها مع أنهم يظنون أنفسهم قادرين على التسمع وإدراك الغيبيات.

إن وجودهم في الحيز الروحي القريب منا كما سبق أن قلت يضايق اتصالنا الروحي مع عالم الروح، فهم كالشوائب أو المناطق المتأنية في عالم اللاسلكي، ولكن كما أن العلم يمكنه، أن يخلق جواً صافياً للاتصال اللاسلكي خالياً من الشوائب، لو أعطيت له الوسائل اللازمة، وهذا ما رأيناه في حالة " التلستار " والقمر الصناعي، الذي أمكنه أن يوصل صور التلفزيون من أمريكا إلى أوروبا وإلى جميع الأرجاء..

كذلك يمكن للشخص المتقدم روحياً أن يبذل قوة أو يكون هو قمر

صناعياً جاهزاً للاتصال بين عالم الأرض بعالم الروح بعيداً عن أي أثر للجن في تشويه الرسائل والاتصال. ولقد كان هذا القمر المضيء يوماً هو النبي محمد الأمين..).

هذا وتنقل لنا كتب السيرة أن قريشاً واليهود قد اعتادوا على أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أسئلة لمجرد إعجازه.. وكانت إجاباته الشافية عليهم بمثابة إعجاز لهم.. حتى إن الكثير من المفسرين والمؤرخين والمستشرقين يؤكدون على أن اليهود قد استفادوا كثيراً من إجابات الرسول صلى الله عليه وسلم في حل الكثير من القضايا والألغاز التي كانت تحيرهم.. وفي مرة - وكما هو معروف - حدث أن سألوه عن الروح فلم يرد عليهم لفترة قيل: أنها خمسة عشر يوماً.. حتى إن امرأة مشركة من قريش قالت: أبطأ عليه شيطانه فنزلت بعد ذلك سورة الضحى:

قال تعالى:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾} [الضحى: ١ - ٥].

وفي القسم الذي في هذه السورة نجد من معانيه أنه إذا كان ضحى أي نور يجوز أن يسجى عليه ظلام أو ليل يمكن أن يليه.. وبالتالي فإننا نجد في هذا القسم تنويهاً على أن نزول الوحي مثل الضحى " النور " وتوقفه مثل حلول الظلام " الليل "، وكما أن عالم الأرض لا يمكنه أن يحيا بدون نور الشمس وضحاها كذلك لا يمكنه أن يحيا بدون وحي أو اتصال روحي.

كما تروي لنا كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم حزن لتوقف

الوحي حزناً شديدًا وبعدها نزل عليه جبريل بالآية:

قال تعالى:{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾} [مريم: ٦٤].

وقد يستشف من ضمن معاني هذه الآية الكريمة أن جبريل عليه السلام كان يزور الرسول إبان تلك الفترة ويراه ولكنه لا يستطيع التكلم إلا إذا صدر إليه الأمر.. وفي انقطاع الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحياناً... خاصة عند انقطاع الوحي في أول البعثة ثلاث سنوات حكمة لا تدانيها حكمة، إذ أن في هذا الانقطاع الخط الفاصل بين شخصية محمد الإنسان وشخصية محمد النبي الرسول.. كما أن هذا الانقطاع هو أكبر برهان على أنه صلى الله عليه وسلم كان بوقاً للقرآن ينفخ فيه جبريل عندما يريد رب جبريل ورب محمد ذلك لا عندما يريد محمد صلى الله عليه وسلم.. فالمادة تخضع للروح وكان صلى الله عليه وسلم يؤكد دائماً على قوله:{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ} [الكهف: ١١٠].

وإن كنا نرى في السيرة النبوية الشريفة - باستثناء الوحي - الكثير من المواقف التي ترك فيها جبريل عليه السلام محمدًا صلى الله عليه وسلم ليعمل بنفسه وبعقليته هو معتمداً على ذكائه ومواهبه والتشاور مع من حوله.. " وشاورهم في الأمر " - " وأمرهم شورى بينهم ". وذلك باعتباره صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لأمته وللإنسانية جمعاء.

قال تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

ومن المعلوم المتفق عليه أن القرآن أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم منجماً أي مجزءاً وقد استغرق التنزيل قرابة 23 سنة وتنقسم هذه المدة إلى قسمين قسم بمكة وهو قرابة 12 سنة ونصف وقسم بالمدينة وهو قرابة 10 سنوات.. ورغم أن في ذلك العصر الذي نزل فيه الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم كما في عصر الجاهلية كانت الذاكرة هي الكتاب المتنقل الذي يحوي الشعر والنثر وكل أنواع التآليف.. وكان القرآن ينزل على عقل وقلب محمد صلى الله عليه وسلم على هيئة عدة آيات تبلغ الخمس أو العشر أو أقل أو أكثر قليلاً وقد تكون الحكمة من وراء ذلك أن يتمكن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظها وتعليمها لمن حوله.. الذين هم أيضاً كانوا يحفظونها تماماً في صدورهم إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكتفي بالحفظ في الصدور، بل كان يأمر من يستطيع الكتابة من أتباعه بتدوينه، وتقول المراجع أن زيدَ بن ثابت غلام الرسول كان من المقربين الملازمين للرسول صلى الله عليه وسلم يدونها وكان يكتب له ما يمليه عليه الرسول صلى الله عليه وسلم.. كما كان يدونها أيضاً من كانوا يعرفون الكتابة من المسلمين الأوائل ممن كانت تتلى عليهم الآيات ليحفظوها ويرتلوها.

وقد جاء في كتاب تاريخ القرآن للشيخ الزنجاني:

" كانت الكتبة تكتب الآيات في العسب واللخاف والرقاع أحياناً في الحرير وقطع الأديم والأكتاف على عادة العرب بالكتابة على تلك الأشياء، وكان يطلق عليها الصحف وكانت تلك الصحف تكتب لرسول الله وتوضع في بيته ".

وفي رأينا أن نسخة أو اثنتين من تلك الصحف كانت تودع في بيت

الرسول بعد مراجعتها، إذ ليس من المعقول أن تودع كافة الصحف التي تكتب في بيت الرسول وذلك لكثرة النسخ المكررة وضيق مساحة أي بيت لاستيعابها أيا كان اتساعه.

وقد يجدر الذكر هنا أن بعض المستشرقين يحاولون النفاذ من خلال كلمة " أمي " التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة الأعراف الآية 157 إذ يقول الله تبارك وتعالى:

قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} [الأعراف: ١٥٧].

ويقول الأستاذ محمد صبيح في كتابه " القرآن " نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية أن المستشرقين يعتقدون أن كلمة " الأمي " التي جاء ذكرها في القرآن لا تدل على أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة وقد تكون نسبة إلى كلمة " أمة " أي أنه النبي المبعوث لهذه الأمة وتثير دائرة المعارف إشكالاً آخر وهو أنه ورد في سورة العنكبوت قول الله تبارك وتعالى:

قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾} [العنكبوت: ٤٧ - ٤٨].

ثم يستطرد الدكتور محمد صبيح فيقول في تفسير:{ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن

قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت: ٤٨] فيقول: وهي تدل على أنه صلى الله عليه وسلم تعلم القراءة في الكبر أي بعد نزول القرآن.

كما يشير بعض العلماء الروحيين إلى أن حل لغز كتابة القرآن في مكة قبل إعلانه يكمن في تعلم النبي صلى الله عليه وسلم للكتابة الروحية - ومعنى ذلك أنه لا يمكنه أن يكتب إلا إذا استولى جبريل على يده وجعله يكتب وإذا ما ارتفع الوحي عنه أصبح أمياً ثانية لا يقرأ ولا يكتب..

وفي رأينا أنه:

* لا ريب ولا جدال في أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وشهادة قومه وأعتى خصومه بذلك قبل بعثه ونزول الوحي عليه، ولقد كانت هذه الأمية برهاناً ودليلاً دامغاً لقومه وأصحابه وأتباعه على صدق ما يبلغه من وحي..

* أنه يجب أن نفرق تماماً بين محمد الإنسان الصادق الأمين المتحدث والباحث عن الحقيقة لمدة عشرين عاماً، ومحمد النبي السراج المنير رسول الله للإنسانية جمعاء وأسوتها الحسنة ورحمة الله للعالمين المكلف بإبلاغ ما يتنزل على عقله وقلبه من وحي لتصحيح وتتمة ما قبله من رسالات باعتباره حامل الرسالة الخاتمة لهداية العالمين..

▪ إن أول ما أوحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم إيذاناً ببعثه وبدء تكليفه بالرسالة سورة العلق:

قال تعالى:{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ

﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾} [العلق: ١ - ٥].

وأن أول آية فيها بادئة بفعل الأمر:{ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ} وأن هذا الأمر سينفذ باسم رب محمد، أي بإرادته عز وجل وهو يسير وهين على الخالق العظيم الذي إذا قضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون ثم نلاحظ أن الآيتين الثالثة والرابعة:{ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ} [العلق: ٣ - ٤]، فهما إشارة ودلالة واضحة على أن الأمر لن يقتصر على القراءة بل إن كرم الكريم المتعالي سيشمل تعليمة صلى الله عليه وسلم الكتابة بالقلم، وسيخط بهذا القلم ما لم يكن يعلمه من قبل " علم الإنسان ما لم يعلم ".

* إننا إذا تدبرنا الآية 48 من سورة العنكبوت في قوله تبارك وتعالى:{وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾} [العنكبوت: ٤٨].

لوجدنا أن من ضمن ما تعنيه الآية التأكيد على أن محمداً صلى الله عليه وسلم قبل الوحي لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة، وإلا كان ارتاب فيما أنزل عليه من وحي المبطلين والمشركين.. وترتيباً على ذلك فإن الصورة بعد الوحي وبعثه صلى الله عليه وسلم تكون قد اختلفت وإنه بمشيئة العلي القدير انتفت منه الأمية قراءة وكتابة، إذا تأملنا في لفظ " ولا تخطه بيمينك " نجد فيه إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع الكتابة، ولكنه صلى الله عليه وسلم بعد الوحي أصبح يخط بيمينه أي يكتب بيده اليمنى.

أما ورود كلمة الأمي ملاصقة للنبي في آية قرآنية، فإنها للدلالة على الإعجاز الذي تم من تحوله من إنسان لم يعلمه أحد على الأرض

القراءة والكتابة إلى رسول نبي يقرأ باسم الله، ويخط بيمينه باسم الله ويبلغ ما يوحي إليه باسم الله، وقد ورد هذا الإعجاز في البشارات التي وردت عنه صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، لذا فأن ورودها في آية قرآنية لتذكير أهل الكتاب بذلك..

* وتؤكد لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان غالباً ما يؤم أصحابه وتابعيه في الصلاة سواء في مكة أو المدينة، ويتلو عليهم ما أوحي إليه من الآيات والذكر الحكيم طالباً منه حفظه وتدوينه أيضاً كما تؤكد لنا أن جبريل عليه السلام راجع مع الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن بترتيبه الحالي مرتين قبيل وفاته.

* أما ما يتعلق بتكليف الرسول صلى الله عليه وسلم لمن حوله من الصحابة والأهل والأتباع بالحفظ والتلاوة والترتيل والتدوين فلأن تلاوة القرآن وحفظ آياته وتدوينها هي عبادة في حد ذاتها مكلف بها كل مسلم.. كما أن طلبه منهم جمعه والحفاظ عليه هو من باب شدة الحيطة والحذر وبأن تكون هناك نسخ متعددة ومتطابقة تماماً في ذات الوقت إذ يروي لنا الإمام على رضى الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم له:

* " يا على إن القرآن خلف فراشي في الصحف الحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة " رواه أحمد - أبو داود - الترمذي.

* فانطلق على وجمعه في ثوب وختم عليه - هذا بالإضافة أيضاً إلى أن من صفات القائد الملهم إشراك كل من حوله في تكليفاته واشتراكه معهم في أمور حياتهم وما يقومون به من أعباء ومن

أعمال، فقد كان يحمل معهم الحجارة لبناء المساجد ويجمع الحطب كي يشوي شاة.. ويشاركهم مشاكلهم وقضاياهم وأفراحهم وأحزانهم تأكيداً لمبدأ عظيم قيم علمه لأمته:{**كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته**}.

إن حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن بترتيبه الحالي وتلاوته في الصلاة على أصحابه وترتيله عليهم ترتيلاً حتى قبل وفاته أمر لا يقبل الريبة أو الجدل ومجمع عليه من كل صحابته وتابعيه، لأن الذي تولى تحفيظه هو الحفيظ العليم - سبحانه وتعالى - فلم يكن محفوظاً في عقله فقط، بل كان محفوراً بأحرف من نور في قلبه.. وانتقل هذا الحفظ بطبيعة الحال إلى صحابته وتابعيه، فحفظوه أيضاً ودونوه..

قد يكون عدم تكليف الرسول للكثيرين من صحابته وتابعيه في الفترة المكية بكتابة القرآن وقصره عليه وعلى القليل منهم وعلى رأسهم زيد بن ثابت غلامه الذي كان بجواره.. مرجعه شدة الحيطة والحذر بغية الحفاظ على ما تم تدوينه من الآيات الموحى بها آنذاك خاصة، وأن تلك الفترة كانت فترة اضطراب عنيف في حياة الإسلام - وقد يفسر لنا هذا نزول الآيات الكريمة بغية طمأنته صلى الله عليه وسلم وطمأنة تابعيه.

قال تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦ - ١٩].

قال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩].

وعلى أية حال إن ما أثاره المستشرقون وخصوم الإسلام من جدل

حول كيفية جمع القرآن.. ومحاولة وسواسهم الخناس بالوسوسة في صدور بعض المسلمين بإثارتهم بعض التساؤلات الخبيثة واختلاق قضايا وإشكاليات لا أساس لها، فأنه رحمة للمسلمين وتثبيتها لهم دحض أباطيل خصوم الإسلام وأعدائه وقد حسم العلي القدير عز وجل الأمر بالقول الفصل في الآيات المتقدم ذكرها.. بأن مشيئته تبارك وتعالى هي التي ستتولى جمع وحفظ القرآن المجيد وآياته الكريمة.

وهذه نعمة لا تحصى فوائدها وما يتأتى منها من نعم وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ} [النحل: ١٨].

كما حسمه العلي القدير أيضاً بتحدي العالم كله جنه وإنسه بأن يأتوا بسورة من مثل سوره حتى من قصارى السور التي لا يتجاوز عدد آياتها ثلاث آيات ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

والقرآن الكريم كتاب موحى به من لدن حكيم عليم سبحانه وتعالى نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على عقل وقلب رسول الله محمد الصادق الأمين لكي يرشد عالم الأرض بإنسه وجنه إلى الصراط المستقيم وعبادة الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد إله الكون كله وخالقه العظيم.. وهو يحوي تشريعات جديدة.. كما يحوي نسخاً لتشريعات قديمة ونصائح للتقدم الروحي الإيماني.. بناء على ما يقوم به الإنسان من عمل صالح على الأرض.. كما يحوي قصصاً واعظة عن الأقدمين.. ويلقي الضوء على سكان الكون المنظورين لنا وغير المنظورين على مختلف

أنواعهم كما يلقي أضواء على حقائق كونية وعلمية إعجازية لتثبيت وطمأنة قلوب المؤمنين به ودعوة غير المؤمنين لمراجعة أنفسهم وإعمال عقولهم... مبشراً المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر خالدين فيها أبداً، ومنذراً في ذات الوقت أهل الكفر والنفاق والإلحاد والشرك بسعير جهنم، التي وقودها الناس والحجارة ساءت مستقراً ومقاماً ولبئس المصير.

والقرآن الكريم كتاب مكمل ومتمم ومصحح لما سبقه من كتب ورسالات سماوية فيها، ونرى فيه آيات مطلقة تصف الكون والخليقة وآيات شيئية أو نسبية تتعلق بنوع معين من البشر كان يحيا في بقعة معينة من الأرض في حقبة معينة من الزمن.. وهي كلها تحمل في طياتها حكماً ومواعظ للعالمين حتى قيام الساعة.. وقد نجد من النوع الثاني من الآيات النزول في مناسبات معينة كالحرب ومعاتبة العرب أو اليهود أو النصارى أو النساء... إلخ.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته:

قال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾} [آل عمران: ٧].

والكتاب في جملته كان بالطبع جديداً على محمد صلى الله عليه وسلم.. الذي لم تكن معلوماته قبل الوحي تزيد عن معلومات مواطن في بلدة متأخرة، ومن هنا تبين تماماً حتى لخصوم الإسلام وأعوانه

إن إعجاز القرآن يكمن في القوة الروحية القادرة المطلقة التي تفضلت بإرساله لهداية العالمين...

قال تعالى:{تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)} [هود: ٤٩].

قال تعالى:{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } [آل عمران: ٤٤].

قال تعالى:{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)} [يوسف: ١٠٢].

قال تعالى{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } [هود: ١٠٠].

ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم:

قال تعالى{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج: ٢١ - ٢٢].

قال تعالى{ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)} [الزخرف: ٣ - ٤].

قال تعالى:{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)} [الرعد: ٣٩].

ولقد اختلفت الآراء في تفسير كلمات اللوح المحفوظ.. وأم الكتاب.. فقد ذهب ابن عباس رضى الله عنه إلى القول بأن اللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض.. إلخ..

وقال البعض أن القرآن أنزل من أم الكتاب مرة واحدة ثم فرق آيات نزلت على حسب أزمنتها..

وهناك تفسير في علم الروح الحديث.. قد يجدر بنا في هذا المقام ألا نغفله، وقد نوجزه بأنه في عالم الروح يوجد أصل كل شيء موجود في الأرض أي ان كل ما يوجد في الأرض تكون نسخته الأصلية أولاً في عالم الروح، وهذه النسخة تكون على هيئة أثيرية، ولا نشعر بها ثم تتجسد هذه النسخة تدريجياً حينما يحين أوانها فتصبح منظورة لنا عندئذ.. وعلى هذا فإن كل مولود.. أو نبات أو جماد.. لم يكن موجوداً بالأمس ووجد اليوم على سطح الأرض كان على هيئة أثيرية في عالم الروح.

وما يقوله علم الروح عن الأجسام يقوله عن الأضواء والكلمات.. إلخ.. بمعنى أن الأصل الأثيري للقرآن الكريم هو اللوح المحفوظ.. وأن آياته وكلماته تجسدت ونزل بها جبريل عليه السلام على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر العلي القدير باللغة العربية في المكان والزمان المناسبين.

وفي هذا المعنى يقول العالم الدكتور على راضي (المصدر السابق):

" تقول الأرواح أن هناك في عالمها كل الحوادث السابقة والمستقبلة على هيئة شريط أثيري أزلي، وما على الروح الذي يريد أن يستفسر عن حادث تاريخي مضى أو يعرف شيئاً حادث مقبل إلا أن يجري بسرعة هائلة، حتى يصبح أمام هذا السجل (أم الكتاب) ويقرأ فيه ما يريد.. كما قالت أيضاً: إن كل كتاب على الأرض له أصل هناك، وأن الأرواح يمكنها أن تطلع على كتبنا الأثيرية في مكاتب لديهم..

ومن هنا نفهم أننا نحن الذين نسرق أو تنقل أفكار عالم الروح ونحول كتبها الأثيرية إلى كتب مادية نقول بعدها إننا الذين كتبناها.. وبالطبع يتوقف مستوى الكتاب على المستوى الأثيري الذي هبط منه إلى كاتبه..

ويجدر أن ننوه هنا أيضاً بأن الكتب هناك ليس ضرورياً أن تكون كتباً ذات حروف كما نعهد، بل قد تكون ذات أفكار، لأن اللغات هناك لا تستعمل واللغة الكونية هي الفكر.. ولا ننسى أيضاً أن الفكر مجسد هناك بمعنى أنه يمكن لمسه تماماً كما نلمس الأجسام الصلبة، وبهذا يكون اللوح المحفوظ أو أم الكتاب ما هو إلا شريط فكري أزلي في مستوى أثيري، ويمكن أن أقرب هذه الفكرة لمن لا يستوعبها بفكرة علمية وهي إمكانية تحويل الكهرباء إلى ضوء أو صوت بمعنى أننا نجد القرآن الآن مسجلاً على أسطوانات تذاع في محطة الإذاعة، أو على هيئة كتابة تذاع في محطة التلفزيون، وفي كلا الحالتين يتحول الصوت أو الضوء أثناء هذه العملية إلى نبضات كهربائية غير منظورة تسري في الكون على هيئة شريط أثيري يمكن لمن يلتقطه، ويكون لديه الجهاز المناسب أن يستقبله ويحوله من جديد إلى صوت مسموع أو كتابة مقروءة...).

ويقول العلامة الشهير أينشتين في نظريته النسبية وكما أشرنا من قبل: " إن كل الحوادث موجودة في مكان ما من الكون.. وإننا نمر بها في الوقت المناسب وأنه يمكن باستخدام السرعة المناسبة للمركبة - أكبر من سرعة الضوء 300.000/ثانية - التي تسافر بها أن تلحق بالحادثة المعينة.. ".

* * *

الباب الثاني

ومضات أثناء الهجرة والإعداد لها

الفصل الأول:

الإعداد للهجرة

لا ريب في أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصيب بصدمة كبرى عند وفاة عمه أبي طالب، فلقد كان عمه هذا بمثابة الأب الحامي والسند القوي له ضد الظروف المادية القاسية التي نشأ فيها بين خصومه وأعدائه من قريش..

فلم يكد أبو طالب يقبر حتى قامت قريش تدبر المكائد وتمعن في التآمر وتنثر بأيدي سفهائها التراب على رأس ذلك الذي أرسله القدر ليعارض وثنيتها وكبرياءها وجهلها في هذه المنطقة من الأرض.. لينطلق منها أصحابه وتابعوه لهداية الإنسانية جمعاء...

لقد خرجت المعركة بعد وفاة أبي طالب من طور الجدل والمساجلة بالحجج والبراهين على وجود إله واحد غير إلهتهم من الأوثان المنحوتة... إلى طور القهر والإهانة والعذاب النفسي.. وتبدلت لغة التخاطب إلى لغة الأكثرية الجاهلية الغاشمة ضد فرد واحد كله عقل وكله إيمان وكله حساسية، ولم يكن هناك لدى قريش حل للأزمة التي أوجدها محمد صلى الله عليه وسلم في محيطها سوى الحل الأخير الذي راودهم ووسوس الشيطان به في صدورهم بعد موت عمه أبي طالب وهو قتله والتخلص منه ومن أفكاره إلى الأبد.

وتتراءى للرسول صلى الله عليه وسلم رؤية الخلاص من هذا الموقف.. وهو على يقين بأن الله ناصره عليهم ومؤيده، وأنه جل وعلا سيخلصه بمعجزة من أيدي الجبابرة، من طراز أبي جهل وأبي

لهب اللعينين.

وهو يعرف أن خلاصه هو في الهجرة من مكة.. ولكن الهجرة إلى أين..؟ فإن ما رآه في المنام لم يكن - لحكمة ما أرادها العلي القدير - واضحاً تماماً أو بمعنى أدق محدداً فقد جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم :{رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي مدينة يثرب} أخرجه الشيخان ورواه أحمد والترمذي.

وقوله صلى الله عليه وسلم :{إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين} أخرجه الشيخان.

ويرى الرسول صلى الله عليه وسلم أن هجرته قد تكون إلى الطائف فلعل قبيلة ثقيف خاصة تنصره.. فيخرج ومعه زيد بن حارثة قاصداً الطائف طلباً للمؤازرة من أهلها شارحاً للدين الجديد. ولكنهما يعودان بخفي حنين.. وليس هذا فحسب، بل يترصد لهما في طريق العودة سفهاؤهم، ليقذفوهما بالأحجار حتى تدمي رأساهما وأرجلهما..

وعندئذ يتأكد صلى الله عليه وسلم أن رؤياه تنصب على بلد آخر غير الطائف.. ولكن ما هي هذه البلدة التي تنصب عليها رؤياه.. لقد اجتهد في الأسباب طبقاً لقواعد الناموس.. ولكن لم يصل لنتيجة حاسمة.. إذا فعليه أن يتجه إلى العلي القدير سائلاً العون، معلماً الإنسانية جمعاء بأن الدعاء بطلب العون من الخالق العظيم لابد وأن يصاحبه اجتهاد واستنفاد للأسباب طبقاً لما تمليه قواعد الناموس حتى مع الأنبياء والرسل.

وهنا يستجمع محمد صلى الله عليه وسلم كل ما لديه من إيمان وعقل

وحساسية ومواهب روحية أنعم بها عليه العلي القدير، متوجهاً بها إلى خالقه العظيم ودماؤه تنزف غير مبال بها:{اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس.. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي.. إلى من تكلني.. إلى بعيد يتجهمني.. أم إلى عدو ملكته أمري.. إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك}.

دعاء من رسول على خلق عظيم إلى إلهه ومرسله وخالقه العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى عما يشركون دعاء أشبه بصلاة.. والمتأمل في التاريخ يجد أن أنبياء الله قد غيروا وجه هذا التاريخ إثر صلاة عميقة أو إثر مناجاة حارة للخالق العظيم سبحانه وتعالى.. إذ إن في تلك المناجاة الصادقة تأتي القوة الإلهية الخارجة المطلقة لتفعل فعلها..

فها هو نوح عليه السلام يشكو قومه لربه:

قال تعالى:{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا} [نوح: ٢٦].

وإبراهيم عليه السلام عندما ألقى به في النار توجه إلى الله عز وجل شاكياً وداعياً فكانت النتيجة:

قال تعالى:{قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾} [الأنبياء: ٦٩].

وها هو النبي موسى عليه السلام وقد أراد فرعون اغتياله وقد قال تعالى على لسانه:

قال تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾} [غافر: ٢٦].

ويقول عز وجل على لسان موسى:

قال تعالى:{وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾} [غافر: ٢٧].

ويقول عز وجل على لسان النبي زكريا:

قال تعالى:{وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ} [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

وها هو المسيح عليه السلام يناجي ربه بلسان الإنجيل:

(أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته)

ويناجيه بلسان القرآن:{وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

ويعود محمد صلى الله عليه وسلم مع غلامه زيد إلى مكة.. وفكرة الهجرة متبلورة في رأسه ويرى ببصريته ثم منامه أنه أذن له، بالهجرة وأن البلدة المقصودة هي يثرب (المدينة) وليست الطائف.. وإن ما رآه من قبل مصاحباً له هو أبو بكر الصديق وليس زيداً.

* * *

الفصل الثاني:

الإسراء والمعراج

لقد حدثت هذه الآية الكبرى حين نبذت الدعوة المحمدية في كل مكان. وأعرض الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد كربه، وذلك بعد رجوعه من الطائف كئيباً حزيناً حتى لم يستطع أن يدخل مكة وطنه هو وفتاه زيد إلا بجوار مجير هو ابن عمه (المطعم بن عدي) فاتجه إلى خالقه ومرسله العظيم يستمد منه العون، ويسأله متضرعاً الحول والقوة، فأرسل إليه بعطفه من عالم الغيب مدداً، ومن القوة الروحانية والعوالم الغيبية عوناً، وصرف إليه نفراً من الجن حين بات بنخلة في رجوعه من الطائف، وقد قام في جوف الليل يصلي، فاستمعوا له وهو يقرأ القرآن، ثم رجعوا إلى قومهم فأعلمه الله بذلك في قوله تعالى:

قال تعالى:{وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ} [الأحقاف: ٢٩].

يقول (إرفنج) في كتابه (حياة محمد):

(إن هذه الزورة من الجن فيها عزاء وتسلية (لمحمد) بعد رجوعه من الطائف، تلك الرجعة المؤلمة إذ فيها إشارة له إنه إذ كانت دعوته قد نبذت وتعاليمه قد رفضت من معشر الإنس، فقد قوبلت باحترام وإعجاب من الجن، عالم الذكاء الغيبي غير المرئي.. وسبحان من أنزل في قوله تعالى:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

لقد حدث الإسراء في تلك الفترة، وكان على التحقيق قبل بيعة العقبة، أي في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب - أسرى بالرسول الأمين إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماوات، وفرضت عليه الصلوات الخمس.

ولا شك أنه بجانب ما في معجزة الإسراء والمعراج من ترفيه روحاني ونمو نفساني، واتصال ومشاهدات وأنس ونفحات، وعزاء أي عزاء، حتى لقد رجع صلى الله عليه وسلم من إسرائه ومعراجه وقد خرج من همومه وأحزانه، وفارقه ضيقه وكربه وفتحت أمامه أبواب السماء، وصفت له النفوس ورحبت به أرواح في العالم العلوي فتبدل من الوحشة أنساً ومن الضعف قوة، ومن الفشل نصراً..

يوجد جانب آخر في غاية الأهمية للإنسانية جمعاء يحمل في طياته رسالة عظيمة لتبشير المؤمنين المجاهدين الصابرين الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله بأن لهم أجراً عظيماً وتحذيرًا من يقدسون عقولهم ويسيرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر ونظرهم الضعيف، وكل من سار وراء عقله، ووزن كل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بميزان فكره قلما يؤمن إيماناً صحيحاً، فإذا راقه من العقل ما يشقشق به في بعض الأحيان لم يلبث أن يسوءه ما يهذي به في وقت آخر، ولا غرو فالجهل حليف الإنسان، والضعف لازم من لوازم البشرية وقصور العلوم من صفاتها الذاتية، وأعراضها اللازمة، وكل من لا يصدق إلا فقط بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه ليس مؤمناً بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن فقط بعقله... فلقد جاءت الرسل أيضاً لتخبرنا بما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه

العقول التي لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات، وما تنتزعه منها من المعقولات مما هو راجع إليها ومتوقف عليها، ومقدورات الله سبحانه وتعالى لا نهاية لها، وعوالمه لا حد لها، ولكل عالم قانون يخصه.

فمن الخطأ البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر، وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوانات ما لا يعيش إلا في الماء ومن بعضها ما لو مكث في البحر لمات، ومن بعضها ما يقتله ثاني أكسيد الكربون كالإنسان وكثير من الحيوانات الدنيا، لعلنا كنا لا نصدق ذلك قياساً على أنفسنا لولا مشاهدتنا إياه فكيف بما لا نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التي تحس والتي لا تحس - بل وفي رأينا أن الإنسان العاقل الذي يعمل بعقلية بسوية هو الذي يعجب لهم حين يتبجحون ويحكمون في كل الأشياء بالأحكام الجازمة اعتماداً على بعض قوانين وصلوا إلى ظواهرها من قوانين هذا الكون التي لا يحصيها إلا الله، ولا يدري كنهها غير مبدعها الذي لا حد لقدرته، ولا نهاية لعلمه..

ثم أي عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع؟ أهو عقل الأفراد أم عقل الجماعات؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت بين أفراده مثل نوع الإنسان الذي هو مظهر المتناقضات، ومجمع الغرائب والعجائب، وقد خاطب الله خلقه بقوله جل وعلا:

قال تعالى:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾} [الإسراء: ٨٥].

ويقول عز وجل في حق الإنسان:{إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب: ٧٢].

إن الإنسان في تخبطه وتناقضه وارتباكه في أغلب الأحوال وأعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور فعلام تلك الكبرياء، وهو من الضعف بحيث يرثى له.. وفي أمس الحاجة لعون وتوفيق وشرع خالقه العظيم الذي لا نجاة إلا به ولا ملاذ إلا إليه..

ومن الغريب أن هؤلاء الماديين المفكرين لا يستندون إلا إلى الاستبعاد العقلي وقياس الغائب على الشاهد، وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا. والجاهل لا يعرف قدر نفسه، ولا قدر العلم، ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه في دائرة العدم وسبحان من أنزل فيهم هذا الكلام:

قال تعالى:{بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾} [يونس: ٣٩].

هذه مقدمة عزيزي القارئ أرى أنه كان لابد منها، فقصة الإسراء والمعراج من أشهر معجزات التاريخ الإنساني وأصدق الأنباء والآيات.

وقد جاء ذكر هذه الآية الكبرى في عدة مواضع من القرآن الكريم:

قال تعالى{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾} [الإسراء: ١].

قال تعالى:{وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ

بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾} [النجم: ١ - ١٨].

كما جاء ذكر قصة هذه الآية العظمى أيضاً في عدة أحاديث منها: ما جاء ذكره على لسان هند ابنة أبي طالب (أم هانئ) إذ قالت:

(إن رسول الله نام عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، فلما صلى الصبح، وصلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة، كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة كما ترين).

وفي رواية أخرى عن مالك:

{بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان... فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار (البراق) فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا}.

وفي رواية عن أنس بن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

{بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق}.

وفي رواية عن مالك أيضاً:

{بينما أنا في الحطيم أو الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت.. فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشى ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا... إلخ}.

وفي رواية عن ثابت البناني أن أنس بن مالك في صحيح مسلم:

{أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه.. فركبته حتى أتيت بيت المقدس..}.

أما ما رواه الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء الإسراء من مكة إلى بيت المقدس كما ذكره أنس بن مالك في هذه الرواية الأخيرة فهو:

(رأى جنياً يطلبه بشعلة نار فتغلب عليه، وقوماً يحصدون وقال له جبريل: أنهم المجاهدون، وشم ريحاً طيبة من ماشطة بنت فرعون، ورأى تعذيب المتكاسلين عن الصلاة، والذين لا يتصدقون والذين يزنون والذين يقطعون الطريق والذين يأكلون الربا والذين يخونون الأمانة والخطباء الذين يقولون ما لا يفعلون والنمامين والمتشدقين، ثم رأى الدنيا على هيئة امرأة تغوي الناس وشيخاً قيل له: إنه إبليس ورأى الدنيا مرة أخرى على هيئة عجوز قاربت الموت.. إلخ).

وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبخاري والبيهقي وابن جرير وأبي بعلي:

(أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون، ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل: ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف

وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم وتكسر بالصخر، وكلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك شيء، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأغنام يأكلون الضريع (الشوك اليابس) والزقوم (ثمر شجر كريه الطعم) ورضف (الحجارة المحماة) جهنم قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ، خبيث في قدر، فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث، ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي رجلاً خبيثاً، فتبيت عنده حتى تصبح، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون).

وبعد أن وصل الرسول إلى بيت المقدس يقول عن براقه كما ذكر ثابت البناني عن أنس بن مالك كما جاء في صحيح مسلم:

(فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء.. ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة).

وتقول بعض الروايات أنه بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم إلى

المسجد في بيت المقدس صلى هو وجبريل ركعتين وبعدئذ نزلت الملائكة من السماء وحضر الأنبياء والمرسلون للبشرية جميعاً.. فتقدم محمد صلى الله عليه وسلم فأم بهم الصلاة.. ثم بدأ المعراج إلى السماء.

وفي روايات أخرى: إن إمامته في الصلاة للملائكة والرسل والأنبياء كانت بعد عودته من المعراج.

وعن مالك: أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى السماء الدنيا: قيل من هذا؟ قال جبريل قال: ومن معك؟ قيل: محمد.. فأتيت على آدم فسلمت عليه.. فقال مرحباً بك من ابن ونبي.. فأتينا السماء الثانية.. فأتيت على عيسى ويحيي فقالا: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الثالثة فأتيت يوسف، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الرابعة.. فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الخامسة: فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء السادسة: فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي... إلخ.

ثم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : فرفع إلى البيت المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه سبعون ألف ملك يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كآذان الفيلة.

ثم بعد ذلك على ضوء الروايات صحيحها وحسنها - عرج به إلى

العلي القدير سبحانه وتعالى، فدنا منه، فأوحى عز وجل إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر بموسى، فقال له: بم أمرت؟ قال بخمسين صلاة، قال: أن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فأساله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه أن نعم إن شئت، فرجع صلوات الله عليه إلى ربه، فوضع عنه عشراً، فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فظل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمساً، فطلب منه موسى الرجوع، وسؤال التخفيف، فقال عليه الصلاة والسلام، قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتي، وخفف عن عبادي، خمس في العدد، وخمسون في الأجر، ثم هبط إلى بيت القدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم لما حانت الصلاة. ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء.

إذن نحن أمام قصة تتركب عناصرها مما يلي:

أولاً: عملية جراحية من نوع ما.

ثانياً: الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بطريقة عجيبة.

ثالثاً: المعراج من بيت المقدس إلى السماء بطريقة أعجب.

رابعاً: رؤى وحوادث مدهشة ثم العودة بذات الطريقة إلى مكة عبر بيت المقدس.

ولنحاول عزيزي القارئ، تناول كلا من هذه العناصر على حدة بشيء من السرد المفصل لتلمس الاقتراب من بعض جوانب هذه المعجزة الكبرى، مقرين ومؤكدين قبل البدء في ذلك على عجزنا التام في

إدراك ماهيتها أو الإحاطة بها، وأن غاية مبتغانا هو فقط الاقتراب من فهمها:

أولا: قصة العملية الجراحية:

تؤكد لنا كتب السيرة، بأن هناك عدة روايات تذكر شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وأن منها ما ينصب على ليلة الإسراء.. وهناك روايات أخرى تقول: أن هذه العملية أجريت له في أكثر من مرة، فمثلاً يقول الشيخ الدباغ في (الإبريز)، أنها حدثت ثلاث مرات، أولها " عند حليمة واستخرج منها حظ الشيطان وهو ما تقتضيه الذات الترابية من مخالفة الأمر واتباع الهوى.. وقد قيل في ذلك أن أخاه في الرضاعة، جاء يعدو لأبويه قائلاً عن محمد: ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه (يقلبانه).

كما يقال: أن محمدًا قال لحليمة في ذلك: شقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لم أدر ما هو وثانيها: عند عشر سنين لنزع أصل الخواطر الرديئة منه وثالثها: عند النبوة.

ولكنّ كثيرًا من الباحثين، يترددون في تحديد التاريخ الذي حدثت فيه هذه العملية، فبعضهم يقول: أنها حدثت فيما بعد عندما كان عمره أربعين تقريباً.. وبعضهم يقول: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره، ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته.. وبعض آخر يكذبها تماماً..

وفي الواقع أن قصة شق الصدر أو البحث عن القلب.. نجده في قصص القدامى منذ فجر التاريخ ففي كتاب الموتى مثلاً نجد أن

موضوع القلب قد ذكر عدة مرات.. فقد كان قدماء المصريين يعتبرونه العضو الأساسي الذي تتوقف عليه حياة الشخص في العالم الآخر.

يقول أوزوريس نقلاً عن " كتاب الموتى " في التشفع لأحد الناس بعد موته:

(لقد استطاع أن يتمكن في أعضاء جسده، إن قلبه يطيعه فهو إذن ذو سيادة، إنه في جسده ولن يسقط أبداً).

وفي موضع آخر من الكتاب يقول أوزوريس: " ارجع أيها المبعوث من كل رب.. هل جئت لتأخذ قلبي هذا الذي ينبض بالحياة؟ ولكن قلبي الذي ينبض بالحياة لن يعطي لك. "

كما جاء في مقدمة كتاب الموتى أن كثيراً من البلاد الإفريقية كانت تعتقد في سحر القلب.. وفي إحدى اللوحات القديمة يقف الميت بجوار قلبه الموضوع على كرسي في حضور أربعة آلهة يجلسون على رمز الحق.. وعندما يعاد القلب إلى الميت يصبح سيداً لجسمه وأعضائه.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: " وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي تغسل فيها قلوب الأنبياء.. ".

كما يجب ألا نغفل رأي بعض الباحثين، ومنهم بعض الروحانيين، ومنهم أ. د / على راضي رحمه الله، والذي نوجزه في عدم استبعاد أن تكون المسألة كلها عبارة عن سوء فهم من الناس للألفاظ التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعبيره عن قصة

الإسراء، فطست الذهب وماء زمزم ما هما إلا محاولة لإعلاء المعنى المقصود، فصنع الطست من الذهب أو من غيره، وكون الماء من زمزم أو من بئر غيرها لا يغير من الموضوع شيئاً، وكل هذا الوصف، إنما هو لتقريب فكرة معينة على مستوى عال للإعراب، وأن خلاصة الموضوع إنما تقصد توصيل الحكمة إلى القلب..

وأن القصة كلها يجب أن تفهم على أنها تعبير عن شيء روحي بألفاظ مادية.. ويستندون في ذلك إلى رواية أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة، وإيماناً فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء).

وان بدء الحديث بجملة (فرج سقف بيتي)، أي شق السقف ونزل منه جبريل... إلخ، يؤكد أن هذا شيء لم يحدث على مستوى مادي بالطبع، فجبريل لا يحتاج إلى عمل فتحة في السقف لينزل منها لأن الأرواح ليست مادة، ويمكنها أن تخترق الحوائط، ولا يقف أمامها الصلب أو الجبال، وكل ما حدث هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في جهة السقف، وهذا ما كان يحدث لأخوته من الرسل والأنبياء، ويحدث أيضاً للأولياء والصالحين والوسطاء المتصلين بالأرواح، ويتمتعون بوساطة الجلاء البصري.. فهم أحياناً يرونها قادمة من السقف أو من الحائط المقابل أو من الباب أو من خلال صخور الجبال... إلخ، مما يترتب عليه أن السقف لم يشق، وبالتالي الصدر الفيزيقي للرسول صلى الله عليه وسلم لم يشق والتعبير الأول

ينطبق على التعبير الثاني.

وهنا يدور التساؤل عن استحالة إجراء العملية من عدمه.. وإن كنا قد أوردنا الأسباب التي تقلل من القناعة بحدوث شق مادي للصدر الفيزيقي للرسول صلى الله عليه وسلم.. فليس معنى ذلك أننا لا نصدق بإمكانية جبريل عليه السلام أو حتى غيره من الأرواح بعمليات جراحية لمن يريدون من البشر.. فإن الذي قد يكذب بذلك هم الماديون الخارقون في مادياتهم.. فلقد أكد علم الروح الحديث على وجود أسس حديثة الآن لعلم " الباراسيكولوجي " والعلاج الروحي بما فيه من إجراء عمليات جراحية.. وأصبحت مراكز العلاج الروحي، معتمدة علمياً على مستوى كافة الدولة المتقدمة وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا.

وفي رأينا أن هذه القصة يجب أن تفهم على أنها تعبير عن شيء روحي.. وأن العملية وقعت بالجسم الأثيري للرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن في جسمه المادي.. وأن كان حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بعملية الشق من الرقبة إلى البطن فلأن هذه هي اللغة التي يفهمها آنذاك قومه، لأنهم لا يعلمون شيئاً عن العمليات الروحية، ولا عن عملية الإسراء ذاتها إذا حدثهم عنها على حقيقتها.

أما هدف تلك العملية الروحية، فقد يمكن تفسير ذلك على ضوء ما قدمناه من قبل عن تأثير الغدد (الضفائر)، وأن بجسم الإنسان سبع مراكز أثيرية تنصب فيها القوى الحيوية، وبالتالي إلى الضفائر المناظرة لها في الجسم الفيزيقي (الغدد)، وأن هذه المراكز تسمى بلغة الهنود (شاكرا) أي عجلة النار، وفيها تتولد (برانا) أي الطاقة الحيوية التي تصلها من الطاقة الكونية العامة.. وأن هذه المراكز أو

العجلات تقع الأولى منها عند قاعدة سلسلة الظهر، وتهيمن على عملية الإخراج وهي تحتوي على الطاقة السرية النائمة المسماة (كوندالين).

والعجلة الثانية: موضعها عند منطقة الطحال.. وتهيمن على الرغبات الجنسية، وتناظر الضفيرة فوق المعدية في الجسم الفيزيقي.

والعجلة الثالثة: موضعها منطقة السرة، وهي تهيمن على الجهاز الهضمي وتناظر الضفيرة الشمسية.. ويقول علماء الروح الحديث: إن هذه العجلة مع العجلة الثانية المذكورة، بأعلاه مسؤولتان عن وساطة الطرح الروحي.

والعجلة الرابعة: موضعها عند منطقة القلب، وهي تهيمن على عملية التنفس (الحياة) وتناظر الضفيرة القلبية في الجسم الفيزيقي.. ويوجد في القلب ما يعرف بالبذرة.. ويتفق علماء الروح بأن في هذه البذرة توجد صورة مصغرة للإنسان نفسه، وأن جسده ما هو إلا نسخة مكبرة من هذه البذرة.. كما يؤكدون أن هذه البذرة هي الحلقة بين الشخص ونفسه، أي أنها تربط الحبل الفضي (الذي يربط الجسم الفيزيقي بالجسم الأثيري) بالقلب وعند الموت تغادر هذه البذرة القلب.

والعجلة الخامسة: موضعها منطقة الرقبة وهي تهيمن على الكلام وتناظر الضفيرة البلعومية (الغدة الدرقية).

والعجلة السادسة: موضعها منطقة الجبهة بين الحاجبين وتسمى العين الثالثة (الغدة الصنوبرية).. وهي مركز الموهبة المعروفة باسم الجلاء البصري.

والعجلة السابعة: موضعها الرأس، وتناظرها الطبقة السحائية في

المخ.. أو الغدة النخامية التي تعتبر مركزاً للعقل وسيدة الغدد الأخرى في الجسم.

ويقول العالم أديليد جاردنر في كتابه: (العلاج المغناطيسي الحيوي):

إن حالة العجلات يمكن رؤيتها بالجلاء البصري أو اللمس كما يمكن إثبات أن لها تأثيراً مباشراً على الغدد الصماء في مناطق تأثيرها، وأن العلاج المغناطيسي أو التأثير السيكولوجي الذي يحدث العجلات يمكنه أن يغير عمل الغدد المتعلقة بها ويستطرد قائلاً: " أن العجلات (المراكز الأثيرية) هي التي تتغير أولاً، أما تغيير الجسم فيأتي بعد ذلك ".

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن الملاك الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرى عملية جراحية لشحذ لعجلات.. وإطلاق الطاقة الروحية في القنوات الصحيحة ليبلغ الاستعداد الروحي مداه.. ويمكن للجسم الأثيري أن ينفصل تماماً أثناء عملية الطرح.. ومثل هذه العمليات الروحية التي يتم فيها شق الصدر أو البطن أو خلافها من أجزاء لا يسيل فيها دم ولا يحدث فيها ألم ولا يترك لها أثر.. وذلك يظل الجسم كما كان قبل العملية من الوجهة الظاهرية. وقد تتضح صحة نظرية تقوية الغدد التي في الجسم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عن مضغة القلب: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ". فيرجح أن العملية الروحية تناولت هذه المضغة أي غدة القلب..

يقول الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): إن قلب الإنسان هو روحه:

(القلب: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العارف من الإنسان وهو المخاطب والعاتب والمعاتب والمطالب..)

ومن الأمثلة التي تشير إلى إمكان تغيير بعض خصائص الجسم الأثيري للإنسان تأثراً بالغدد وأي عملية تغيير أو جراحة فيها.

يقول الشيخ الدباغ في كتاب (الإبريز) أن الصحابي عمران بن حصين الخذاعي رضى الله عنه كان يشاهد الملائكة ويسلمون عليه.. فلما اكتوى انقطعوا عنه خزاعة.. وواضح هنا أن الكي هنا قد أثر على إحدى الغدد التي كانت تكسبه الوساطة الروحية.

ولقد نشرت صحيفة السيك أوبزرفر عام 1963 عدة مقالات للكولونيل باول الكاتب الروحي الشهير نوجزها في أن صديقه الدكتور وود من ممفيس بالولايات المتحدة له موهبة الطرح الروحي، وأنه كان يتمتع أيضاً بالجلاء البصري، ويكشف على المرضى في المستشفى بعينه بدلاً من أشعة إكس، وأن الأطباء شهدوا له بصحة ما يقول، وحدث بعد ذلك أن أجريت له عملية لاستئصال قطعة من زجاج كانت بقرب الغدة الصنوبرية (بين العينين) وبعدئذ نقصت موهبة الجلاء البصري عما كانت عليه.. ويقول باول: أن هذه الحالة عكس حالة شخص يدعى لوبسانج رامبا الذي أجريت له عملية في جبهته كان من أثرها أنه أصبح يتمتع بالجلاء البصري.

وجاء في كتاب التجسد لمؤلفه الشهير هاري بودنجتن:

لقد قال روح طبيب عبارة في غاية الأهمية وذلك خلال الوسيطة

الشهيرة " كاتين جوليهر " لقد قال: " بأن كان يستخرج جسيماً مادياً صغيراً من داخل أعصابها ".. ولما سئل عن سبب ذلك أجاب: أنه لتسهيل اتصال عقل الروح إليها أثناء عملية التجسد ".

ونشرت مجلة عالم الروح (نوفمبر 1958) كيف تحدث العالم السويدي والوسيط الشهير سويدنبرج (صاحب مؤلف الجنة والنار الشهير) بعد أول رؤيا له عن مادة تشبه بخار الماء.. تفرزت من مسامه وسقطت على الأرض، وأن اعتقاده كان أنها خرجت منه لتطهيره من الفساد الناتج من الغذاء الأرضي الذي لا يتناسب مع أهل السماء.

وهذه القصة الأخيرة وخروج شبه بخار من الجسم يذكرنا بإصلاح هالة الإنسان أثناء العلاج الروحي إذ تتحول المناطق المظلمة فيها إلى مناطق مضيئة.. وتزداد المناطق المضيئة فيها لألأة وإضاءة.. وهذا شيء أصبح معروفاً الآن في جميع الدوائر الروحية بالدول المتقدمة..

وعلى هذا ربما يكون المقصود أيضاً بالعملية هو تهيئة هالة الرسول صلى الله عليه وسلم عند بداية اكتسابه لصفات النبوة وشاء المولى عز وجل زيادة الفتح عليه.

وفي هذا يقول الشيخ الدباغ في كتاب (الإبريز): إنه يزال عن المفتوح عليه شيء شبه السلخ الأسود وهو الظلام المحيط بالذات كلها، فإذا زال ذلك السلخ صب على الذات نور الفتح وهو كبكبة عظيمة يؤتى بها من شاء الله من الملائكة وقوم آخرون يشتغلون بزوال السلخ، والملائكة حاملة للسر، وبنفس

زوال السلخ تضع الملائكة النور في الذات.

ويقول العالم الدكتور على راضي في كتابه " الروحية والدين " :

(وإذا كنا نسمع الآن عن الاستعدادات الضخمة التي تجري في كل مرة يحاول أحد رواد الفضاء السفر إلى خارج نطاق الأرض.. وكيف يفحصه الأطباء المتعددون، ويضعون له مختلف الأجهزة المساعدة له على تحمل متاعب السفر في الفضاء.. فمن اليسير على القارئ إذن أن يفهم سر تلك العملية الجراحية التي تمت للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه إلى بيت المقدس ثم عروجه إلى السماء.. والسفر إلى السماء يختلف كلية عن السفر للفضاء إذ يحتاج لقوة روحية يتغلب بها صاحبها على الظروف المقاومة لارتفاعه، وقد تكون هذه القوى طبيعية، وقد تكون نتيجة لوجود مخلوقات شيطانية أو إشعاعات نووية أو غير بشرية في طريق عروجه، هذا ومن المعلوم أن الطرح الروحي خطير العاقبة إلا لمن تجهز له من قبل إذ يكون الجسم الفيزيقي في حالة حرجة حتى تعود إليه الروح ثانية، كما أن الروح لا يمكنها الانتقال إلى طبقات عليا إلا إذا كانت معدة إعداداً كاملاً لذلك، فكانت العملية ليلة الإسراء إذن شيئاً علمياً ضرورياً لإتمام التجربة.

أما لماذا كان القلب هو المختص بتلك العملية فهذا راجع إلى أن اتصال الروح يكون عند القلب، لذا يتحتم أن يكون قوياً لتحمل أي صدمة قد تنشأ أثناء خروج الروح مؤقتاً أثناء عملية الطرح. وفي جميع الكتب التي تتكلم عن الوساطة الروحية نجد أنها تمنع ضعاف القلوب عن ممارسة وساطة

الطــرح الروحـــي خوفــاً علــيهم ونحــن نجــد أن قصـــة الإســـراء حــدثت فـي بدايــة بعثــة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وقبـل إتمـام رســالته، فكــان مــن الضــروري إذن زيــادة قــوة القلــب تيســيراً لوساطة الطرح الروحي).

هذا وقد يلفت نظرنـا مـا قالـه العـالم السـويدي سـويدنبرج فـي كتابـه الشهير (الجنة والنار) من أن السماء تحوى مملكة الفردوس ومملكة الروح وأن مملكة الفردوس تناظر القلب وما يتعلق به في الجسم ومملكة الروح تناظر الرئتين وما يتعلق بهما في الجسم.

وعلى أية حال فلقد كان شق صدر الرسول وغسل قلبه في رأينا أمراً معنوياً حتمياً تمهيداً للعروج به في السماء.. وفق قواعد الناموس التي أرساها الخالق العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى في كونه.

* * *

ثانيا: الإسراء " قصة السفر "

يقول صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر الأسبق عبد الرحمن تاج " من كتاب الإسلام انطلاق لا جمود "، " للأستاذ مصطفى الرافعي ":"

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين، قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسراء أنه أسرى به في تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة، وأن أول من حدثهم بذلك " أم هانئ " بنت عمه أبي طالب، فعجبت لهذا الأمر العظيم، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يستمع لها، وخرج إلى المسجد وجلس إلى جوار الكعبة، فمر به أبو جهل، وهو ممعن في تفكيره،فقال له هل من خبر؟ قال صلى الله عليه وسلم :{إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس}.

قال: إلى بيت المقدس؟ قال صلى الله عليه وسلم :{نعم}.

قال أبو جهل: أرأيت أن دعوت قومك لك تخبرهم بما أخبرتني به.

قال صلى الله عليه وسلم :{نعم}.

فنادى أبو جهل: هيا يا معشر قريش، فاجتمعوا من أنديتهم وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: أخبر قومك بما أخبرتني، فقص عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه، فأخذوا يصفرون ويصفقون تكذيباً له واستبعاداً لخبره.

وانتشر خبر ذلك في مكة، وذهب الناس إلى أبي بكر يخبرونه الخبر

فقال لهم: أنكم تكذبون عليه.

فقالوا: والله إنه ليقوله.

فقال: إن كان قد قال فقد صدق.

قالوا: تصدقه على ذلك؟

قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحه.

ثم جاء إلى رسول صلى الله عليه وسلم وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله، وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل، وعرف شيئاً من معالمه وصفاته.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :**{فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس على بعض الشيء، فجعل الله لي بيت المقدس، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم}**.

فقالوا: أما النعت فقد أصاب. ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا.. وهل لقيت منها شيئاً؟

قال صلى الله عليه وسلم :**{نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء. وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء، فعطشت وأخذت وشربته ووضعته كما كان، فاسألوا: هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا}**. قالوا: هذه آية.

قال صلى الله عليه وسلم :**{ومررت بعير بني فلان، وفلان وفلان راكبان قعوداً، فنفر بعيرهما مني فانكسر، فاسألوهما عن ذلك}**.

قالوا: هذه آية أخرى.

ثم سألوه عن العدة والأحمال والهيئات، فمثلت له العير، فأخبرهم عن كل ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان ويقدمها جمل أورق عليه غراراتان مخيطتان.

قالوا: هذه آية أخرى.

فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية وجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه، إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت. وقال آخر: هذه العير قد أقبلت، يقدمها بعير أروق، فيها فلان وفلان كما قال محمد.. لكنهم لم يؤمنوا وقالوا: هذا سحر مبين.

حتى نزلت في ذلك آية قرآنية فيما بعد يقول فيها الله جلا وعلا: {وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠].

وقد نود هنا أيضاً أن تقف مما تقدم عند عدة أمور جديرة بالنظر والاعتبار.

الأمر الأول: ما كان من المشركين من اللجاجة في الجدال، والإلحاف في السؤال عن العير وعدتها وأحمالها، وعن صفات بيت المقدس، دقيقها وخفيها وجليها.. ولم تكن أسئلة أنصاف ومنطق عاقل يقصد بها تعرف الحقيقة وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة، يراد بها إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر العاجز عن إجاباتهم إلى بعض ما سألوه ليكذبوه فيما أخبر به، ولكن الله عز وجل أراد ألا يصلوا إلى غايتهم في تكذيب الرسول أو إظهاره بمظهر العاجز فكشف لرسوله عن المواقع والمعالم. لما التبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه، وجلي له بيت المقدس حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل، فجعل ينعته لهم ويستملي إجاباته من مشاهداته، يسدد

طعنات في صدورهم، وغماً وكمداً في أفئدتهم.

وفي رأينا أن هذا إعجاز لا يقل عن إعجاز الإسراء يحوي مواهب روحية عظيمة أنعم بها الخالق العظيم العلي القدير على صلى الله عليه وسلم وسلم ليظهره عليهم. وليظل دائماً وأبداً لدى أتباعه وأمته والإنسانية جمعاء بما فيها خصومة وخصوم دعوته ورسالته الرسول الصادق الأمين.

الأمر الثاني: أن هناك بعض الباحثين لازالوا يتمسكون بأن الإسراء كان بالروح استناداً إلى بعض الروايات كرواية السيدة عائشة رضى الله عنها التي ردها الحفاظ، وقالوا: إنها غير صحيحة من وجوه عدة وكرواية شريك ابن أبي نمر التي طعن فيها الحفاظ أيضاً، أما البعض الآخر الذي يستند إلى وجوب معرفة المقبول والمردود والصحيح والضعيف، والجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع، وترجيح الراجح وإسقاط المرجوح إذا تعذر التوفيق يؤكدون على أن الذوق السليم لا يقبل بأن الإسراء كان بالروح فقط بعد قول الله تبارك وتعالى:

{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

لأن الآية الكريمة قد افتتحت بسبحان المقر باستعظام ما كان من الأمر، والتعجيب منه لجلاله، وأن ذلك لا يصح موقعه، ولا يتناسب وبلاغة القرآن الكريم إلا إذا كان الأمر غير معهود، ولا مقدور لأحد من الناس، لو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضي هذا الاستعظام وذلك التعجيب، إذ لا عجب في إرادة النبي صلى الله عليه

وسلم آيات ربه في نومه فإن هذا أمر يقع حتى لغير الرسل والأنبياء من المؤمنين والصالحين. وإنما وجه الاستعظام والتعجب لو قلنا أن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذي عقل سليم.

ثم أن قول الله تعالى وتبارك " أسرى " لا يقال في النوم، لأن ما يقع في النوم، إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلاً إسراء حسياً على ما معهود ومعروف.

وقول الله عز وجل " بعبده " هو نص قاطع في الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص المكون من الروح والجسد، ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المتطور كما في قوله جل وعلا:{أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾} [العلق: ٩ - ١٠]، وقوله سبحانه وتعالى:{وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن: ١٩]، إلى غير ذلك.

وأنه جاء في القصة أيضاً ما هو قاطع في الموضوع، وهو أنهم عندما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن عيرهم التي كانت فيها تجارتهم فأجابهم بأنه مر بها وقد فر منها بعير فانكسر، وأنه مر بعيرٍ أخرى قد ضلوا ناقة لهم وكان معهم قدح من الماء فشربه صلى الله عليه وسلم وقد سألوهم عندما قدموا إلى مكة فصدقوا ذلك كله.

وأن في القصة أكثر من هذا فيما يتعلق بشرب الماء من القدح وسؤاله صلى الله عليه وسلم عن عيرهم وبيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به يستحيل معه أن تكون استفساراتهم وأسئلتهم تدور حول رؤيا منامية.. إذ لا علاقة بين عيرهم القادمة من الشام وبين رؤيا

الرسول إذا كانت منامية.. ثم أي معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية.. ويخلصون من ذلك أنه لو كان الإسراء حلماً أو رؤيا منامية ما كانت فيه آية ولا معجزة.

الأمر الثالث: أن هناك تصويراً علمياً من بعض الباحثين على الصورة المادية المنطقية التالية:

إن المسافة بين البيت الحرام وبيت المقدس بفلسطين تقرب من 1500 كم ومثلها للعودة يقطعها الراجل في ثلاثة شهور والإبل في نحو شهرين والسيارات في أسبوع والطائرات في حوالي ساعتين.. ولم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذه المسافات سوى الجمال فلابد من معجزة، والله سبحانه وتعالى يدعونا أن نفقه من أسرار الوجود ما نستطيع في أرض وسماوات في مادة وحياة.

قال تعالى:{ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾} [يونس: ١٠١].

ويقول جل شأنه:{ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾} [الأعراف: ١٨٥].

أما عباد الرحمن الكرام فأولئك الذي جاء في وصفهم:{وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾} [الفرقان: ٧٣].

واستجابة لأمر الله العظيم فإنه يلزم استهداء حكمته العالية في فهم آية من آيات ربنا الكبرى عن بصيرة ويقين.

إن معجزة الإسراء في هذا المدى برسول الله جسداً وروحاً أمر يقبله العلم الحديث.. حيث يسلم بجوار قطع هذه المسافة بهذه السرعة دون

خطر على الجسد الحي، وطائراته اليوم وصواريخه تقطع بالإنسان ما هو أبعد من ذلك، إن قيل: أن رسول الله ركب البراق فانطلق به، واكتفى العلم الحديث بهذا الانطلاق، وإن كان لا يعرف البراق.

الأمر الرابع: يتأكد تماماً مما تقدم أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد سافر فعلاً إلى بيت المقدس وليست المسألة مجرد حلم. وأن الجدل الدائر هو فقط حول ما إذا كان السفر بالجسد والروح معاً، أم بالروح فقط. وهي مشكلة حيرت قريشاً آنذاك وجعلت منهم المكذب ومنهم المصدق لرسول الله... الذي أصر على أن يحدثهم بما رأى ويثبت التجربة التي حدثت له في صفحات التاريخ.. وهي تجربة روحية عظيمة لا ريب من عديد التجارب الروحية التي وقعت له صلى الله عليه وسلم.. والتي تبرهن على وجود الأساس الروحي للرسالة التي كلف بها.

ومن رواية الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه لم يقطع بكيفية الإسراء والمعراج به روحاً أم جسداً وروحاً.. وإن كانت تشير معاني كلماته إلى الإسراء بالروح والجسد.

وفي رأينا أن صلوات الله وسلامه عليه لم يقطع بذلك لسببين رئيسيين:

أولهما: أن مدارك قومه آنذاك لم تكن لتستوعب أو تعي ما كان سيقوله لهم أو يشرحه.

وثانيهما: أن اختلاف الآراء والحجج في كيفية إسراء النبي ومعراجه.. على مر الأجيال والعصور.. وحتى الآن هو ظاهرة صحة إيجابية.. فهي بجانب أنها تؤكد على دوام الأحياء لذكرى هذه المعجزة العظيمة التي أنعم بها العلي القدير على رسوله الكريم

بالتسبيح والتهليل والتكبير واستمرار الحوار تفصيلاً حولها.. فإنها تؤكد أيضاً على احتضان عظمة الإسلام وشموله للعلم وإعمال الفكر والتأمل.. وأن من يملك علماً أكثر يملك حجة أكبر.

لقد كان في رأينا لزاماً علينا أن نتعرض لتلكم الأمور الأربعة قبل أن نتكلم عن إمكانية حدوث الإسراء سواء بالروح أو الروح والجسد ولكن بعد أن تعرف شيئاً عن ظاهرة الطرح الروحي.

الطرح الروحي:

ينادي علم الروح الحديث الآن بأن الإنسان يتكون من عدة أجسام:

1) الجسم الفيزيقي. 2) الجسم النجمي.

3) الجسم الروحي. 4) الجسم الحيوي.

5) العقل الروحي. 6) الهالـة.

7) العقل الغريزي.

وأن فـي هذه الأجسـام جسـمين متطـابقين تمامـاً همـا الجسـم المـادي (الفيزيقي) والجسم النجمي والذي قد يسمى بأسماء أخرى كالأثيري والروحي.. إلخ.

وعنـد النـوم أو فـي اليقظـة سـواء كـان إراديـاً أو غيـر إراديـاً يمكـن للإنسان أن يطرح هذا الجسم النجمي الذي هو ذاته الحقيقية تقريباً إلى أي مكان في الأرض أو في العالم النجمي، ويمكن للجسم النجمي أن يقوم بأعمـال مادية تماماً مثل الجسم الفيزيقي، كما يمكن للغير أن يشـاهدوه أثنـاء رحلتـه، ويعتقدون أنـه الإنسـان ذاتـه لأنـه يحمـل صـفاته بالضبط ولا يدركون أن هذا الإنسان مـازال يرقد نائماً أو متخشباً فـي مكان ما.

يقول الشيخ الجيلاني في كتاب (الإنسان الكامل) عن التجلي (وهو المرادف للوساطات عند الروحانيين): ومن هذا التجلي المشي على الماء والطيران في الهواء.

ولقد وضع العالم هيكتور درفيل في فرنسا كتابه الشهير (الجسم الأثيري للأحياء) جاء فيه:

1) إن طرح الجسم الرقيق حقيقة واقعة يمكن عرضها بتجربة مباشرة، وهذه تثبت أيضاً أن القوة الحية مستقلة عن المادة، وأن الفرد مكون من جسم فيزيقي ونفس روحية ذكية.

2) من حيث أن الجسم النجمي يمكنه أن يوجد ويتصرف بعيداً عن لجسم الفيزيقي، فإنه قد يوجد أيضاً بعد الموت. وهذا معناه أن الخلود هو حقيقة مبرهنة علمياً.

ويقول العالم هوراس ليف في كتابه عن " الطرح الروحي " ما يلي:

" يجد بعض الناس أنفسهم خارج الجسم الفيزيقي دون أن يعلموا كيف حدث ذلك، كما يدرك آخرون كيفية خروجهم من جسمهم ووصفوا تلك الكيفية بالتفصيل، ففي أحوال يبدو لهم كأنهم ارتفعوا بطريقة يفهم منها أن الجسم الأثيري قد ترك الجسم الفيزيقي من جميع أجزائه في لحظة واحدة.. وقد يخرج بعضهم من خلال رأس الجسم الفيزيقي وقد يخرج البعض عن طريق القدمين، وأحياناً يخرجون على هيئة سحابة هلامية ثم يتخذون الشكل الطبيعي فجأة أو بالتدريج وتكون الضفيرة الشمسية (السرة) مركز خروج هذه السحابة ".

ثم يستمر في قوله: " من الممكن للإنسان أن يسافر بجسمه الأثيري

بعدة طرق أهمها المشي والطيران. كما أن هناك طريقة لا يمكن التعبير عنها إلا بقولنا أن الشخص يجد نفسه فجأة في مكان بعيد بدون أن يعرف الوسيلة التي انتقل بها. وكل الذين يطرحون يتفقون في أن الطريقة الأكثر عموماً للانتقال هي الطيران المبني على تأثير الرغبة عندئذ يمكن للشخص أن يتحرك في الفضاء دون أية مقاومة. وقد لا يدرك المرء جيداً الاتجاه الذي يرغب الانتقال فيه ومع ذلك يجد نفسه في المكان الصحيح ".

ويفسر ذلك هوراس ليف في كتابه (ما هي الوساطة) عند حديثه عن الطرح الروحي:

" والشعور ببداية الطرح عبارة عن شعور بسقوط الإنسان إلى أسفل أو اندفاعه إلى الأمام والخلف أو الجانب.. والأغلب هو الشعور بارتفاع فوق الجسد الفيزيقي وكثير من التلاميذ يقولون: أنهم يشعرون بأنهم يسبحون في الهواء قرب السقف. وهذه الإحساسات رديئة ونادراً ما يصحبها خوف ".

ويمكننا أن نقسم موضوح الطرح إلى نوعين: طرح الروح فقط وطرح الروح والجسد معاً:

1) طرح الروح فقط: وهذا يمكن تقسيمه بدوره إلى نوعين:

أ) يمكن للمطروح أن يترك جسده وينتقل بروحه إلى مكان آخر:

يقول شورز موند الكاتب والوسيط الروحي الشهير في كتابه (خواطري في العلوم الباطنية):

(كانت لي صديقة تدعى مسز داوسون سكوت الروائية ومؤسسة نادي القلم الدولي المعروف، عملنا سوياً كثيراً من التجارب

والاستكشافات الروحية، ولم تكن هي زارت أبداً منزلي في بلدة توكينهام، بل لم تكن تعرف أي شيء عن وصفه أو محتوياته، هذه السيدة في ليلة 21 من فبراير 1943 وفي الساعة التاسعة مساءً وهي في حالة يقظة تامة في منزلها بلندن وعلى بعد عدة أميال مني وجدت نفسها وبدون استعداد داخل غرفتي الكبيرة في منزلي، رأتني عندئذ بوضوح وسمعتني وأنا واقف في تلك الحجرة.. ووصفت لي بعد ذلك مواضع قطع الأثاث والنوافذ الطويلة المؤدية إلى الحديقة ووصفت المدفأة الفريدة التي عندي، وقالت: كانت رؤية اللهب مضحكة.. وراقبتني بعض الوقت، وأنا أقف أمام المنضدة، ثم كتبت بكل هذا بعد الزيارة مباشرة، وفي الواقع قد كنت في تلك الغرفة تحت نفس الظروف وفي نفس الساعة ووحدي فقط كما جاء في وصفها!).

وجاء في كتاب (طرح الجسم النجمي) لمؤلفيه ملدون وكارنجتون حوادث طريفة تثبت أن الجسم الروحي عندما يطرح يمكنه أن يقوم بأعمال مادية صرفة قد يظن الكثيرون أنه يستحيل عملها إلا بجسم فيزيقي: ففي إحدى التجارب حاول ملدون أن يطرح نفسه ويتحرك بجسمه النجمي ويصعد درجات السلم حيث تنام والدته ثم يشد من تحتها المرتبة عدة مرات. ويقول بلسانه واصفاً مدى تذكره لما قام به:

" كنت واعياً تماماً كما لو كنت في جسمي الفيزيقي " ثم يصف كيف قابل والدته بعد تيقظه: ناديت على أمي فأسرعت تنزل السلم وهي جد منفعلة بحيث نسيت إني لست في فراشي، وإني راقد على الأرض، وبدأت تخبرني كيف أن الأرواح شدت من تحتها المرتبة

ودفعتها من الفراش ".

وفي مرة أخرى طرح جسمه النجمي وأمكنه بوساطة هذا الجسم أن يمسك مطرقة ويدق بها صهريج بترول موجود في المنزل ويسمع الدقات القوية، فيصحو من نومه بسبب قوتها، ويشهد معه أناس أنهم سمعوا نفس الدقات أو كما يقول: " وظللت أسمع رنين الدقات بعد أن أصبحت في تمام اليقظة، وشهد ثلاثة رجال آخرون بأنهم سمعوا الطرقات على الصهريج، وقال كل واحد منهم أنها كانت تماماً من فعل من دق عليها بمطرقة وأنهم دهشوا تماماً لعدم رؤيتهم لأحد بقربها ".

ب) يمكن للمطروح أن يترك جسده ويتجسد في مكان آخر:

يقص الكاتب الألماني (ينج ستلنج) في كتاب (الجانب الليلي للطبيعة) تأليف مسز كرو قصة عجيبة عن أحد الوسطاء. وكان هذا الوسيط يعيش في منطقة فيلادلفيا بأمريكا. وحدث أن كانت هناك زوجة قبطان أبحر بسفينته في رحلة إلى أوروبا وأفريقيا ولم تعرف أين هو وكانت قلقة عليه، فتوجهت لهذا الوسيط. وعندما استمع لقصتها استأذن منها، ووعدها أن يعود لها بالإجابة بعد قليل، ودخل على غرفة أخرى وتركها جالسة، ولما تأخر عليها بدأت تقلق وظنت أنه نسيها. فذهبت إلى الباب تنظر من الثقب فدهشت إذ وجدته نائماً على أريكة دون حراك كأنه ميت، فلم ترد أن توقظه وانتظرته حتى استيقظ وأخبرها بالأسباب التي أخرت زوجها عن الكتابة إليها، وقال لها: أنه قابله جالساً في مقهى بلندن، وأنه سوف يأتي لها قريباً، وبالفعل عاد إليها زوجها، وقد سألته زوجته، فأجابها بأن الأسباب صحيحة. وعندما جاءت بالوسيط ووقعت عينا زوجها عليه، فصعق

واعترف بأنه رآه من قبل في يوم معين في إحدى مقاهي لندن، وقال له: أن زوجته قلقلة عليه وأنه وقتئذ قال له أسباب تأخيره عنها، وأنه سوف يسافر إلى أمريكا صبيحة اليوم التالي، وأن هذا الرجل اختفى عن نظره بعدئذ وسط الجمهور.

وجاء في كتاب (الطريق الصامت) لمؤلفه الميجور تيودور بول الذي عاش فترة في مصر إنه مرض يوماً بالحمى فجأة بحيث لم يستطع أن يطلب من خادمه أن ينادي له طبيباً، وبينما كان راقداً على الأريكة سمع طرقة على الباب، وكان الداخل شخصاً أدرك من منظره أنه طبيب إنجليزي.. ولكنه بدلاً من أن يرتدي ملابس خفيفة كالتي تستعمل في البلاد الحارة كان يرتدي ملابس إنجليزية ثقيلة.

يقول تيودور: " وحياني بلطف وشعرت جيداً بثقله عندما جلس على طرف الأريكة، واستنتجت أن المركز قد أرسله إلى ليرعاني.. فشكرته، ولكنه قال لي أنه قد جاء لي متأخراً، وبعد أن كشف على نصحني بأن أطلب من أحد خدمي، أن يذهب إلى مسجد في القاهرة ويأتي من دكان عطار بجواره دواء أعطاني اسمه.. ونظرت إلى قبعته التي وضعها على منضدة صغيرة وكانت دهشتي عندما وجدت نفسي قادراً على النظر خلالها وعندئذ فقط جاءتني فكرة أن زائري ليس حاضر بجسده، وسألته عمن يكون ومن أين أتى. فأجابني بأنه طبيب له عيادة وأنه قد تعود منذ زمن على أن يغلق على نفسه غرفة الكشف لمدة ساعة كل مساء ويخلي ذهنه ويصلي سائلاً الله أن يرسل به إلى أي مكان يكون له فائدة هناك.. وبعد أن أكد لي أنني سوف أشفى قريباً، وقد تحقق ذلك ودعني وانصرف "..

ثم عاد تيودور إلى إنجلترا بعد أن شفي تماماً وأراد أن يفهم سر هذا

الموضوع فذهب إلى محطة الإذاعة البريطانية فأذاعت وصفاً لم حدث وطلبت من الطبيب المذكور أن يتقدم إليها فاستجاب لها شخص، وكان طبيباً عاماً في إسكتلندا، واعترف بدوره في لذهاب إلى مصر ومعالجة الميجور المريض، والذي رجاه ألا يذيع اسمه حتى لا يطرد من سجل الأطباء.

ويروي الضابط البريطاني (جيلان هوبر) في مجلة فيت عدد أكتوبر سنة 1962 قصة عجيبة شاهدها بنفسه عندما كان يعمل ضابطاً بالجيش البريطاني في أفريقيا، فقد كلف يوماً للإشراف على إصلاح قطعة من الأرض للزراعة إلا أنه علم أن قافلة من الفيلة بدأت تشن عليها الهجوم، قابل شخصاً يدعى (نزيج)، وكان هذا معروفاً بالمواهب الروحية فعرض عليه الأخير اقتراحاً بألا يسافر إلى مكان الفيلة (لأني سوف أنظر في الأمر - أنظر فيه الآن)، وعندئذ نادى واحداً من أتباعه والذي كان يحمل صندوقاً صغيراً أخذ منه بعض السعوط فتنشقه. وعندئذ تغيرت حالته كما لو كان قد أصيب بنوبة صرع، ثم انهار على الأرض وامتلأ فمه بالزيد، وقال تابعه: نزيج سوف يتركنا ويعود بعد قليل.. لا تنزعجوا، ثم تخشب جسم نزيج فغطاه التابع بجلد غر وجلس بجواره يرتقب بينما ظن البعض أنه مات لأنه لم يبد عليه أنه يتنفس، وظل نزيج هكذا حوالي ساعة ونصف وبعدها استيقظ. وكان قد أخذ معه قبل نومه شريحتين من اللحم طول كل منها حوالي 20 سم، ولكن لما صحا لم تكن هاتان القطعتان معه، وقام يقول للضابط: لا تهتم بعد الآن بمسألة الفيلة لقد عادت إلى المستنقعات ووصلت إلى الضفة الأخرى، ثم تكلم الضابط معه في موضوع جماعة ماو ماو الذين كانوا هم أيضاً يغيرون على

المنطقة كل يوم، فوعده نزيج بالنظر في أمرهم أيضاً.

بعد ذلك سافر الضابط ورفاقه مسيرة ثلاثة أيام حتى وصل إلى مكان المستنقعات وما أن وصل هناك حتى قابله شخص، وقال له: لقد جئت متأخراً فمنذ أربع ليال جاء رجل مسن يعرفك وقال: إنه يسمى نزيج وأنه يريد طرد الفيلة، فاستعار طبلاً دق عليه بعض النغمات فابتعدت الفيلة، وذهبت من حيث أتت، كما أنه أعطاني قطعة من اللحم المجفف هذا.. ثم مد يده بقطعتين من اللحم طول كل منهما حوالي 20 سم، ثم وصف الرجل للضابط شكل نزيج فكان الوصف طبق الأصل مما هو عليه.

ثم يحكي الضابط بعد ذلك كيف أنه سافر للنظر في مسألة ماو ماو بقرب جزيرة تنجانيقا، ولما قابله ضابط البوليس هناك أخبره بنشاط ماو ماو من سلب وقتل للمواشي.. إلخ. وأنه يوم 15 ظهر شخص عجوز عجيب يشبه الساحر وقال إنه اسمه نزيج وأنه صديق لك وأعطاني هذا كبرهان.

ثم مد ضابط البوليس يده بخاتم صغير ولما رآه الضابط جيلان دهش فقد كان خاتمه هو وكان لم يلاحظ غيابه من إصبعه منذ 15 يوم عندما كان جالساً مع نزيج حول النار وعلى بعد 300 ميل جنوباً.

وقد اعترف ضابط البوليس أن نزيج عندما قابل رؤساء القبائل وأنهم ظلوا يدقون الطبول، ويغنون أناشيد حتى ساعة مبكرة من الصباح.. وبعد ساعات قليلة كان جماعة ماو ماو، تتراجع نحو الشمال إلى كينيا.

ويختم الضابط جيلان قصته بقوله أنه لا يعرف كيف يفسر ما حدث

أمامه.

وفي الواقع أن قصة نزيج هذه التي وقعت سنة 1953 طبقاً لما ورد في مجلة فيت، لا تبعد عن مجريات المواهب الروحية التي أودعها الله عز وجل في بعض الناس. فنحن هنا نجد رجلاً (الوسيط نزيج) يمكنه أن يذهب في غيبوبة بطريقة مختلفة وهي تعاطي السعوط.. ثم يطرح نفسه عبر مسافة بعيدة وهي مسيرة ثلاثة أيام ثم يتجسد هناك ويستعير طبلاً ويدق عليه فتسمعه الفيلة وتهرب.. وفي قصة ماو ماو نجده يطرح نفسه ثم يتجسد ويتكلم مع الزعماء.. ويعطي خاتماً لضابط البوليس هناك كبرهان على وصوله مع أن جسده الفيزيقي ملقي على بعد 300 ميل.. والقصة في مجملها تبرهن على أن الإنسان الموهوب روحياً يمكنه أن يحيا حياة طبيعية خارج جسده بصفة مؤقتة..

ومن أشهر التجارب التي أجريت، وأثبتت في هذا الموضوع تلك التجربة التي أجرتها مسز ماري فلاسك بالاشتراك مع دائرة روحية فيها مسز وب ومسز ألين، وقد جاء في كتاب العالم الدكتور أرثر ولز في وصف هذا الحادث ما يلي:

(علم أعضاء الجلسة بقدرة مسز فلاسك على إظهار نفسها بعد أن تترك جسدها فقد طلبوا منها أن تظهر نفسها في الجلسة التي تعقد مساء الاثنين 17 سبتمبر في دائرة مسز ألين للتجسد، وكانت مسز فلاسك في هذين اليومين في القطار المنطلق من توليدو إلى أوهيو ومع ذلك ظهرت في كاليفورنيا.. وبعد أن مرت بعملية الخروج من جسدها وجهت نفسها إلى دائرة مسز وب وبعد أن وصلت إلى الدائرة رأت مسز وب وزوجها وسيدة ورجلاً لا تعرفهما، كما

شعرت بوجود آخرين في الحجرة قبل أن نتكلم خلال البوق لمست مسز وب أولاً على الرأس وثانياً على الكتف.. وبعدئذ أخذت البوق من طرفه الواسع وأمسكته بكلتا يديها وتكلمت فيه قائلة: أنا هنا ها أنا مسمز فلاسك، الجو حار في المكان الذي أنا فيه، أنا ما زلت في أريزونا).

(نامت مسز فلاسك الساعة 9.30 مساء الثلاثاء 28 من سبتمبر، وكان القطار وقتئذ في (أوتا) وبعد أن غادرت جسدها وجهت نفسها إلى دائرة مسز ألين " للتجسد " بلوس أنجلوس في كاليفورنيا. وعندما وصلت مسز فلاسك إلى الدائرة أدركت أنها قد تأخرت وأن الجلسة بدأت فبسرعة دخلت إلى المقصورة حيث كانت فيها وفوقها أرواح عدة، والأرواح التي كان عليها أن تتجسد وقفت على أرض المقصورة وعندئذ قالت لها الروح المشرفة على المقصورة وهي فتاة صغيرة.. " نحن نرحب بك لمجيئك ولكنك مازلت على قيد الحياة. يمكنك أن تنتظري " عندئذ بدأت مسز فلاسك تظهر للوسيطة مسز ألين ووجدت أنها في غيبوبة وجسمها تخشب نصف جالسة ومستلقية في كرسيها).

(ثم أخذت ذبذبات زرقاء وسمراء وصبت في خلف رأس الوسيطة عندئذ بدأت مادة بيضاء في الخروج من ذقن الوسيطة ورقبتها وصدرها هذه المادة ذات الشكل المحدد أخذها الكيماوي الثالث (روح) ووضعها حول الروح التي سوف تتجسد..)

(أثناء ذلك كانت مسز فلاسك في المقصورة، ولم تكن قد وضعت قدميها على الأرض بعد، وعندما أخذ الجالسون في غناء أغنية.. هل سنجتمع عند النهر؟ وضعت قدميها مباشرة على الأرض ووقفت أمام

الكيماوي (روح) الذي قال لها: أنت مازلت على قيد الحياة. لا يمكنك الدخول، وسألها عن سبب رغبتها في التجسد فأجابت مسز فلاسك: أريد الظهور لأني أريد التعلم وآمل لهذا السبب في أن أنجح. عندئذ قال لها الكيماوي من هنا وأدارها بحيث أصبح ظهرها يواجهه وأخذ يصب المادة المسحوبة من الوسيطة عليها قائلاً: فكري في شعرك.. في عينيك.. في شكلك وفي ذراعيك وفي يديك وفي قدميك.. وبعدئذ وضع عليها مادة أخرى فتكون رداؤها وهذا كان من صنع الكيماوي وليس من فكرها هي وكان حقاً رداءاً جميلاً من الساتان الأبيض).

(وخرجت مسز فلاسك من خلال فتحة في الستار إلى الدائرة. وهنا حدث شيء عجيب.. فبدلاً من أن ترى الجالسين في الدائرة بدا أنها عمياء. حاولت بشدة لكي ترى وبعد لحظات جاءها البصر. فرأت أولاً الابنة الصغيرة للوسيطة مسز ألين ثم حاولت بعدها أن تتكلم ولكن بدون جدوى.. عندئذ اقترب منها رجل فاستمدت منه قوة وجهت إلى صدرها فأمكنها الكلام وقالت: هنا مسز فلاسك.. أنا مسز فلاسك يجب أن أقول لكم الوداع ثم تراجعت نحو الستار...).

ويقول دكتور أرثر ولز في ختام هذه القصة:

(هذه أول حالة مسجلة لشخص يعد ترتيبات لتجسده في دائرة تجسد وينجح في إتمام التجربة وهو مازال في الجسد).

لقد جاءت الشهادات من الحاضرين في الجلسة إثباتاً لما قررته مسز ألين. فقالت مسز لتينكوت: " أنها رأتها بوضوح فكانت ترتدي ثياباً بيضاء ولاحظت أن شعرها ليس مغطى بغطاء أبيض كغيرها من الأرواح، وإنما كان ممشطاً كما في عادتها ".

وقالت مسز روز برول أنها رأتها كما رأت غيرها وكانت تبدو طبيعية من حيث الحجم والتقاطيع ".

وظهور الشخص في أكثر من مكان في وقت واحد يسميه الصوفيون التبدل، وقد أسهبت كتبهم في سرد حوادثه.

يقول الشيخ على الخواص في كتاب (الجواهر والدرر): " أن هذه الظاهرة حدثت للكثير من الأولياء. فخطب السيد إبراهيم الدسوقي الجمعة، وصلى بالناس في أكثر من قرية في يوم واحد وآن واحد ".

" ووقع للسيد عبد القادر الدشطوطي أنه بات عند إنسان في الجزيرة مقابل روضة المقياس بمصر.. وفي بلد آخر واستصحبه كل واحد إلى الصباح وعشاه لبناً ".

وجاء في كتاب (الطبقات) للشعراني كيف كان الشيخ أبو العباس وهو في المغرب الأقصى يحضر جلسات عند الشيخ أبو الحسن وهو في الإسكندرية فيراه البعض ولا يراه البعض الآخر ".

وجاء في كتاب (الإبريز) لمؤلفه أحمد بن المبارك عن إمامه الشيخ عبد العزيز الدباغ:

" قال لي مرة: أنا أتيك في هذه الليلة فرد بالك.. فلما كان السدس الأخير من الليل وأنا بين اليقظة والنوم أتاني.. فلما دنا مني أخذت بيده الشريفة فقبضتها فتبعته وأنا أريد أن أقبلها فلما قبلتها وقبلت رأسه غاب عني ".

وتروي لنا كتب التاريخ قدم الطرح الروحي " الإسراء " كموهبة روحية فقد ورد في كتاب (الفرعونة المجنحة) قول سكيتا ملكة مصر: (كتاب اعرف روحك للدكتور على راضي):

(لقد علمني " تي سي رع " كيف أطرح جسمي، ففي البدء كنت أنظر إلى ضوء براق. ثم استطعت بقوة إرادة دون أن يقدم لي هو أية مساعدة أن أسافر وأترك جسمي كما لو كان في حالة نوم، وكان لساني في نفس الوقت.. ما أراه وما أفعله أثناء ابتعادي عن هذا الجسم).

وتقول سكيتا أيضاً في كتاب (الفرعونة المجنحة) في وصف عملية الطرح حينما ذهبت بروحها لتزور بلاد روما:

(خيل إلى أني رحلت كما يرحل الطير ورأيت تحتي بلداً يغطي حقوله نبات القمح وذهبت إلى هيكل كبير.. وكان يحيط بالمعبد جدار عال بيضاوي. ولم أر في هذا المعبد من يرشد الناس ولم تكن كهنتهم إلا خدما لتمثال إله يدعى مردوخ).

ثم تكمل وصف ما رأته أثناء عملية الطرح للناس سواء في قراهم أو حقولهم أو معابدهم.. وكأنها كانت موجودة هناك بلحمها ودمها.. وفي أثناء نومها كانت تطرح نفسها دوما فهي تقول:

" مازالت روحي تشرف على بلادي وتراقب أحوالها ورأيت امتداد أرضها كما لو كنت أطير كالصقر فوقها ".

ويقول ممفيس في كتاب " أول فرعون: " وأدركت أنني أخرج من جسمي.. كنت ذا شخصيتين جسمي المادي وهذا الجسم الآخر الذي كان في استطاعته أن ينتقل بعيداً عن جسمي المادي الذي يكون في شبه نوم أو نوع من الغيبوبة وسرعان ما أدرك أنني وأنا في هذه الحالة الروحية يمكني أن أقابل آخرين ".

وتقول سوفيرا في نفس الكتاب:

(وجدت أنـي عنـدما استلقى علـى ظهـري فـي سـريري سـرعان مـا أخرج من جسدي).

وتقول: (كنـت فـي الثانيـة عشـر عنـدما تعـودت علـى الطيـران، كنـت أخرج من جسدي تترك قدماي الأرض وهكذا استمر رويداً رويداً، أذهب فوق البحر وفوق الأنهار.. ومع ذلـك لـم أكـن نائمـة أو لـم أكـن في غيبوبة كما تسمونها الآن).

* * *

2] طرح [إسراء] الجسد والروح معاً

يقول علم الروح الحديث بإمكان نقل جسم فيزيقي من مكان إلى مكان آخر.. وفي هذه الحالة تسير المادة بسرعة فائقة فقد تكون أكبر من سرعة الضوء (300.000 كم/ث) ولو اعترض سير الجسم عائق كحائك مثلاً فإن الأرواح تعمل على تفكيك ذرات الحائط بحيث يمر منها الجسم ثم تركب من جديد في الحال.. ويتم ذلك بسرعة فائقة بحيث لا يدرك الموجودون من البشر العملية التي تمت..

وأمامنا أمثلة عديدة لهذه الظاهرة التي حدثت في التاريخ كما تحدث كل يوم جاء في مجلة فيت عدد ديسمبر 1958 وصف للجلسات العجيبة التي كان يعقدها الوسيطان الشهيران " كوالسكي وجوزيك " وفي إحدى الجلسات وبعد انتهاء الجلسة وجد الوسيط وقد اختفى من غرفة الجلسة وقد كانت مغلقة ومختومة بالشمع الأحمر، وبعد ذلك تبين أنه موجود في غرفة أخرى بعيدة وفي حالة غيبوبة.

ولقد شوهد كولسكي وهو يطير فوق رؤوس الجالسين.. وفي إحدى الجلسات لم يكن الحاضرون مربوطين بالسلاسل، وعندئذ وجد أن بعضهم قد ارتفع في الهواء.

وجاء في كتاب (الحياة هنا وإلى الأبد) لمؤلفه العالم الدكتور أرثر ولز عن شخص يدعى مستر بليتون كتب في عام 1931 يقول:

(كنت حاضراً مرة في جلسة روحية خاصة في هاكني بلندن عندما وجدنا بدون أي سابق إنذار أو إعداد وفي الظلام الدامس مستر

فرانك هيرن قد وضع فجأة وسطنا. وبعد أن أفاق من دهشته واستؤنفت الجلسة وجدنا أن معطفه وقبعته ومظلته قد أسقطت على المنضدة. ثم قال (جون كنج) وهو الروح المرشد أن جماعة الأرواح وجدت فرصة لكي تنقل مستر هيرن من حيث كان مع رفاقه يشاهدون عرضاً تمثيلياً ذلك المساء وكان هيرن عندما ظهر ظهر في شبه حالة غيبوبة..).

ويقول الدكتور أرثر ولز عن تجربة للبروفيسور هر الدورنيلسن مع وسيطة أيسلندية:

(لقد رأينا في عدة مرات كيف تمر المادة خلال المادة، وفي إحدى الأمسيات رأينا كيف أخذت الوسيطة نفسها خلال الحائط إلى غرفة مقفلة مظلمة. وقد يبدو هذا غير معقول..).

ويتكلم العالم السويدي الشهير وليم كروكس مكتشف الإلكترون في كتابه " ظواهر الروحية " عن الوسيط هوم ويثبت أنه ارتفع في سنة 1868 في الهواء ضد الجاذبية الأرضية عشرات المرات بدون أية قوة منظورة. وأنه وفي إحدى المرات خرج إلى الهواء الطلق من نافذة على ارتفاع 85 قدماً عن أرض الشارع، ثم عاد وهو في وضع أفقي من النافذة الأخرى بين دهشة الموجودين الذين كان من بينهم اللورد أدار.

ويقول العالم الدكتور ألكسندر كانون: أن من اليوجيين ما يمكنه أن ينقل جسده الفيزيقي من مكان إلى مكان آخر خلال الفضاء. ويضرب أمثلة لذلك من التاريخ. فأبولوينوس من مدينة (تيانل) مثلاً أمر بالحضور أمام دومتنيان وبعد أن

حضـر اختفـى فجـأة أمـام أنظـار الموجـودين ثـم رُي بعـد قليـل فـي (بيتولـي) قرب قـمة جبل فيزوف.

وكذلك ذكر الإنجيل تلك الحادثة الشهيرة عندما اختفى السيد المسيح عليه السلام بسرعة من أمام أعين اليهود في المعبد:

(فـامتلأ غضـباً جميـع الـذين فـي المجمـع حـين سـمعوا هـذا. فقـاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاؤوا إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيـة عليـه حتـى يطرحـوه إلـى أسـفل. أمـا هـو فجـاز فـي وسـطهم ومضى).

وكذلك جاء في أعمال الرسل:

(ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيليس فلم يبصره الخصى أيضاً. وذهب في طريقه فرحاً وأما فيليس فوجد في أشدود).

وجاء في التوراة في إصحاح حزقيال:

(ثم رفعني روح وأتى بي إلى باب بيت الرب الشرقي المتجه نحو الشرق وإذا عند مدخل الباب خمسة وعشرون رجلاً..).

يقـول الإمام الشـعراني فـي كتـاب (الطبقـات) عن لسـان الشيخ جمـال الدين يوسف:

(اشـتقت إلـى أهلـي بحصـن كيفـا مـن بـلاد الأكـراد فشـاورت الشـيخ إبـراهيم المتبـولي، وكـان ذلـك بعـد العصـر فقـال إن شـاء الله يكـون. فدخلت الخلـوة أقرأ ورد العصـر فرأيت نفسـي داخـلاً بيتـي والنـاس تسلم علـيَّ وحملـوا الأعـلام قدامي فدخلت داري فسلمت علـى أمـي وأبـي ومكثـت عنـدهم أخطـب فـي الجـامع وأقـرئ أطفـالاً مـدة تسـعة

أشهر.. فقوي اشتياقي إلى الشيخ فشاورت والدي ووالدتي، فأذنا لي فخرجت إلى موضع خارج البلد فإذا أنا في خلوة ببركة الحاج فخرجت أسلم على إخواني فلم يسلموا عليَّ، فأخبرتهم بسفري فقالوا: يوسف حصل له الجنون، فعلم الشيخ بذلك فقال: اكتم يا ولدي ما معك).

والذي حدث بعد ذلك في هذه القصة أن جاء والداه بعد ثلاث سنين وقالا للشيخ: إن ابنهما يوسف زارهما فعلاً وأنهما تركاه يعود من أجل خاطره.

وجاء في الكتاب أيضاً أن شيخاً يدعى عقيل المنبجي الطيار شيخ شيوخ الشام عندما أراد السفر من القرية التي كان فيها صعد إلى منارتها ونادى أهلها ولما اجتمعوا طار في الهواء وهم ينظرون إليه.

لقد قدمنا فيما سبق الطرح الروحي الأرضي أو الإسراء بأنواعه، فأين نضع قصة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه؟

هل أسرى به صلى الله عليه وسلم بالروح فقط وجسده الفيزيقي مازال راقداً في فراشه وبذلك لا يخرج الأمر كله عن كونه رؤيا منامية؟

أم هل أسرى به صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد معاً على فرض اختفاء جسده الفيزيقي من بيت أم هانئ في مكة؟

ولقد لاحظنا مما تقدم أن الانتقال بالجسد أثناء النوم أو اليقظة لمسافات قريبة أو بعيدة شيء ممكن الحدوث عند الروحيين.. وعلى هذا لا يكون الإسراء بالجسد شيئاً مستحيلاً.. وكون الفراش مازال دافئاً لا يتعارض مع هذا لأن الإسراء والمعراج لم يستغرقا وقتاً.

أم هل أسرى صلى الله عليه وسلم بالروح متجسداً ومازال جسده الفيزيقي راقداً في فراشه؟

ولقد رأينا في الأمثلة المتعددة التي قدمناها آنفاً كيف أن الشخص لمطروح قد يترك جسده الفيزيقي ملقي في مكان ما وينتقل بروحه حيث يتجسد في مكان آخر ويقوم بكل الأعمال المادية التي يعملها الشخص العادي.. يرى ويأكل ويشرب.. ويتكلم مع الآخرين.. وفي هذه الحالة لا يمكن للمتعاملين معه أن يفرقا بين حالته هذه وبين حالته التي اعتاد الناس رؤيته فيها.. فبالتفسير الروحي إذن يمكن قبول افتراض إمكانية حدوث الإسراء بالروح مع التجسد.

وكما وجدت مسز فلاسك في تجربتها التي سبق أن ذكرناها أنها قد رأت أشياء ولم تر أشياء أخرى موجودة في نفس مكان الجلسة، كذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء وصفها بالدقة ولم ير أشياء أخرى عن معالم تلك الليلة.. وهذا منطقي وطبيعي لعدم ضرورة ما لم يره فبالتالي لم يلفت نظره لتركيزه فيما هو أهم وأجدى.. خاصة وأن الزيارة كانت ليلاً ومن المنطقي ألا يرى تفاصيل المسجد كلها في الظلام.. ومع ذلك من باب العناد والمشاغبة والرغبة الأكيدة في التكذيب سأله أبو جهل عندما سمع قصة إسرائه أمام جمع من قريش أن يصف له بيت المقدس وصفاً كاملا دقيقاً ومن الحضور من زاره قبل ذلك.. فأراد العلي القدير أن يخزي أعداءه وألا يظهروا عليه.. فجلي له المولى عز وجل بيت المقدس أمام عينيه كما تقدم ذكره.. وعرض عليه جبريل عليه السلام صورة كاملة للمسجد فأخذ بعدئذ يرد على أسئلة أبي جهل ومن معه تفصيلا وبكل دقة..

وفي رأينا ترجيح الاحتمال الثالث بإسراء الرسول صلى الله عليه وسلم بالروح متجسداً فإنه بالإضافة إلى ما تقدم يصدق فيه كل ما جاء من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته.. وأيضاً ما جاء عن السيدة عائشة رضى الله عنها في قولها:

(ما فقد جسد رسول ولكن الله أسرى بروحه" وما أقسمت عليه : والله ما فقد جسم رسول الله عرج بروحه).

وقد يجدر في هذا الصدد أن أذكرك عزيزي القارئ بأننا على يقين تام بأن الذي أسرى بالرسول صلوات الله وسلامه هو الله سبحانه وتعالى العلي القدير، وهو العليم الخبير بكيفية الإسراء برسوله صلى الله عليه وسلم وحقيقته.. وإذا كنا نجتهد في البحث لترجيح احتمال عن احتمال.. فإننا نؤكد على أن اجتهادنا هذا لا يخرج عما أمرنا به الله تبارك وتعالى من أن نفقه من أسرار الوجود، قدر ما نستطيع في أرض وسماوات وفي مادة أو حياة.

قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٨٥].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾} [الفرقان: ٧٣].

واستجابة لأمر الله تعالى نستهدي حكمته جل وعلا في فهم آياته عن بصيرة ويقين.

كما أننا يجب أن ننبه أيضاً إلى أنه قد يتساءل البعض قائلاً :

"إذا كان موضوع الإسراء في حد ذاته قد سبق فيه البعض الرسول

ولحقه بعض آخر ممن أنعم عليهم الله عز وجل بهذه الموهبة الروحية "الطرح الروحي" فأين هي المعجزة التي ينفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بإسرائه صلى الله عليه وسلم ؟ ".

ونود في هذا الصدد أن نرد على ذلك بالإشارة إلى بعض من دلائل الإعجاز البين في إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم :

1) إن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لم يكن يدر بخلد الرسول ولا بخاطره، كما لم يعد نفسه لذلك سواء بالتدريب أو الممارسة من قبل كما يجري مع الذين أودع الله فيهم هذه الموهبة الروحية وإنما الذي أعده وأهله لذلك في ذات ليلة الإسراء هو العلي القدير سبحانه وتعالى بأمره لملائكته والروح القدس "جبريل عليه السلام" بتنفيذ ذلك.

2) إن إعداد مركبة وهي دابة (البراق) التي تضع خطوها عند أقصى طرفها ولا يعلم إلا خالقها العظيم كنهها أو ماهيتها لتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وتكون تحت إمرته في إسرائه يسرع بها حينما يريد، ويبطئ بها حينما يريد، أن يرى ويتكلم مع القوافل التي يمر بها ويشرب قدحاً من الماء لديهم.. كأدلة يسوقها إلى قومه على تأكيد إسرائه عند عودته إليهم.. لهو آية عظيمة وتكريم وتشريف عظيمين من العلي القدير عز وجل لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

3) إن ما أراه العلي القدير سبحانه وتعالى لرسوله الكريم في رحلة الإسراء من آيات ومشاهد تخلص إلى كيفية إثابة المؤمنين وعقاب الكفار والمشركين ومرتكبي المنكر والفواحش والعصاة وبصحبته الروح القدس "جبريل عليه السلام" للرد على استفساراته تثبيتاً لفؤاده صلى الله عليه وسلم والإيمان اليقيني بصدق دعوته ومدى أهمية عظيم رسالته للإنسانية جمعاء.. بعد أن شكا إلى ربه مدى ما يلاقيه من اضطهاد وتعذيب وعنت.. وعناد ومكابرة وغلظة وقسوة من خصوم دعوته داعياً إياه جل وعلا أن يثبته ويقوي إيمانه ويجعله

محل رضاه تبارك وتعالى.. لهو تكريم وتشريف عظيمان أيضاً من العلي القدير سبحانه وتعالى لرسوله وآية معجزة اختص بها المولى عز وجل رسوله الأمين دون غيره من أقرانه وأخوته من الرسل والأنبياء السابقين.

إن تشريف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإشارة من الروح القدس "جبريل عليه السلام" أن يتقدم تنفيذاً لأمر العلي القدير الواحد الأحد لإمامة الرسل والأنبياء جميعاً في الصلاة لله عز وجل بالكيفية التي فرضها العلي القدير سبحانه وتعالى عليه.. لدلالة عظيمة على أن رسالته هي الخاتمة والمهيمنة والأعظم والأشمل لكافة الرسالات...

مصداقاً لقوله تعالى:{ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ } [آل عمران: ١٩].

وقوله عزل وجل:{ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [آل عمران: ٨٥].

فأليس في هذا تكريم معجز من الواحد الأحد جل وعلا انفرد به رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم.

4) لا ريب أن ما كان من كفار مكة ومشركيها من اللجاجة في الجدال. والإلحاف في السؤال عن العير وعدتها وأحمالها، وعن صفات بيت المقدس، دقيقها، وخفيها.. وما دار من استفسارات لم تكن في إجمالها أو حد ذاتها كما ذكرنا من قبل أسئلة إنصاف أو منطق عاقل يقصد بها التعرف على الحقيقة.. وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة، يراد بها إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر العاجز عن إجاباتهم إلى بعض ما سألوا أو حتى في سؤال واحد مما سألوا يشفوا به غليلهم في تكذيب ما أخبر به.. ولكن الله عز وجل

أراد ألا يصلوا إلى غايتهم في تكذيب الرسول أو إظهاره بمظهر العاجز فكشف له بآية معجزة عن المواقع والمعالم لما إلتبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه.. وجلي له بيت المقدس.. حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل بما أودعه الله فيه من مواهب روحية عظيمة تمكنه بيسر من ذلك.. فجعل ينعته لهم ويستجلي إجاباتهم من مشاهداته التي يسددها طعنات في صدور خصوم دعوته من كفار مكة ومشركيها وطغاتها.. وغماً وكمداً في أفئدتهم.. وليظل دائماً وأبداً بين قومه وأمته وحتى ألد خصومه.. الصادق الأمين.. فأليس في ذلك آية معجزة من العلي القدير لتكريم رسوله الصادق الأمين؟!.

* * *

ثالثاً: المعراج

لقد كان المعراج الرحلة الثانية التي تلت رحلة الإسراء والتي بدأت من صخرة بيت المقدس صعوداً إلى السماء الأولى حتى السابعة حتى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ولا ريب أن المعراج هو قضية العقل والبصيرة - وقد يجدر بنا عند بحث هذه القضية أن نستفت فيها العلم. فماذا يقول العلم في البعد بين الأرض والسماء الأولى؟.

ومن الملفت للنظر أن علمي الفلك والطبيعة لا يعرفان عن السماء أكثر مما في كتب اللغة من أن السماء سو وارتفاع، فكل ما علاك فهو سماء.. ومن ثم فليس في مقاييسها إدراك حقيقة عليا محيطة بالوجود المادي منفصلة عنه اسمها سماء..

بيد أنهما يقولان: إن سعة الكون المادي من نجوم ومجموعات شمسية ومجرات وسدم تبلغ في حد علمنا.. وعدساتنا 1000 مليون سنة ضوئية.. ومعنى ذلك أن الضوء الذي ينطلق بسرعة 300000 مليون سنة في فضاء شاسع لا ندري له حتى اليوم نهاية.

ومع ذلك فالعلم يلم بكون فسيح أرحب من هذا بكثير.. فمعادلة رياضية عند أينشتين تحسب لاتساع الكون المادي ما يقرب من 35 بليون سنة ضوئية لنصف قطرها.. أي أننا نعيش في كون مادي ينفسح إلى 70 ألف مليون سنة ضوئية.. وقد يكون أفسح من ذلك.

وثمة نظرية أخرى تقول: إننا لن نرى من هذا الكون المادي أكثر من 2000 مليون سنة ضوئية أي بليون سنة من 35 بليون لنصف القطر كما تقول المعادلة الرياضية.

أما سبب ذلك: فهو ما سجلته المراصد من تباعد الأجرام والمجرات عنا بسرعات جبارة حتى تصل إلى تعادل سرعة الضوء على مدى 2000 مليون سنة ضوئية، حيث تتعادل السرعتان، سرعة تباعد المجرات وسرعة مقدم الضوء إلينا، فتتلاشى رؤيتها وتسجيلها على هذا المدى فتصبح نهاية معرفتنا عن كرة الكون المادي لملايين من الشموس والنجوم والمجرات والكواكب والأقمار عند 2 مليون سنة.. ويظل ما بعدها مجهولاً لنا تماماً.. والعلم في حيرة من تعليل نظرية تباعد هذه النجوم بهذه السرعات الجبارة والمضطردة.

ومن ثم فالعلم المادي لا يعرف بمقاييسه الحالية سوى جزء يسير من الكون المادي، ولا يدري شيئاً عن كون مستقل اسمه السماء، ذلك الشيء الذي إن كان فهو من فوق هذه المجرات والنجوم متسامياً بطبيعته عن المادة ومجالاتها وأفلاكها.

ونرى أن نستفتي في صنعة الوجود كتاب الوجود إتماماً لصورة الوجود فأين وضع السماوات كما يقول القرآن المجيد؟

يحدثنا القرآن الكريم عن الكون المادي بنجومه ومجراته التي نجد ومما يخفى عنا سواء أرينا مليون سنة ضوئية أو رأينا غداً بليون سنة ضوئية أو نراه بمعادلاتنا الرياضية 700 بليون سنة لكرة الكون المادي.

يقول القرآن: إن كل هذه الأجرام إنما هي ثريات لزينة السماء الأولى التي تحيط بالكون المادي كله ثم من بعدها ست سموات طباقاً في هذا الجلال والجمال.. بل أروع بكثير.. تسكنها الملائكة خلق النور... يسبحون بحمد الله آناء الوجود

لا يفترون. يمضون في الكون المادي كله بأمر الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والآيات في ذلك كثيرة ولنقرأ منها قوله تعالى:

قال تعالى:{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾} [الفرقان: ١ - ٥].

وقوله عز وجل:

قال تعالى:{وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾} [الصافات: ١ - ٦].

وقوله جل شأنه:

قال تعالى:{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾} [فصلت: ١١ - ١٢].

فالسماء الدنيا إذن زينتها القدرة الربانية بمصابيح الشموس والكواكب والأقمار.. ثم يحيط بها ست سماوات ما بين كل سماء وسماء كما بين الأرض ومعها الكون المادي والسماء الدنيا..{مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ

ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ} [الملك: ٣].

وقوله عز وجل:

قال تعالى:{ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥} [الشورى: ٤ - ٥].

وفي ذلك يقول الرسول الكريم:{أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع لله أو ساجد} حديث صحيح أخرجه مسلم ورواه أحمد في مسنده.

أما الملائكة فهم خلق النور كما يقول الحديث الآخر: ومعنى هذا أنه بيننا - سكان الكون المادي - وبين السماء الدنيا نحو بلايين السنين بسرعة الضوء فما بالنا بالسموات السبع فسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى؟

ومن ثم فليس في مقاييس العلم المادي ولا قوانينه ما يفسر معجزة المعراج بالجسد الشريف. وهنا يتدخل الصوفية الكرام ليقدموا حلاً ملخصه: أن الجسد الشريف قد تحول إلى نور حتى يتكيف مع طبيعة السمو إلى ما فوق السماوات.

والعلم الحديث يسلم بأن الجسد الشريف من النور، بل إنه يقول: أن كل الكون المادي من النور، ذلك لأن الأرض كانت قطعة من الشمس أو من نجم آخر، والأرض والشمس تشمل نيفا وتسعين عنصراً غازياً وسائلاً وجامداً وكل العناصر مكونة من ذرات لا ترى بأكبر المجاهر، وكل ذرة عبارة عن مجموعة شمسية

كمجموعتنا الشمسية مكونة من شحنة كهربائية موجبة في المركز تدور من حولها إلكترونات - شحنات سالبة - ومعنى ذلك أن طبيعة كل مادة من الكهرباء أي النور.. ويزيد على ذلك ما يأتي:

إن تحويل ظلال المادة إلى إشعاع ونور ينطلق بسرعة الضوء أمر مسلم به.. فظواهر التلفزيون والرادار ونقل الصور.. إنما يتم بتحويل ذرات الصور المادية في الفوتوغرافيا إلى ذبذبات كهربية تنطلق عبر الأثير ثم تجمع في جهات الاستقبال (شاشات التلفزيون أو الرادار... إلخ).

ومن قبل كانت معجزة النبوة الكريمة لدى النبي سليمان عليه السلام إذ طار عرش بقليس من اليمن إلى فلسطين بنفس هذه القوانين، بسرعة الضوء بعد تحويله إلى ذراته الأولية. فسجد سليمان شاكرًا لله أنعمه وفضله.

وقص القرآن ذلك بعدها بعشرات القرون ومضى على المسلمين أربعة عشر قرناً فما دروا - يقينًا بهذه القوانين. وما حاولوا أن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض بالعلم والمعرفة فسبقهم إليها غيرهم..

ومن ثم فالعلم يتطلع مستقبلاً إلى نقل صور كاملة بل قطعاً مجسمة بل مناضد وآرائك عبر الأثير بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية أي إلى ذراتها الأولى النورانية.. ويشاهد الآن في الغرب في السينما شرائط تؤيد هذه النظرية.

وإذا كان العلم يسلم بنقل المادة المجسدة بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية فهو يرفض ذلك التفسير بالنسبة للجسد الحي الذي لابد أن

تفارقه الحياة عند هذا العد فضلاً عن أنه لو قد تم ذلك لاحتاج الانتقال في الكون المادي فقط بسرعة الضوء 70 بليون سنة. فضلاً عن السماوات العلا والعودة منها. فرأى الصوفية وإن كان مسلماً من تحويل الجسد الشريف إلى نور فهو غير مسلم لنهايته.

ويرى علم النفس أن المعراج رؤيا مع الحس ومن فوق الحس.. في ساعة من الصفاء النفسي الرفيع حلقت فيها القوى الإدراكية والخيالية والتصويرية الجمالية إلى آفاق عالية في لحظات من اليقظة الواعية فمرت بهذه المشاهد الرائعة التي كونت قصة المعراج والإسراء، وأنه لاشك في أن نفس الرسول الكريم تسامت حتى أصبحت الأرض والسموات بالنسبة لها دوائر صغيرة.. فتعالى عن كل ذلك فتهيأ لهذه الرؤيا في آفاق من النور العالية.. مناماً أو بين المنام واليقظة.

وأهل التفسير الظاهري قد يسرهم هذا الرأي يهشون له ليكونوا بعيدين عن أعباء التحليق في سموات الفكر والبصيرة. ويقرب منه تصور المعتزلة وعليه بعض الصحابة.. وبمثله يقول الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد).. حيث يرى أن لحظة من لحظات الصفا النفسي أحاطت نفس محمد صلى الله عليه وسلم بالوجود كله أرضه وسمواته وما فوق سمواته. وبالزمن سابقه ولاحقه. حتى شاهد الأنبياء قد تجمعوا من حوله يصلي بهم ويصعد إليهم في سمواتهم ويشاهد مستقبل الأحداث كما يصوره له القرآن الكريم.

ويؤكد الروحانيون ومنهم الأستاذان الدكتوران رؤوف عبيد صاحب المؤلف الشهير " الإنسان روح لا جسد " وعلي راضي في كتابه " الروحية والدين " على أنه لا يوجد أدنى شك في أن هذه الرحلة

كانت بالروح لا غير، إذ لا يمكن أن يرتفع الجسد الأرضي من باب السماء. فقانون الخليقة يرتب المواد والعناصر والطبقات والمستويات، فهناك جسم صلب وهنك جسم سائل وهناك جسم غازٍ، وهناك جسم حيواني، وجسم أثيري، وجسم روحي.. إلخ.

ويقول الشيخ الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل):

" ومن المكلمين من يذهب به الحق في عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب.. ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا ومنهم إلى الثانية.. كل حسب ما قسم له.. "

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كرونتوس: (يوجد جسم حيواني ويوجد حسم روحاني وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي).

وكما أنه يوجد لكل طائر أو بالون أو صاروخ مستوى معين لا يمكن أن بتعداده في الارتفاع وكما أن لكل موجة لاسلكية مدى تصل إليه. فكذلك أيضاً لكل جسم روحي مستوى معين في العوالم الأثيرية لا يمكنه أن يتعداه فالثقيل يرسب والخفيف يطفو.. أليس هذا قانونًا في علم الفيزياء؟!.

وذلك القانون يخصص الأرض للجسم الطيني الذي ارتداه آدم عند هبوطه إليها، كما يخصص السماء للجسم الروحي الذي كان يرتديه قبل أن يهبط منها. وكما تسكن الأرواح السماء تسكن الملائكة وغيرها من المخلوقات التي نجهلها.

وتروي كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل المسجد الأقصى ربط البراق عند الباب ودخله فصلى ثم أتى

بالمعراج (أي السلم أو الطريق الذي سيتبعه الرسول في الصعود) فصعد فيه بصحبة الروح القدس جبريل عليه السلام إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السماوات السبع.. إلخ.

وهناك آيات عدة تبين أن الملائكة تصعد إلى السماء عن طريق المعراج: " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " (المعارج). ومن هذا يتبين لنا - وهذا هو رأينا أيضاً - أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما صعد إلى السماء تلك الليلة كان في جسمه الروحي لا غير. وهذا شيء منطقي وواضح من ثنايا القصة فهو يصف لقاءه مع الأنبياء السابقين عليهم السلام، ولما كان هؤلاء أرواحاً وليسوا أجساماً فيزيقية فلابد وأن يكون النبي روحاً في هذا الموقف.

يقول العالم الشهير سويدنبرج في موسوعته " الجنة والنار ": أن الأرواح المتقدمة تصعد إلى السماوات في طرق قد لا تعرفها الملائكة وإنما يعرفها الله وحده، وعندئذ تنضم هذه الأرواح المتقدمة إلى المجتمعات المشابهة لها في تلك الطبقات العالية.

وقد يفسر لنا هذا تخلف جبريل عليه السلام عن الصعود مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى سدرة المنتهى كما تقول كتب السيرة لأن روحاً بشرية بمثل تقدم روح محمد صلى الله عليه وسلم قد تكون أدرى بالطريق إلى الله من الملاك ذاته وإن كان الجميع يسجدون لخالقهم العظيم،

يقول سبحانه:{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾} [النحل: ٤٩].

أما ادعاء البعض بأن محمد صلى الله عليه وسلم قد قابل ربه سبحانه، وتعالى ليلتئذ فهذا إدعاء لا يقره العقل كما أن الرد الحاسم على ذلك يأتي من قول الله تبارك وتعالى في محكمة آياته:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾} [الشورى: ٥١].

وأن كل الذي نستطيع أن ندعيه يقيناً أنه لا يوجد من الرسل والأنبياء من انفرد بالوحي إليه في السماء من الله عز وجل بهذا القرب وبهذا التكريم غيره صلى الله عليه وسلم.

أما لماذا اختير بيت المقدس كمحطة للمعراج ولم يختر المسجد الحرام كما يتساءل بعض المستشرقين من خصوم الإسلام باعتبار أن قداسة ومنزلة المسجد الحرام عند المسلمين أعلى وأكبر.

والرد على ذلك بسيط واضح فلقد نسى أو غفل كل من يحمل هذا التساؤل أن رحلة الإسراء والمعراج حدثت في بدء الرسالة المحمدية - أي قبل الهجرة، وفتح مكة - وكانت الكعبة وقتئذ تعج بدنس الأصنام والوافدين لعبادتها ولم يكن قد تم تطهيرها بعد من هذا الدنس.

حتى إن قبلة المسلمين آنذاك كانت في اتجاه بيت المقدس.. كما لا يخفى أن منزلة المسجد الأقصى في نفوس المسلمين منزلة كبيرة لها قدسيتها وخصوصيتها.. فهو مهبط الوحي لكثير من الرسل والأنبياء عليهم السلام السابقين.

وفي رأينا أن هناك حكمة من وراء ذلك تدعو الأمة الإسلامية على مر الأجيال والعصور اللاحقة لعصر الرسول صلى الله عليه وسلم

إلى توحيد كلمتها لتطهير أرض الله المقدسة من بذور الشرك والظلم والفساد، وقوى البغي والعدوان متمثلة في إسرائيل، فإن حادث الإسراء يوحي للمسلمين بمبدئه وهو " المسجد الحرام "، ومنتهاه وهو " المسجد الأقصى ".

ويوحي إليهم بتذكر مهابط الوحي الأولى الذي تلقاه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومهابط الوحي الثاني الذي تقلياه موسى وعيسى عليهما السلام.. ويوحي أيضاً بأنها كلها مهابط الرسالات الإلهية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لتكميلها والهيمنة عليها.

كما يوحي بأن الرسالات وأن اختلفت أزمنتها وتعددت رسلها واحدة في دعوتها وغايتها، وأن جميع الرسل الذي اصطفاهم الله لتبليغ تلك الرسالات بناة بيت واحد. يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام صاحب الإسراء والمعراج.. وإذن فلابد أن يخفق عليها دائماً علم التوحيد والإيمان على النحو الذي جاء في رسالته صلى الله عليه وسلم. ولابد أن تطهر رقعتها من بذور الشرك والظلم والفساد.. وأن يعلو فيها سلطان الحق وعدالة السماء والعدل وحرية الإيمان والفكر والعمل:

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾} [التوبة: ٢٨].

وإذا كان المبدأ وهو المسجد الحرام يجب على المسلمين تطهيره وتطهير إقليمه مما تأباه الرسالة الإلهية وقد طهروها فعلاً، فإن منتهاه

وهو المسجد الحرام وإقليمه يجب كذلك تطهيرهما مما تأباه الرسالة نفسها:

قال تعالى:{ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ } [التوبة: ٢٩].

ولعل هذا الإيحاء كان أقوى ما حفز المسلمين الأولين إلى العمل على رفع راية الإسلام على بيت المقدس وإقليمه بعد أن رفعوها على المسجد الحرام وإقليمه.

ولعل حديث سورة الإسراء عن كتاب موسى:

قال تعالى:{ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ } [الإسراء: ٢]، وعن إفساد بني إسرائيل في الأرض وخروجهم على مقتضى كتابهم:

قال تعالى:{وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾} [الإسراء: ٤].

وعن وعيدهم في الآيات نفسها بالتنكيل والعذاب إذا استمروا على الإفساد أو عادوا إليه:{وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا} [الإسراء: ٨]. وأخيراً عن شأن القرآن ومركزه في هداية الله التي ختم بها رسالاته إلى الأرض:

قال تعالى:{ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩].

لعل حديث السورة عن كل هذا بعد حديثها عن الإسراء مباشرة من أوضح ما يدل على هذا الإيحاء ويرشد إليه.. وما حلقات التاريخ إلا شاهد عدل على صدق هذا الإيحاء وتوجه النفوس إلى تلبيته في كل عصر وكل مكان. فجدير بالمسلمين إذا أرادوا أن ينتفعوا بذكرى الإسراء والمعراج وقد قص عليهم القرآن ما قص، ورأوا بأعينهم

من أعوام مضت، إن الشياطين عادوا إلى ميدان الإسراء والمعراج ليلعبوا فيه من جديد دور الإفساد الذي ورثوه عن أسلافهم وأخذوا يتكتلون ويتعاونون مع قوى البغي والطغيان على تثبيت أقدامهم في أرض المسلمين.. أرض بيت المقدس وضواحيه. بعد سلبه من أهله.

حرى بالمسلمين أن تنفعل نفوسهم بهذا الإيحاء الذي تحليه عليهم رحلة الإسراء والمعراج ويرشدهم إليه كتابهم.. عليهم أن ينتبهوا إلى هذا الإيحاء ويسيروا في طريقه كما سار فيه آباؤهم من قبل، فيوحدون كلمتهم ليستردوا مكانتهم ويطهروا أرض الله المقدسة من عبث المفسدين ويزيلوا عن أنفسهم تلك الوصمة التي كادت تقطع نسبهم بآبائهم الأولين ومكنت منهم أعداءهم الذي توعدهم الله بقوله:{وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء: ٨].

* * *

رابعاً: العـودة

بعد ما شاهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما شاهد من آيات ربه العلي القدير سبحانه وتعالى وأوحى الله جلا وعلا إليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات كل يوم بعد أن سأله الرسول أكثر من مرة التخفيف.. ونادى مناد في السماء بأن أمضى العلي القدير فريضته وخفف عن عباده، خمس في العدد، وخمسون في الأجر، هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الرسل والأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة وفي رأينا أنها كانت صلاة الفجر ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء.

والذي ذكره (ابن كثير) في تفسيره، وتظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليها - وهذا هو رأينا أيضاً - لأنه صلوات الله وسلامه عليه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً، وهو يخبره بهم لما فرغ من الذي أريد به، وفرضت عليه الصلاة وكيفية أدائها اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر الله شرفه وفضله عليهم بالتقدم في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق عائداً إلى مكة.

وفي رأينا أنه صلوات الله وسلامه عليه صلى بالرسل والأنبياء ببيت المقدس إماماً صلاة الفجر وهو وهم جميعاً بالروح متجسدين.. كما سبق شرحه من قبل.

جاء في إنجيل متى ما يلي:

(أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال

منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه..)

وهذا هو الطرح الروحي مع التجسد كما يصفه تماماً الروحانيون وعلم الروح الحديث.

إذن ففي بيت المقدس تجسدت من قبل روح النبي موسى والنبي إلياس وتكلما مع روح النبي عيسى متجسد أيضاً قبيل توديعه لأورشليم في تلك الليلة الخالدة.. وبمعنى آخر أيضاً أن التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا كانوا حاضرين عندما ذهب أستاذهم ومعلمهم المسيح عليه السلام مطروحاً بالروح متجسداً ليقابل روحي موسى وإيليا عليهما السلام المتجسدين.

ولا ريب أنه في تلك الأثناء كان جسد المسيح الفيزيقي على الأرض وقت الإسراء " طرح " روحه مع التجسد، ومن المقرر يقيناً أيضاً عروج المسيح عليه السلام إلى السماء تطهيراً له من الذين كفروا برسالته والانحراف بها عن مراد الله عز وجل وذلك بنص قوله عز وجل في محكم آياته:

{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾} [آل عمران: ٥٥].

وينادي البعض بأن المسيح عليه السلام كان رفعه وعروجه إلى السماء روحاً وجسداً وفي رأينا أنه تم رفعه إلى السماء بالروح فقط بعد أن أتم رسالته كما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في معراجه ويؤيدنا في حسم هذه القضية نص قول الله تعالى في محكم

آياته:

قال تعالى:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الزمر: ٤٢].

وقد تجدر الملاحظة أن في الآية (55) من سورة آل عمران أن لفظ " متوفيك " سابق على لفظ " رافعك " أي أن هناك وفاة حدثت قبل الرفع. والوفاة لا تكون في العروج بالروح والجسد.. وإنما بالروح فقط.

يقول بولس في رسالته الأولى لأهل كرونثوس:

(يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي "

وعلى هذا نرى أن تجربة المعراج قد حدثت مع المسيح عليه السلام قبل رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وإن كان ما حدث مع المسيح عليه السلام كان عند انتهاء رسالته مع بني إسرائيل في الأرض.. وما حدث مع الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه كان في بدء رسالته.. ومقترناً بالوحي إليه من العلي القدير بما فرض عليه وعلى أمته وربما أيضاً أن العروج قد حدث مع رسل وأنبياء آخرين إلا أن درجة العروج هي التي قد تتفاوت.. إذ إن بيت المقدس كان مهبطاً لكثير من الأنبياء السابقين.. ولهذا نجد أن الله تبارك وتعالى يقول عنه في محكم آياته:{ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ} [الإسراء: ١]، ومثل هذا المكان المبارك الذي عاش فيه الأنبياء عندما كانوا أحياء ومن الطبيعي أن يظل مهبط حبهم ورعايتهم عندما يصبحون في

عالم الروح.

هذا هو اجتهادنا فيما يتعلق بمعجزة الإسراء والمعراج.. والله جل جلاله أعلى وأعلم وعنده سبحانه وتعالى فصل الخطاب.

* * *

ثالثاً: ومضات أثناء الهجرة

منذ أن عاد محمد صلى الله عليه وسلم مع فتاه زيد من الطائف إلى مكة - وفكرة الهجرة لازالت متبلورة في رأسه ويرى في بصيرته ثم في منامه أنه أذن له بالهجرة وأن البلد المقصود هي يثرب (المدينة) وليست الطائف.. وأن ما رآه مصاحباً له هو أبو بكر وليس زيداً.

ويذهب رسول الله سراً إلى صاحبه أبي بكر ويبلغه أنه قد أذن له في الهجرة إلى يثرب.. وعندئذ يتوجه أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط للاتفاق معه على استئجاره كدليل للرحلة، وكان ابن أريقط عندئذ يدين بقريش.. وأن يعده برعاية الدابتين ويأتي بهما إليهما في الغار بعد ثلاث ليال.. وفي ليلة السفر جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب رضى الله عنه لينام في فراشه حتى يخدع المترصدين له من شباب قريش بأنه مازال في البيت.. ثم خرج عليهم صلى الله عليه وسلم.. ولما رآهم أخذ بحفنة من التراب ألقاها عليهم من بعد ولكنهم لم يروه فقد عمت أبصارهم ومر عليهم كأنهم خشب مسندة.. ويا لها من ظاهرة.

وذهب محمد صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وخرجا متخفيين صوب المدينة.. ولاشك في أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع تخفيه هو وصاحبه أخذاً بالأسباب واجتهاداً فيها عملاً بقواعد الناموس.. كان هناك ما يبث الطمأنينة في قلبه.. إذ لابد وأنه تذكر وهو خارج من وطنه ما حدث لأخوته من الأنبياء الذي أخرجوا من أوطانهم.. ألم يقل الله ليعقوب عليه السلام بلسان التوراة:

(... اخرجوا من بابل أهربوا من أرض الكلدانيين.. قولوا قد فدى

الرب عبده يعقوب - ولم يعطشوا في القفار التي سيرهم فيها. أجرى لهم من الصخر ماء..)

وألم يقل جل وعلا عن موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

قال تعالى{وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ} [الشعراء: ٥٢].

وألم يقل تبارك وتعالى أيضاً في محكم آياته:قال تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾} [التوبة: ٢٠].

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾} [النساء: ٩٧].

هذا ويشير علم الروح الحديث " الباراسيكولوجي " إلى أن الهجرة هي أحد قوانين التطور الروحي (أي هي أيضاً موت صغير وانتقال من حياة إلى أخرى) فعندما يضيق الإنسان بمكان، عليه أن يغادره إلى مكان أفضل وقوم أفضل.. تماماً مثلما تضيق الروح بجسدها في يوم ما وعندئذ عليها أن تغادره إلى مكان أفضل أي إلى عالم الروح...) ونحن نجد في القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام عندما ضاق به قومه وضاق بهم لعنادهم وإمعانهم في ضلالهم وكفرهم طهره العلي القدير منهم برفعه وتخليصه من من حصارهم وتضييقهم وقسوة قلوبهم ورقابهم... إلى ما هو أوسع وأرحب لإتمام رسالته في الأرض،{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾} [المؤمنون: ٥٠].

قال تعالى:{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾} [آل عمران: ٥٥].

و في حالة محمد صلى الله عليه وسلم حامل الرسالة السماوية الخاتمة والمتممة لما قبلها من رسالات نجد أن العلي القدير قد طهره أيضًا من الذين كفروا بطريق الهجرة والمثابرة في الجهاد.

وصل الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه الصديق إلى غار ثور ومكثا به ثلاث ليال. كانا أثناءها يتلقيان أنباء قريش عن طريق عبد الله بن أبي بكر الذي كان يذهب إليهما ليلاً ثم يعمل عامر بغنمه على إخفاء معالم قدميه فوق الرمال... ويأتي إليهما بعض الرجال المسلحين من قريش بحثاً عنهما ويقف أحدهما على باب الغار ثم يعود فيسأله رفاقه " لم تنظر في الغار؟ فيجيب: " إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد وقد رأيت حمامتين وحشيتين في فم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد وفي نفس الوقت يرفع الصديق رأسه وينظر فيرى أقدام القوم ويقول: " يا نبي الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا.. " ثم يردف قائلاً: " إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة... " فيجيبه النبي في ثقة واطمئنان: " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ".

ويعود رجال قريش خائبين خاسرين إلى قومهم... وينجو رسول الله وصاحبه من تدبيرهم وكيدهم ورغبتهم المحمومة في قتله والتخلص منه ومما يدعو إليه... ويتبين تماماً من خطاب الرسول مع صاحبه أنهما لم يكونا وحدهما... بل كانت هناك قوة أخرى مطلقة... قوة الله العلي العظيم.. هي التي تدخلت لنجاتهما ونصرهما.

ويصف الله تبارك وتعالى هذا الموقف في القرآن الكريم بقوله:

قال تعالى:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾} [التوبة: ٤٠].

وتتأكد قريش من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخروجهما من مكة... فتنطلق جادة للبحث عنهما وتفرض مائة ناقة لكل من يقبض عليهما.. وعندئذ تنفذ جريمتها المدبرة من زمن وهي قتل رسول الله على أيدي عدة فتيان من مختلف بطون قريش حتى يتفرق دمه على قريش كلها وبذلك يعجز بنو هاشم من محاربة قريش بأجمعها..

وبعد انقضاء الثلاث ليال ذهب إليهما دليلهما عبد الله بن أريقط بالناقتين.. وبدؤوا الانطلاق صوب المدينة بطريق ملتو يشرف على البحر الأحمر... فيلهمهما العلي القدير بالتوجه إلى صخرة ثم يلهم غلاماً ليسوق غنمه نحوهما كي يشربا من لبنها... إذ كانوا قد ساروا أكثر من اثنتي عشر ساعة تباعاً في ذلك الجو الحار وقد تملك منهما العطش.. ويقول أبو بكر رضى الله عنه في ذلك: (... أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قائم الظهيرة. وخلا الطريق لا يمر فيه أحد.. فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده.. فإذا براع مقبل إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا.. فحلب في قعب كثبة من لبن.. فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت.. ثم قال: ألم يأن الرحيل؟.. قلت: بلى: فارتحلنا بعدما مالت الشمس وأتبعنا سراقة بن مالك... "

لقد عرف سراقة بن مالك بن جعشم مكانهما.. وهو فارس متميز مشهود له بذلك.. فانطلق وراءهما طمعاً في المكافأة.. فماذا حدث.. يقول سراقة:

(دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستسقيت بها أضرهم أم لا.. فخرج الذي أكره.. فركبت فرسي وعصيت الأزلام وهي تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت إذ الأثر في يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان.. فاستسقيت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم.. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية.. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أديم ثم مضى..)

أما أبو بكر رضى الله عنه عندما رأى سراقة وراءهم فقال:

(يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا.. فالتفت النبي إليه وقال: اللهم اصرعه.. فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت.. قال: قف مكانك، لا تتركن أحد يلحق بنا.. قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله وكان آخر النهار مسلمة له، فنزل رسول الله جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا).

ووصل رسول الله وصاحبه إلى دار عمرو بن عوف حيث مكث عدة ليال وبني مسجد التقوى ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس مهللين مكبرين منشدين.. ودخل المدينة حتى بركت ناقته " المأمورة

" بجوار مسجد الرسول وكان مضيفوه يلحون في رغبتهم بتغيير اتجاهها لاستضافته ولكنه كان يقول (اتركوها - إنها مسيرة).

ومن الواضح - كما أشرنا من قبل - أن الناقة كانت واقعة تحت تأثير إلهام موجه لها من الرسول صلى الله عليه وسلم ترتيباً على إلهام موجه للرسول نفسه من الله سبحانه وتعالى مباشرة أو من جبريل عليه السلام يعلم به الرسول بالإلهام أيضاً، كما لا يستبعد أيضاً أن يكون هناك روح متجسدة بالنسبة لها يراه الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ولا يراه من معه.. يمسك بمقودها الذي يجذبه لكي تبرك في المكان المراد بمشيئة عز وجل.

* * *

الباب الثالث

ومضات بعد الهجرة

الفصل الأول:

موقعة بدر

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة. حاول بعض من أصحابه المقربين إقناعه صلى الله عليه وسلم ملحين بأن يأذن لهم بمقاتلة قريش التي اضطهدتهم وعذبتهم وظلمتهم ظلماً بيناً بإخراجهم من ديارهم والاستيلاء على أموالهم... وتعذيب وقهر عوائلهم... خاصة وأن قوافلهم.. كانت تمر بالقرب من المدينة عند خروجها من مكة إلى الشام... ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يك ليوافقهم إلا بوحي من الله عز وجل يأذن له بذلك... موضحاً المنهج الذي يتبعه في هذا القتال.. فلما هبط عليه الوحي إذنا له بقتال أعداء الله وأعداء دعوته إذ قال جل وعلا في محكم آياته:

قال تعالى:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾} [الحج: ٣٩ - ٤١].

قال تعالى:{فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا } [النساء: ٨٤].

عسكر النبي صلى الله عليه وسلم بقرب بدر وهي بئر محبوبة لدى القوافل... وكان عدد رجاله من المؤمنين حوالي 313 رجلاً بينهم

عدد غير قليل من الأرقاء والعبيد وكبار السن الغير مؤهلين تأهيلاً كافياً للقتال، وكان جيش قريش حوالي 1000 رجل من أعتى فرسان العرب في القتال مجهزين تجهيزاً كاملاً بالخيل والعتاد والسلاح... ولم يكن هذا العدد منتظراً من قافلة تجارة لولا أن أبا سفيان أرسل إلى قريش فخرجت برجلها وعددها... وبذلك أصبح لا مخرج ولا مناص من القتال.

وشاور الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته وسأل المهاجرين وسأل الأنصار مضيفيه... فقد كان واجباً بالطبع أن يستشير مضيفيه... فأجابه سعد ابن معاذ نائباً عن الأنصار بخطبته التاريخية المأثورة التي أنهاها بقوله: فأمض يا رسول الله لما أردت فنحن معك...).

ولكن كيف يرتب النبي لدخول معركة كفتاها غير متكافئتين على الإطلاق... وهي بعد أول معركة يخوضها المسلمون.. وعليها يتوقف مستقبل الدعوى كله لأن قريش... على حد قول الرسول صلى الله عليه وسلموهو يتضرع إلى ربه يسأله النصر - " قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحارب وتكذب رسولك "...

وللإجابة على هذا السؤال... فإنه لا ريب في أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى برهاناً سابقاً من ربه عز وجل يبشره بالنصر فتشجع وقال لرجاله:

(سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم...) أخرجه الشيخان.

استجابوا وأخذ الجيش يتأهب ويترتب لخوض أول معركة مع

مشركي وكفار مكة أعداء الله وأعدائهم الذين طالما اضطهدوهم وعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم... ناهبين أموالهم وديارهم... وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة (621م) وكان كل شيء يسير عادياً بناء على خطط أرضية وتفكير بشري... وكان على المؤمنين أن يفكروا لأنفسهم ويبينوا مدى خبرتهم... ولم يكن النبي عالماً بتفاصيل المعركة وإن كان عالماً بناء على الرؤيا التي رآها بنتيجتها...

وفي هذا الموقف المتحرج للغاية أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يسوي الناس صفاً صفاً ليستقبلوا العدو على تعبئة ونظام. وكان في يده عود يشير به إلى من يطلب منه التقدم أو التأخر لاستواء الصفوف وخرج رجل من سواد الجند عن الصف واسمه سواد بن غزية... فدفع النبي بالعود في بطنه ليستوي...

فقال له سواد:

– يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق، والعدل فأصبرني يا رسول الله ومكني من نفسك لاقتص منك!

– أصبر!

ووقف النبي متمهلاً كي يقتص منه سواد دفعة في البطن بدفعة في البطن... ولكن الرجل قال:

– إن عليك قميصاً وليس على قميص!

– فرفع الرسول قميصه عن بطنه متأهباً للقصاص من نفسه!

فعانقه سواد وقبل بطنه العاري... ليكون مس جلده - على حد قوله - آخر عهده بالدنيا قبل الشهادة... وما كان الرسول يتوقع هذا، بل كان

يتوقع المقاصة التي تهيأ لها عن طيب خاطر... فهذا هو رسول الله الذي وصفه خالقه العظيم بأنه على خلق عظيم:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤} [القلم: ٤]، وهذه عينة من رجاله وأتباعه المؤمنين الذين وصفهم الله جلا وعلا في القرآن الكريم بقوله:

قال تعالى:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧} [البقرة: ٢٠٧].

وها هو الحباب بن المنذر يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقترح عليه بلباقة تغيير خطة كان قد فكر فيها فيقبل منه النبي هذا التغيير. يقول الحباب: " يا رسول الله أرأيت هذا المنزل " أي المعسكر " أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ ".

وهنا يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل لم يعين له مكاناً ولم يرسم له خطة في هذه الموقعة فيقول: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة "

فيرد عليه الحباب: " يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من القلب " أي نتلفه " ثم نبني حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون... " فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لقد أشرت بالرأي " ويقوم فينفذ كل ما نادى به الحباب...

ثم يأتي سعد بن معاذ هو الآخر فيأخذ نصيبه في رسم الخطة ويشير على النبي بما يجب عمله فيقول له: (يا نبي الله ألا تبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا...) فيوافق النبي على

هذا الرأي ويبني ذلك العريش " الخيمة " يستظل به ويرقب منه المعركة...

ويأتي الليل في انتظار المعركة كل فريق يتبيت بالآخر في انتظار ساعة الفصل. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم... لازال فكره مشغولاً بالقلة البينة لعدد قواته وتسليحه بالنسبة لجيش أعداء دعوته من كفار ومشركي مكة.. وتدور به شتى الصور... فيستغرق في الصلاة لربه ومناجاته:

(... اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاربك وتكذب رسولك... اللهم فنصرك الذي وعدتني... اللهم الغداة...)

وهو هنا يؤكد على وعد الله عز وجل له ولكن الصور المادية التي أمامه تجعله يستغرق أكثر في الصلاة والمناجاة...

ثم يأتي الصباح ويكرر النبي أمام أبي بكر " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " وعندما كررها عدة مرات بحرارة تعجب أبو بكر وقال: " يا نبي الله بعد مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك "... فالصحابة إذن أيضًا يعلقون نتيجة المعركة على وعد الله عز وجل...

وفجأة يتهلل وجه النبي ويبدو عليه السرور وينتبه كأنه يفق من مشاهدة شريط قصير يعرض أمام ناظريه.. ثم يخاطب أبا بكر فجأة: (أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع " الغبار "... والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة...).

وبدأت المعركة وصرعت ثلاثة من أكابر قريش... ومع كل ما حدث

كان النبي عاكفاً على صلاته في الخيمة وكان كلما جاء على بن أبي طالب ليراه يجده ساجداً ينادي الحي القيوم... وفي هذه الجلسة الروحية يذهب النبي في شبه غيبوبة ويأتي له روح القدس جبريل عليه السلام برسالة عاجلة رداً على ندائه الحار:

قال تعالى:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾} [الأنفال: ٩ - ١٠].

هنا يتيقن النبي أن ألف ملاك مقاتل سوف ينزلون للوقوف في صفه... ولما يعلم النبي صلى الله عليه وسلم العدد الذي سيدخل في معركته تتضح له البشائر العملية للنصر... وكان الله قادراً على أن ينصره بدون ملائكة وبدون إرسال عون... فقد كان قادراً على إهلاك قريش بمرض أو قوة مجهولة... إلخ ولكنه سبحانه وتعالى يريد أن يكافئ عبده ورسوله ومن معه من المؤمنين على ما بذلوه من جهد ومثابرة وصبر وإيمان ورغبة في انتصار دينهم والاستشهاد في سبيل الله... ويبرهن لهم على أن هذا العون من عالم الروح ليس هبة تعطي بدون مقابل وأن هذه الملائكة المحاربة لم تأت للنبي إلا بقوة صلاته وعمق إيمانه وصدق جماعته في إرجاح كفة الحق على كفة الباطل... يريد الله جل وعلا أن يعطي برهاناً خالداً للمؤمنين على أن للصلاة فعلها وللعمل الإيجابي قيمته... فلا عون إذن إلا لمسلم يحمل سلاحه ويسير لمقاتلة أعداء الله ولمسلم مكافح وهب نفسه فداءاً للإسلام ولمبادئ هذا الدين العظيم القيم... ولا مساعدة لمسلم نائم متكاسل يطلب من الله أن ينصره بدون أن يبذل من روحه صلاة وفي جسده كفاحاً...

كما يريد العلي القدير أن يعطي برهاناً واضحاً أنه سبحانه وتعالى يبعث برسول نور كلما قام في الأرض رسول ظلام شريطة أن توجد الرغبة الإيمانية عند أنصار هذا الرسول في مقاومة هذا الظلام، وأن توجد القلوب التي تقف أمامه عامرة بالإيمان وبالروح التي يمكنها أن تقهر المادة...

يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما يزال يرى صورة الملائكة تسير أمامه... ويهيب بمن حوله بما سمعه ويضيف قائلاً في نشوة إيمانية: "... سيهزم الجمع ويولون الدبر... ".

وتحمى المعركة ويقع من يقع ويهرب من يهرب من مشركي وكفار قريش... ويأتي النصر الذي وعد به الله عز وجل رسوله الصادق الأمين...

وعلى ضوء ما وقع من أحداث... وعلى ضوء التفسير الروحي يمكننا أن نقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدير معركة بدر في خيمته كان معه مجلس قيادة روحي، وكانت الموقعة تبدو على ستار الزمن كما تبدو صور المواقع الحربية الآن على ستار الرادار... كانت الأوامر تصدر منه ومن المرشدين الروحيين بناء على خريطة روحية لتنفذ في عالم المادة - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال: ١٧].

ويبين العلي القدير جل وعلا مدى فاعلية خلقه من عالم الروح (وما

يعلم جنود ربك إلا هو) يوم بدر إذ يقول تعالى:

قال تعالى:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾} [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٧].

ويتبين جلياً من هذه الآية أن موقف الجيش الإسلامي والمسلمين من الناحية المادية - أي على مستوى توازن القوى المادية - كان ضعيفاً جداً (أذلة) ولكن النبي صلى الله عليه وسلم طمأنهم بأن الله سوف يمدهم بثلاثة آلاف ملك (منزلين) ولكن لو زاد صبرهم وتقواهم، فالعدد سوف يزيد إلى خمسة آلاف ملك من طبقة أعلى (مسومين) أي مسلحين، ومعنى هذه المعادلة أنه كلما زاد درجة المحارب من الصبر والتقوى والإيمان بالله زادت القوة المساندة له من عالم الروح من حيث العدد أو النوع... وهذا يتفق مع القانون الروحي عند علماء الروح: " الشبيه ينجذب إلى شبيهه " كما يتضح ويتأكد من آخر الآية أن النصر كان من عند الله ليقطع طرفاً من الذين كفروا... وتغليب كفة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اجتهد في صلاته ودعائه وتبتله وحرصه الشديد على انتصار الدعوة إلى عبادة الواحد الأحد الديان.. واجتهاد وصلوات ودعاء من حوله من المؤمنين واستعدادهم التام للشهادة في سبيل الله والدعوة إعلاء وحدانيته وأحديته " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ودحض أي شرك به على وجه الأرض...

فلم يخطئوا كما أخطأت بنو إسرائيل حينما ظنوا أن الله هو الذي

يحارب لهم بينما هم جالسون إذ قالوا لموسى عليه السلام:{فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ} [المائدة: ٢٤]... وفي هذا المعنى يقول المقداد لرسول الله يوم بدر: " يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون... ولكن أمض ونحن معك... ".

إذن فإن أهم ما نستخلصه من يوم بدر هو أن الهزيمة أو النصر تتبعان لقانون روحي هو قانون العمل والجزاء..

وانقضت المعركة بقتل أساطين مشركي وكفار قريش أبي جهل... وشيبة... والوليد... وعتبة... وأبي... وغيرهم وازدياد يقين صحابة محمد صلى الله عليه وسلم ورجاله وتابعيه بصحة دعوته وسمو رسالته وعظمة هذا الدين القيم... المكلفين معه بالدعوى إليه والدفاع عنه...

وبعد أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن تجمع جثث قتلى كفار ومشركي قريش وتوضع في حفرة القليب (وهو بئر قديم نضبت منه المياه)... يقف النبي أمام تلك الحفرة معاتباً:

(يا أهل القليب... بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم... كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس... وقاتلتموني ونصرني الناس)... (يا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة... ويا شيبة بن هشام... ويا... هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً...)

ووضح جليا من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم لأعدائه (... هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً...؟) أن الوعد الذي جاء به جبريل عليه السلام بوحي من رب العالمين إلى نبيه بالنصر... كان له وعد أو

وعيد مقابل أرسل إلى قريش بطريقة ما ولكنهم لم يصدقوه... وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } [هود: ١٠١].

* * *

الفصل الثاني:
موقعة أحـد

وفـي السـنة الثالثـة مـن الهجـرة (623م) خـرج المسـلمون للمعركـة الثانية في موقعة أحد، بعد أن علموا أن كفار قريش خرجوا في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا علـى ميمنـة الخيل خالد بن الوليد وعلـى ميسرتها عكرمـة بن أبـي جهل، وأقبلوا حتـى نزلوا بعينين بجبل ببطن السنجة من قناة علـى شفير الوادي مقابل المدينة... وكان عدد المسلمين ألف مقاتل.

أي النسبة العددية بينهما واحد إلـى ثلاثـة كمـا كـان الحـال فـي موقعـة بدر. وفي موقعة أحد وضع النبي صلى الله عليه وسلم فوق جبل أحد خمسين رامياً من أمهر الرمـاة تحت رئاسـة عبد الله بن جبير ونبـه عليهم مشدداً ألا يبرحوا مكانهم قائلاً لـهم: (... إن رأيتمونـا تخطفنـا الطيـر فـلا تبرحـوا مـن مكـانكم حتـى أرسـل إلـيكم... وأن رأيتمونـا هزمنـا القوم وأوطأنـاهم الخيل فـلا تبرحـوا مـن مكـانكم حتـى أرسـل إليكم...)

لقد كانت مهمـة هؤلاء الرمـاة غايـة فـي الأهميـة خاصـة فيمـا يتعلـق بتـأمين ظهـر المسـلمين وإيقـاع أكبـر قـدر مـن الخسـائر فـي قـوات أعدائهم... وتحمى المعركة وينسى الرماة عند أول نصر للمسلمين ما قالـه لهم النبـي صـلى الله عليـه وسلم طمعاً فـي الغنـائم التـي خلفهـا أعداؤهم... فتكون النتيجة التفاف فرسان كفار قريش بقيادة خالد بن الوليد من المكان التي انكشف فيه ظهر جيش المسلمين... ممـا أدى

إلى هزيمة منكرة للمسلمين يستشهد فيها حمزة عم النبي ويمثل بجثته أيما تمثيل...

وهنا يدور التساؤل... ما الذي جعل نتيجة هذه المعركة تختلف عن نتيجة معركة بدر؟

إن أول ما نلاحظه في بدء سير المعركة وقيام الرماة بمهمتهم على خير وجه والتزامهم بأمر النبي الملهم... كان النصر حليفاً للمسلمين وبجانبهم طوال الصباح... حتى إذا ما اغتروا بنصرهم... وجلا الرماة عن مواقعهم ومهامهم طمعاً في الغنائم مخالفين أمر قائدهم ونبيهم... وحلت فرسان قريش مكانهم حدثت الهزيمة... لأن ذلك الاستهتار وتلك المطامع المادية في الغنائم... طبقاً لقواعد الناموس... لا يمكن أن يأتوا بنصر من عند الله جلا وعلا... فلقد تدنت ذبذبة المسلمين من ذبذبة عالية مناسبة لجذب عون الملائكة وعالم الروح... إلى ذبذبة منخفضة لا تجذب سوى الشياطين والأرواح المتأخرة التي تعني بهزيمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا نصره...

ومن الملاحظ أننا لو تتبعنا أقوال الرسول عن هذه الموقعة نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ير في منامه رؤيا سارة عن موقعة أحد كما حدث في موقعة بدر بل على العكس إذ يقول:

(رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره) ويعلق على هذا صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد) وتمتد الرؤيا إلى المستقبل فيقول صلى الله عليه وسلم عن هذا:

(ثم هززته مرة أخرى فعاد أحسن ما كان) ويفسر صلوات الله

وسلامه عليه بقوله: (فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين) الذي حدث فيما بعد.

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لما كان يوم أحد هزم المشركون... فصرخ إبليس لعنة الله عليه.. أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم) رواه أحمد في سنده.. ومسلم في صحيحه.

وذلك كما نزلت الآية الكريمة لتحسم هذا الأمر:

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾} [آل عمران: ١٥٥].

إذن لا ريب في أن المعركة تحولت إلى معركة مادية ليس فيها سلاح روحي... وها هو أحد المحاربين المسلمين يوم أحد يعترف بسبب الهزيمة فيقول:

(إنا لما حملنا عليهم وانكشفوا انكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام).

لقد وصل الأعداء إلى الرسول ذاته... ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فسقط وأصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفته... وضربه عبد الله بن شهاب، فأصاب وجهه، وضربه ابن قميئة فدخلت خوذة رأسه في وجنتيه.. ثم وقع في فخ من أفخاخ الأعداء.. وينادي رسول الله أصحابه: (هل من رجل يشتري لنا نفسه؟)... فيقبل عليه ستة من الأنصار فيدافعون عنه دفاعاً مستميتاً إلى أن يصل الأمر بالدفاع عنه بأجسادهم ويتساقطون دونه صرعى واحد تلو الآخر... قال ابن إسحاق (صحيح السيرة / صحابة / 290) عن أنس بن مالك قال:

كسرت رباعية النبي من يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم) فأنزل الله عزل وجل في ذلك،{لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ} [آل عمران: ١٢٨].

ويتدهور الموقف إلى الحد الذي يدفع بأم عمارة أن تتدخل لتدافع عن النبي بنفسها.. وتذب عنه بالسيف والرمي بالقوس حتى جرحها ابن قميئة... وتؤكد لنا كتب السيرة والروايات أن النبي في هذا الموقف الغاية في الحرج... وقف يقاتل بشراسة بالغة وشجاعة لا نظير لها... دافعاً عنه المشركين...

قال ابن إسحاق: (288 / صحيح السيرة / صحابة): وقاتل مصعب ابن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قميئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى قريش فقال قتلت محمداً.. فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على أبن أبي طالب.

وقال ابن إسحاق أيضاً: " حدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير عن الزبير أنه قال: (والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة من العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم " (289 / صحيح السيرة / صحابة).

وإن كان الموقع تميع وأصبح أكثر حرجاً.. فلم يكن رفاقه أكثر من أربعة عشر رجلاً نصفهم من المهاجرين: أبو بكر - طلحة - عبد الرحمن ابن عوف - سعد بن أبي وقاص - الزبير بن العوام - أبو عبيدة - على بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين... والبقية من الأنصار وعلى رأسهم أبو دجانة رضى الله عنه الذي دافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم دفاعاً مجيداً... فلقد أهداه الرسول الملهم قبل المعركة سيفاً إذ قال في جمع من رجاله ومنهم أبو دجانة سماك بن خرشة: (من يأخذ هذ السيف بحقه...؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم... حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة... فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: " أن تضرب به العدو حتى ينحني " قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه...) صحيح السيرة - صحابة / 284.

قال ابن إسحاق: وترس من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمي سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد: رأيته يناولني النبل وهو يقول:{ارم فداك أبي وأمي} حتى يناولني ماله نصل فيقول: ارم به (صحيح السيرة / صحابة / 290).

ويكتشف بعض المقاتلين من رجال الرسول وجود النبي حياً وأنه مازال حياً ويقاتل فيفرح أنصاره بعد أن سرت الإشاعة بوفاته.. وبعد أن يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من تلك الحفرة التي كان قد وقع فيها يلجأ بعد قتال شرس مع بعض أصحابه إلى سفح الجبل، ويراه أبي بن خلف فيصيح به متوعداً، وهو واثق أنه مصيبه في تلك الحالة من الوهن والضعف الشديد، تملأ الجروح وجهه

وجسده...

وهنا يصل التاريخ إلى نقطة انقلاب... فإما أن ينازل هذا العدو النبي صلى الله عليه وسلم فيقضي عليه وعلى دعوته.. وما أسهل ذلك.. والوضع على ما كان عليه... وإما أن تحدث معجزة ويقاوم النبي المصاب المنهك ذلك العدو المهاجم القوي الممتطي جواداً ضخماً.. ويحمل سيفاً حاداً.. وخبرة في ميادين القتال.. لينتصر دين الله... وفي تلك اللحظات الحاسمة يصلي النبي في نفسه بسرعة إلى العلي القدير طالباً منه العون - فكلما تحرج الموقف وصرخت النفس إلى خالقها العظيم كان مقدار الاستجابة مع الاجتهاد في الأسباب.

فقد أخذ صلى الله عليه وسلم حربة من أصحابه واستعان بالله وحده وتقدم مترجلاً لمنازلة الفارس الراكب مصوباً ضربة له... توقعه عن فرسه جريحاً وتجعله يفر هارباً حيث مات في طريقه إلى مكة... ويعاود خالد بن الوليد هجومه على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيصدونه بقتال شرس مستميت ويعود من حيث أتى... وبعدها يأخذ النبي في الصلاة بأصحابه وهو جالس ويدعو الله أن ينهي المعركة ويكشف الغمة فاستجاب العلي القدير لدعائه وانتهت المعركة.

وقد نزلت في موقعة أحد ستون آية تقريعاً لما حدث تحوي دروساً في الأخلاق وفي المعاملة والصبر وفي النظرة للحياة ومعنى الموت وفي إثبات إمكانية التعاون بين الأرواح المتجسدة والأرواح غير المتجسدة. وقد بدأت الآيات الكريمة هكذا، في سورة آل عمران:

قال تعالى:{هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا

تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)} [آل عمران: ١٣٨ - ١٣٩].

وواضح من هذه الآية الأخيرة:{وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)} [آل عمران: ١٣٩]، تبشر المسلمين بنصر قادم لو ظلوا مؤمنين - وهذا ما تحقق في غزوة الخندق وما بعدها.. ثم تستمر الآيات:

قال تعالى:{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٠)} [آل عمران: ١٤٠].

ثم تؤكد الآيات على قانون العمل والجزاء:

قال تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢)} [آل عمران: ١٤٢].

وتتحدث عن أسباب هزيمة المسلمين بعصيان أمر النبي - وما حدث من فوضى جراء أطماع دنيوية:

قال تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)} [آل عمران: ١٥٢].

قال تعالى:{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ } [آل عمران: ١٥٣].

قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ} [آل عمران: ١٥٥].

وتعلمهم الآيات كيف يحتقرون العالم المادي... ومحبة الاستشهاد في سبيل الله وتفضيله على أطماع الدنيا الزائلة:

قال تعالى:{ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ} [آل عمران: ١٥٧ - ١٥٨].

ثم تؤكد الآيات على خطر الموت الذي تعرض له الرسول محمد في هذه الموقعة وأنه بشر مثل غيره من الأنبياء البشر الذين سبقوه يخضع للقوانين الكونية:

قال تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤} [آل عمران: ١٤٤].

وبعد أن تؤكد أن الرسل جميعاً بشر كتب عليهم الموت تقول الآية أن هذا الكتاب الذي كتب على البشر جميعاً بما فيهم الرسل والأنبياء مؤجل لحين الموعد المحدد.. وقد يمرض الإنسان أو يجرح ولكنه لا يموت طالما أن إذن الله لم يأت بعد:

{وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا} [آل عمران: ١٤٥].

ثم تبشر الآيات أيضاً بنصر المسلمين مستقبلاً بإلقاء الرعب في قلوب الكفار والمشركين:

قال تعالى:{سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ }

[آل عمران: ١٥١].

وتواسيهم في قتلاهم:

قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

ويتبين في هذه الآيات في وضوح إن الإنسان عندما يموت يتحول إلى هيئة الحي وله رزق وله عاطفة أي أنتقل إلى حياة أخرى... وليس ميتاً بالمعنى السائد عند العامة.

وهذه الموقعة التي خسرها النبي ومن معه من المسلمين.. ما هي إلا درس بليغ من دروس الجهاد التي تثبت إثباتاً قاطعاً أن النصر في العالم الفيزيقي يحتاج إلى مركبة فيزيقية وأن المادة هي التي تحارب المادة.. وأن الروح ما هي إلا المحرك والملهم... والروح العلوي يلهم الاتجاه إلى الطريق الصحيح.. والروح السفلي يلهم الاتجاه إلى الطريق الخاطئ.. فلقد رأينا أن انكباب المسلمين على الغنائم هو الذي وجه المعركة من الطريق الصحيح إلى الطريق الخاطئ.. من طريق النصر إلى طريق الهزيمة... إذ نسوا أن الغنائم الحقيقية هي ما وعدهم ربهم عز وجل من جنات عرضها السماوات والأرض...

ولا غرابة أن الخطأ الذي ارتكبه بعض المسلمين يوم أحد وجاء بالهزيمة... سيأتي خطأ آخر يأتي لهم بالهزيمة بعد ذلك يوم حنين يوم أعجبتهم كثرتهم، ونسوا أن النصر لا يكون ولا يأتي إلا من عند الله وأن مقدماته هي الاعتماد والتوكل على العلي القدير عز

وجل، ثم الاجتهاد وفي الأسباب طبقاً لما تمليه القوانين وقواعد الناموس.. التي من المستحيل أن يخرج عنها أي من خلق الله عز وجل.. ولو كان المسلمون جميعهم يوم أحد ويوم حنين، أو في أي معركة قد أخذوا تماماً بهذه المقدمات، وأطاعوا الله حق طاعته، وأطاعوا تعليمات رسوله لظفروا بالنصر المؤزر الذي دائماً ما يكون قريب منهم إلى أن يكون في حوزتهم طالما كانوا في طاعة الله ورسوله.. فإن كل عمل له جزاء من نوعه.. قانون لا يكسر...

ولا أدل على هذا القانون وهذه الحكمة البالغة.. من مجابهة الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله صحبه الأربعة عشر... لجيش بأكمله دفاعاً عن الرسول ودعوته والرسول يشاركهم بضراوة هذا القتال داعياً العلي القدير أن يكشف عنه وعن أصحابه هذه الغمة... انتصاراً لدين الله... فيأتي كشف الغمة بأن يرى أبو سيفان بأن يتجه نحو الغنائم ليجمعها من بين الجثث خيراً من أن يتجه نحو الرسول وصحبه.. ثم بعد يسرع الإمام على لاقتفاء أثره فيجده هو وقريش قد ركبوا إبلهم متوجهين نحو مكة.. سبحان الله.. لقد كان الطمع في الغنائم هو السبب في هزيمة المسلمين بعد انتصار في بداية الموقعة.. وكان الطمع في الغنائم أيضاً هو سبب إلهاء كفار مكة ومشركيها عن إكمال المعركة وكشف الغمة عن الرسول وصحبه... وكل ذلك يتم في إطار قانون العمل والجزاء.. أنها لحكمة بالغة تستخلصها النفوس وتتناقلها الألسنة والعقول عبر العصور والأجيال.

وانتهت موقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال.. فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشر ليلة مضت من شوال أمر الرسول الملهم والقائد الملهم بأن يؤذن في الناس بطلب العدو وتعقبه وذلك لإرهاب

أعدائه وليبلغهم أنه خرج في طلبهم، وأن الذي أصاب المسلمين لا يوهنهم عن عدوهم من جهة ولرفع الروح المعنوية لصحبه ورجاله من المهاجرين والأنصار... بأن يظل في وعيهم دائماً أن آخر عهدهم بالمعركة كان طلبهم لعدوهم وتعقبه..

يقول ابن إسحاق: (وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه ألاّ يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، قال: يا بني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول اله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو، وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم) 295/ صحيح السيرة / صحابة 1185.

ويقول: (فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي: فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة

نركبها ومالنا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحاً منه فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون) 295/ صحيح السيرة / صحابة 1186.

ويقول: (فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام).

ويقول: (وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين من كان منه يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته الحمد لله كثيراً لا شريك له).

* * *

الفصل الثالث:
موقعة الخندق

خـرج الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وصـحبه مـن موقعـة أحـد.. مستخلصين عبرها... وأصبح القتال في سبيل الله فـي عرفهم طريق واحد في صحراء يؤدي إما إلـى انتصـار دعوتهم ورسـالتهم، أو إلـى جنـة الله لا مكـان فيـه لمطـامع أو مغـانم دنيويـة.. ومـا كانـت أحد فيـه سوى محطة.. صحيح أنها أحرقت بدل أن تظل.. ولكنها وإن كانت أحرقت الجسد.. فقد ألهبت القلب وأعلت من درجة اشتعال الروح...

تحركت قريش وألبت القبائل واندفعت نحو المدينـة فـي عشرة آلاف بالإضافة إلى اليهود لكي تؤدب محمداً صلى الله عليه وسلم الذين لـم يكن يـزد جيشـه آنذاك علـى ثلاثـة آلاف وكـان هذا فـي شـوال لسـنة خمس هجرية (627م). وكان هذا الجيش الذي تحركه قريش أكبر جيش تحـرك علـى أرض الجزيـرة العربيـة فـي تاريخهـا وأخذ النبـي يغرق في الأفكـار.. أليس بشراً؟ وبدأ يستشير أصـحابه.. اتباعـاً لمـا أمره الله جلا وعلا به (وشاورهم في الأمر) فيما لم ينزل فيه وحي..

فتقدم لـه سلمان الفارسـي بفكرة جديدة لم تكن معروفـة فـي الجزيـرة آنذاك من قبل - وهي فكرة حفر خندق يحيط بالمدينـة يمنـع الجيش القادم من القدرة على المناورة أو الهجوم.. وليس هذا دليلاً علـى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتصرف تصرفاً بشرياً، ويأخذ بـآراء صحبه وأتباعه في فترات غيـاب الوحي عنـه فحسب، بـل هـو أيضـاً دليـل بـين علـى أن الله عـز وجـل يريـد مـن المسـلمين علـى مختلـف

أجناسهم وأعراقهم خاصة بعد انتقال رسولهم للرفيق الأعلى وانقطاع الوحي بموته وانتقاله - أن يكونوا جبهة واحدة قوية تعمل عقولها بالتشاور معاً لتجاوز أي عقبة وأي محنة تواجههم أو تواجه الدعوة لدينهم، وأن يعدوا لذلك كل ما استطاعوا من قوة، وأن تكون قوتهم جميعاً موجهة ضد هدف واحد هو عدو الله وعدوهم.. الذي يريد دحرهم والقضاء على دعوتهم إلى هذا الدين العظيم القيم..

ووافق الرسول وصحبه على فكرة حفر الخندق بعد تشاور وتمحيص لها - وسرعوا على الفور في تنفيذها.. وتروي لنا كتب السيرة أن العمل في حفر هذا الخندق استعداداً لهذه الموقعة كان مضنياً وشاقاً للغاية بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان... إذ لم يكن مع المسلمين عبيد يعملون لهم كما هي العادة في مكة - إذ كان إسلامهم قد حررهم ولم تكن الأقوات كافية لهذه السنة.. ويكفي أن نعلم أن النبي كان وهو يعمل في الحفر مع المسلمين كان يربط على بطنه حجراً للتغلب على الجوع... مشهد روحي رائع.. جيش يقاوم شدة الحرارة والجوع والعطش ويضرب بمعاوله في الأرض... يريد فتح طريق له في السماء... إن حالة المشاركة الجماعية هذه من أجل هدف واحد... لابد وأنها أدت إلى حالة روحية راقية طيبة.. تأمل في النصر الذي لا يأتي إلا من عند الله العلي القدير.. بعد استيعاب درس أحد... الذي برهن لهم على أنه عندما تترنم الأفئدة بعيداً عن مطامع الدنيا وشهواتها... وتتوافق العقول والأجسام في تواضع وإنكار للذات وتتوحد الأهداف في هدف واحد هو التضحية بالنفس من أجل المبدأ تأتي رحمة الله...

لقد قيل طبقاً لما تؤكده كتب السيرة أن صخرة ضخمة ذات صلابة

شديدة اعترضت سر الحفر فجاء الرجال إلى النبي يسألونه عما يفعلون بعد أن عجزوا جميعاً عن تحطيمها... فقام صلى الله عليه وسلم رغم ما كان يؤديه من عمل شاق ومرهق في الحفر وهوى عليها بمعوله عدة مرات فأمكنه أن يحطمها تدريجياً.. وهنا يعجب الإنسان... أكان صلى الله عليه وسلم أقوى بدنياً من كل هؤلاء أم في يده قوة روحية جبارة تعينه وقت الحاجة..

يقول علم الروح الحديث:

أن الوسطاء الروحيين... يمكن أن تعطيهم الروح قوة وقت الحاجة يستغلونها كيفما يشاءون في أعمال الخير.. فكيف بأعظم وسيط بين الأرض والسماء على وجه الأرض.. لقد أصبحت هذه الصخرة لينة أمام قوة الروح المنبعثة منه.. مثلما يصبح الحديد ليناً أمام النار...

وهذا يمكن تفسيره بأن ترتيب جزيئات الصخرة وخواصها الفيزيقية يمكن أن تتغير بحيث تقل صلابتها بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، في حين أنها قد تبدو صلبة أمام أعين صحبه وتابعيه الناظرين...

وهنا قد يثور التساؤل... لم لا تساعده هذه القوة الروحية أن تشعره دائماً بالشبع.. وهذا ما قد فعله أولياء أو وسطاء دون محمد صلى الله عليه وسلم شأنا ومكانة..

قص علينا الشيخ الدباغ في " الإبريز " حكاية عن سيدي منصور - كيف كان يبكي فقال له الشيخ: ما يبكيك، فقال: أي شيء أصلح له؟ إني أشاهد الآن فعل الله تعالى في حالة النسج فكنت أظن أني أصنع شيئاً فإذا غيري هو الذي يصنعه " فنجد هنا إذن أن الأرواح كانت

تشاركه في عمله وهو النسيج.

وهنا يبرز سمو ورقي وعظمة خلق محمد النبي الرسول... فلم يكن ليطلب العون في مثل هذه الأمور إلا للصالح العام أي من أجل الرسالة التي أرسل من أجلها أما شخصه ونفسه فلم تكن لديه هدف لطلب العون أبداً.. بل العكس كان يحلو له تحمل مشاق أكبر بكثير من التي يتحملها صحبه وتابعيه... ويحلو له الجوع معهم.. وإذا ما شبع يحلو له الشبع معهم.. ومن هنا كانت مكانة محمد صلى الله عليه وسلم... وجزاؤه الذي ينتظره في أعلى مراتب عالم الروح...

لقد أراد العلي القدير سبحانه وتعالى أن يهب الرسول هذه القوة الروحية الهائلة وأن يجري على يديه معجزات وآيات بينات بالإضافة إلى خلقه العظيم وتواضعه الجم ومشاركته فيما يقومون به... ليزداد إيمانهم وتوقيرهم ومحبتهم له...

قال ابن إسحاق:

(وكان في حفر الخندق أحاديث فيها عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون، فكان فيما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالله الذي بعثه بالحق نبياً لانهالت حتى عادت كالشيب، لا ترد فأساً ولا مسحاة..) 325 / صحيح السيرة / صحابة / 1351

وقال:

(وحدثني سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبد الله، قال: عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق، فكانت عندي شويهة (شاه صغيرة) غير جد سمينة، قال: فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأمرت امرأتي، فطحنت لنا شيئاً في شعير صنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قال: وكما نعمل فيها نهارنا، فإذا أمسينا إلى أهالينا قال: قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعت معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، قال: فلما أن قلت له ذلك قال: نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله، قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال: فأقبل رسول لله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه، وقال: نجلس وأخرجناها إليه: قال فبرك وسمي (الله)، ثم أكل، وتواردها الناس كلما فرغوا قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها) " 326 / صحيح السيرة / صحابة / 1353).

وقال ابن إسحاق:

(وحدثت عن سلمان أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت على صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، قال: ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به ثالثة فلمعت تحته برقة

أخرى، قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت: نعم، قال: " أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق: ". 326 / صحيح السيرة / صحابة / 1354.

وقال:

(وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالله الذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله سبحانه وتعالى صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك) 326 / صحيح السيرة / صحابة / 1355.

ولنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خندقه والجهد والعرق يتملكانه هو وصحبه، وكان صلى الله عليه وسلم كلما بذل من جهده دفعة نطقت شفتاه نبوءة، فإن الروح القدس يريه بالجلاء البصري البعيد أين تقع ضرباته، إنها لا تقع على جانب الصخر الذي أمامه بل على حوائط الوثنية وحصون العبودية في كل أنحاء الأرض... فها هو يقول:{الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله لأني أبصر قصورها الحمر الساعة} وفي المرة الثانية يقول:{الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن}.. وفي المرة الثالثة يقول:{والله أني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة... }.

نعم لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى حقيقة فإن الجلاء البصري البعيد يعمل كل هذا وبه يمكن للإنسان الذي منحه

العلي القدير هذه الموهبة أن يرى ذلك.. ولا يستبعد أيضاً أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذهب في شبه غيبوبة وهو يستجمع قوته لكسر الحجر وفي تلك الغفوة التي لم تتجاوز كسراً في الثانية رأى تلك الرؤيا السريعة ترسم بجلاء أمام بصيرته لتطمئنه على نجاح هذا المجهود وفاعلية هذا العرق والتعب
في المستقبل..

على أن كثرة عدد العدو وعدته واستعداد المسلمين على مواجهة هذه الكثرة بإيمان راسخ واجتهاد في الأسباب لم تؤد إلى الالتحام.. فلقد أراد العلي القدير تدبير أن يأتي النصر من عنده كافياً المؤمنين شر القتال... فلقد جلت قريش عن مواقعها بسبب عوامل خارجية عن إرادتها... فلقد اختلفت مع بني قريظة لأن هذه الأخيرة رفضت قتال الرسول صلى الله عليه وسلم في اليوم التالي الذي كان يوم سبت - كما اختلفت مع غطفان لأنها اتفقت مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يعطيها ثلث ثمار المدينة على ألا تشترك في القتال...

وفي نفس الليلة تهب ريح عاتية تحط من الروح المعنوية لقريش حتى قال في ذلك أبو سفيان: (يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم في دار مقام لقد هلك الكراع والخف، واخلفنا بنو قريظة، وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء... فارتحلوا إني مرتحل) وبذلك حملت قريش عصاها على كتفها ورحلت وجاء الصباح فإذا العدو قد جلي وكفى الله المؤمنين شر القتال.

وكانت فرحة المسلمين بجلاء عدوهم راجعاً ليقينهم بتأييد الله تبارك وتعالى لهم... سواء بتدبير الفرقة بين حلف الشرك والكفر ومن

يساندونه للقضاء على الدعوة المحمدية لعبادة الله الواحد الأحد الديان واتباع شرعته الوضاءة.. أو بإرسال ريحاً شديدة عاتية على معسكر الكفر والشرك... حتى أن بعضهم لم يكن يستطيع أن يرى البعض الآخر... أو يتمكن من ربط خيامه وخيله.. أو إبقاء نار للرؤية...

والطبيعة سلاح بتار... فقد أهلك الله عادا بالريح من قبل.. وأهلك نوحا بالطوفان.. كما قد تغيرت صفحات من التاريخ بذلك السلاح.. فقد انهزم نابليون عندما اشتد شتاء روسيا القارص... وانهزم مرة أخرى في موقعة واترلو بعد سويعات من سقوط مطر شديد... وانسحب الإنجليز من دنكرك بسبب الضباب يومذاك... إذن ليست الطبيعة سلاحًا يستخدمه العلي القدير للهلاك فحسب بل أيضاً لترجيح كفة على كفة وللعلي القدير حكمة في ذلك كله قد لا تفهمها البشرية إلا بعد حين.

جلت قريش وعادت إلى مكة وانصرف اليهود إلى قراهم وحصونهم وعاد المسلمون إلى المدينة، ولكن جبريل عليه السلام لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم عند وصوله إليها.. وفي هذا تقول السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنه عندما انتهت المعركة ورجع الرسول إلى بيته " وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعته فقال الرسول فأين؟ قال ها هنا وأومأ إلى بني قريظة).

وكان يهود بني قريظة أقوياء ومدججين بالسلاح.. وفي وسعهم أن يهجموا على المسلمين بغتة كعادتهم.. لكراهيتهم الشديدة للرسول صلى الله عليه وسلم ولدعوته وللمسلمين.. لأنهم كانوا لا يتوقعون أن تنقطع النبوة في بني إسرائيل.. وكانوا ينتظرون أن تكون النبوة في

هذا الزمان وهذا المكان منهم لا من العرب وكانوا يعدون أنفسهم لذلك ويتوعدون العرب بهذا النبي القادم منهم... مما ولد في نفوسهم هذا العداء الشديد وهذه الكراهية المقيتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولدعوته... وحاولوا قتله عدة مرات.. رغم أن وصفه مكتوب وبوضوح تام لديهم في كتابهم...

والمسلمون، وضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني الزهري... معتمرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل:{فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم}، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس:{من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة} واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام. " 331 / صحيح السيرة / صحابة 1377/ ".

وقال ابن إسحاق:

(وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم - حين رجعت عنهم قريش وغطفان.. وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما

ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وإنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين!!؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة سبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها أنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة في الدهر حازماً..) " 331 / صحيح السيرة / صحابة / 1380 ".

وقال:

(ثم أنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن تنزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه، أنه الذبح: قال: أبو لبابة فوالله مازالت قدماي من

مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق أبو لبابة عن وجهه، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت، وأعاهد الله ألا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أحد..) " 322 / صحيح السيرة / صحابة / 1281 ".

وقال:

(فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {قوموا إلى سيدكم} فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار وأما: الأنصار فيقولون: قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم قال سعد: " فأني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء " 332/صحيح السيرة/ صحابة/1388.

وقال:

(فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن

سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد:{**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**} 332/صحيح السيرة / صحابة /1389.

وقال:

(وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة في القرآن والقصة في سورة الأحزاب، ويذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج الله ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق (33: 9){ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩} [الأحزاب: ٩]، والجنود: قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة، يقول الله تعالى:

{ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠} [الأحزاب: ١٠].

والذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءهم من أسفل منهم قريش وغطفان، ويقول الله تعالى:

{ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢} [الأحزاب: ١١ - ١٢]، لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال:{ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣} [الأحزاب: ١٣]، لقول أوس بن قيظي ومن كان على مثل رأيه من قومه:{ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا} [الأحزاب: ١٤]، أي المدينة.. وقال ابن هشام الأقطار: الجوانب

وواحدها قطر...

{ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ} [الأحزاب: ١٤]، أي: الرجوع إلى الشرك {لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾} [الأحزاب: ١٤ - ١٥]، فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودا لمثلها أبداً فذكرهم الله الذين أعطوا من أنفسهم ثم قال تعالى:{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ} [الأحزاب: ١٦ - ١٨]، أي: أهل النفاق{وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب: ١٨]، أي:

إلا دفعا وتعذيرا{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} [الأحزاب: ١٩]، أي: للضغن الذي في أنفسهم{فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ} [الأحزاب: ١٩]، أي إعظاماً له وفرقاً منه{فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} [الأحزاب: ١٩]، أي: في القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم خشية فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجوا ما بعده{ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟} [الأحزاب: ٢٠] قريش وغطفان{وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب: ٢٠]، ثم أقبل على المؤمنين فقال:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ} [الممتحنة: ٦]، أي: لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به، ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله

من البلاء ليختبروا به فقال:{وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾} [الأحزاب: ٢٢]، أي صبرا على البلاء وتسليماً للقضاء وتصديقاً للحق لما كان وعدهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى:{مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ} [الأحزاب: ٢٣] أي فرغ من عمله ورجع إلى ربه (كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد) 334، 335 / صحيح السيرة / صحابة / 1399، 1400، 1401 (ومنهم من ينتظر) أي ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ويقول الله تعالى:
{وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]، أي: ما شكو وما ترددوا في دينهم وما استبدلوا به غيره{لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ} [الأحزاب: ٢٤ - ٢٥]. أي: قريشاً وغطفان{لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ} [الأحزاب: ٢٥ - ٢٦]، أي: بني قريظة (من صياصهم) والصياصي: الحصون والأصنام التي كانوا فيها. " 336 / صحيح السيرة /
صحابة / 1404.

وقال ابن إسحاق:

{وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا}[الأحزاب: ٢٦]، أي: قتل الرجال وسبي الذراري والنساء{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا} [الأحزاب: ٢٧]، يعنى: خيبر{وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب: ٢٧]، 337 / صحيح السيرة / صحابة /

.1405

وهكذا انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه جند الله لإعلاء كلمة الحق على تحالف قوي الكفر والشرك والوثنية ومن ظاهروهم من اليهود حقداً وكراهية وكيداً للرسول ودعوته لدحر الباطل وعبادة الأوثان وبالانتقال إلى عبادة الواحد الأحد الديان.. واتباع شريعته الوضاءة الخالصة البيان.. وليؤكدوا لمن بعدهم من التابعين أن من قواعد الناموس الأبدية الخالدة:

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} [الحج: ٣٨].

قال تعالى:{ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ } [الأنفال: ٤٠].

قال تعالى:{وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧٣].

ولقد حدثت بعد هذه غزوتان هما غزوة بني لحيان وغزوة بني المصطلق التي حدث أثناءها حديث الإفك ثم فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في الذهاب لزيارة موطنه الأصلي مكة التي طالما صدته وصدت المسلمين عنها قريش الباغية التي وصفها الله تبارك وتعالى عقب موقعة بدر بقوله:

قال تعالى:{وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾} [الأنفال: ٣٤].

* * *

الفصل الرابع:
صلح الحديبية

وفي شهر ذي القعدة أحد الأشهر الحرم من السنة السادسة الهجرية جمع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين وتوجه نحو مكة لغرض الحج - ولكن قريشًا أساءت فهم قصده فظنت أنه جاء لمحاربتها. وأراد المسلمون أيضاً الاندفاع لقتالها.. إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أبى بشدة فقد كانت في مخيلته فكرة السلم لا غير. وبركت به ناقته القصواء عند المكان المعروف بالحديبية وأبت إلا تواصل السير كإشارة على أن أوان فتح مكة لم يحن بعد.. فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل حرب، إلا إذا ألجأته الضرورة القصوى إلى ذلك، وبإذن من الله عز وجل دفاعاً عن دعوته إلى دين الله وحمايتها من بطش الجبابرة والطغاة أو كيد الأفاقين والمنافقين المتربصين لها... ولكنه صلى الله عليه وسلم على أية حال، وفي كل الأحوال لا يقدم على حرب مهما كانت الظروف... ومهما ضغط عليه أصحابه المقربون وتابعوه بحججهم التي تبدو مقبولة بذلك إلا إذا أذن له الله عز وجل بهذه الحرب آمراً إياه بما يتبعه..

قال ابن إسحاق:

(قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا له: ائت محمدًا فصالحه ولا يكن في صلحه، إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أن دخلها علينا عنوة أبداً فآتاه سهيل بن عمرو، فلما

رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال: " لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل " فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم، فأطال الكلام، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح. فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟.

قال:**{أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني}**.

قال: فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (مازلت أتصدق وأصوم واصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً) 359 / صحيح السيرة / صحابة / 1518.

وقال: (ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب قال تعالى قال فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر. قال: فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت إنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك، واسم أبيك، قال فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، ويأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب والسيوف في القرب لا تدخلها بغيرها ".

وقال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً في الحل، وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه... فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق، تواثبوا ينحرون ويحلقون " (361 / صحيح السيرة / صاحبة / 1522).

ولاشك في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اضطرب بعض الشيء لاضطراب أصحابه الشديد الذين خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم يدركوا آنذاك أنه إذا أتى أمر الله فإنه لا يجوز استعجاله لأنه لا يحدث، إلا في أوانه، حتى إذا حددت الرؤيا الصادقة مكانه، وإن كان عذرهم في ذلك شدة حبهم لله ورسوله وإخلاصهم لدعوته في إعلاء كلمة الحق، وإزهاق الباطل، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون.. خاصة لما رأى سهيل ابن عمرو ابنه أبا جندل جاء ليشهر إسلامه بعد توقيع الصلح، فقام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه ثم قال:

" يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدقت، فأخذ سهيل ينتر بتلبيب أبي جندل ويجره ليرده إلى قريش وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتونني في ديني؟ فزاد ذلك صحابة الرسول وتابعيه إلى ما بهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم}**.

موقف صعب ورهيب.. أليس بشراً يتبع ما يوحى إليه من العلي القدير عز وجل.. ولا يملك من الأمر آنئذ إلا الاتجاه بالصلاة والدعاء إلى مرسله وخالقه العظيم تبارك وتعالى ليطمئن قلبه ويثبته... ويرشده إلى ماذا يفعل... وإلى الصراط القويم الذي يريده جل وعلا... وكم من أدعية وصلوات توجه بها الأنبياء والرسل والصالحون... إلى الله عز وجل فغيرت صفحات التاريخ.

قام صلوات الله وسلامه عليه من صلاته فنحر وحلق وتواثب على إثر ذلك الصحابة والتابعون ينحرون ويحلقون.. ثم انصرف صلوات الله عليه ومن معه للعودة إلى المدينة.

إذن لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشرى ما يطمئن

قلبه ويثبت فؤاده وييسر روحه ويتوجب عليه فعله.

يقول ابن إسحاق: قال الزهري في حديثه: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح:

قال تعالى:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾} [الفتح: ١ - ٤].

ثم كانت القصة فيه، وفي أصحابه حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [الفتح: ١٠].

ثم ذكر من تخلف من الأعراب، ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فأبطؤوا عليه:

{ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا } [الفتح: ١١].

ثم القصة عن خبرهم حتى انتهى إلى قوله تعالى:

{ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾} [الفتح: ١٥].

ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد (361 / صحيح السيرة / صحابة /1525).

وقال: ثم قال الله تعالى:{لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾} [الفتح: ١٨ - ٢١].

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال بعد الظفر منه بهم، يعني النفر الذي أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى:{وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الفتح: ٢٤].

ثم قال تعالى:{هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ} [الفتح: ٢٥].

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس (362 / صحيح السيرة / صحابة / 1528، 1529).

وقال تعالى:{وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الفتح: ٢٥]. والمعرة: الغرم أي: أن تصيبوا منهم (معرة) بغير علم فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يخشه عليهم.

وقال: ثم قال تعالى:{إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ} [الفتح: ٢٦]، يعني سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب

قال تعالى، وأن محمدًا رسول الله، ثم قال تعالى:{فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} [الفتح: ٢٦]. أي التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى:{لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟} [الفتح: ٢٧].

أي: لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة أمناً لا يخاف ويقول:{مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]. أي صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه فتحاً إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف " (263 / صحيح السيرة / صحابة).

وهكذا أطمأنت قلوب المؤمنين.. وازداد يقينهم بأن ما يراه رسول الله صدق لا مراء فيه وأن ما يتبعه من رؤى صادقة ووحي.. يفوق

بكثير في حكمته ما لا تستطيع عقولهم وإدراكاتهم جميعاً أن تحيط به إلا بعد حين.. حين يتبين لـه حكمتـه ونفعـه.. وأن مـا أتـى من أمـر لا يقـع إلا فـي أوان وحـين يريـده هـو عـز وجـل ولحكمـة بالغـة يعلمهـا تبارك وتعالى.. وقد تقع أحداث قد تبدو غير مقبولـة لـدى المسلمين ولكن بعد حين.. قد نجد وراء هذه الأحداث.. وبسببها فتحاً كبيراً.. فتحـاً للعقـول.. سـواء للمسلمين أو لغيـرهم لتـزداد قنـاعتهم وإيمـانهم بـإدراكهم لهـذا الـدين العظـيم القـيم فـتح لا يقـل عـن فـتح الأمـاكن المقدسة.. بل هو الطريق القويم، الممهد بالاطمئنـان والثقـة والإيمـان لفتح الأماكن المقدسة.. فتح أمام الأمة الإسلامية بعصـورها وأجيالهـا لتستخلص منه العبر والمواعظ والتي نرى من أهمهـا:

- الاعتمـاد والتوكـل علـى الله عـز وجـل بكـل مـا يحملـه ذلـك مـن معنـى وتفـويض المسـلم لـه جـل وعـلا تفويضـاً كـاملاً فـي كـل أمـر مـن أموره.

- الطاعة الكاملة لله عز وجل وبما أمر به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم دون جدال أو مواربة.

- اجتهاد المسلم في الأسباب الذي كلفه الله عز وجل به بكل ما في وسعه.

- عدم استعجال أمر الله فإن ما أتى من أمر الله لا يقع إلا حين يريده هو جل وعلا أن يقع وأين يقع لحكمـة بالغـة لا يعلمهـا إلا هو جل ثناؤه.

- الرضا بقضاء الله وقدره وللتسليم به تسليما مطلقاً.

وبعد عام من صلح الحديبيـة أخذ الرسول صلى الله عليـه وسلم

حوالي ألفين من المسلمين الذين يريدون زيارة مكة بعد غيبة سبع سنوات عنها وتوجه إليها.. وعندما دخلوا جلت قريش عنها واعتصمت بالجبال حتى طاف الرسول صلى الله عليه وسلم بالكعبة.. وانتهت الزيارة التي تعرف بعمرة القضاء بإسلام ثلاثة من أهم رجالات مكة ألا وهم: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.. ثم خرج المسلمون عائدين إلى المدينة.

* * *

الفصل الخامس:
غزوة مؤتـة

وبعد عودة المسلمين من مكة اضطرتهم الظروف لمقاتلة الروم في معركة مؤتة رداً لأطماعهم في الجزيرة العربية.. والاستيلاء عليها ومنع انتشار دين الله فيها.. فلقد كان الروم بإمبراطوريتهم العتيدة، قد بدؤوا يوجسون من الإسلام خيفة.. بل صاروا يرون فيه خطراً يهدد وجودهم، ولاسيما في بلاد الشام التي يستعمرونها، والتي تتاخم بلاد هذا الدين الجديد المنطلق في عنفوان واكتساح.. وهكذا راحوا يتخذون من الشام نقطة وثوب على الجزيرة العربية وبلاد الإسلام..

ولقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدف هذه المناوشات التي بدأها الروم ليعجموا بها عود الإسلام فقرر أن يبادرهم، ويقنعهم بتصميم الإسلام والمسلمين على غلبة دين الله الواحد الأحد القهار..

قال ابن إسحاق: " حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادي الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: " إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكي، فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا ولاصبابة بكم، ولكني

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا } [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين " (390 / صحيح
السيرة / صحابة / 1622).

وخرج الجيش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعه حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم.. مضي الجيش حتى نزل معانَ من أرض الشام.. فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف مقاتل من الروم، وانضم إليهم مائة ألف مقاتل آخرين من لخم وجذام واليقين وبهراء عليهم رجل من بلى، يقال له: مالك بن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم.. وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: " يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة فقال المسلمون: قد والله صدق ابن رواحة ومضوا للجهاد.

قال ابن إسحاق:

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون

فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عزرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عبادة بن مالك.. ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم فرس له شقراء فعقرها.. ثم قاتل القوم حتى قتل.. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

وقال ابن إسحاق:

وحدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني.. وكان أحد بني مرة بن عوف.. فكان في تلك الغزوة، غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها فقاتل حتى قتل وهو يقول:

يـــا حبـــذا الجنـــة واقترابهـــــا ::: طيبـــــة وبـــــاردا شـــــرابها

والـــروم روم قـــد دنـــا عـــذابها ::: كـــــافرة بعيـــــدة أنســـــابها

على إذ لاقيتها ضرابهـــا

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه.. فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يـــا نفـــس لتنزلنـــه ::: لـــــتنزلن أو لتكرهنـــــــه

إن أجلب الناس وشـــدوا الرنـــة ::: مـــالي أراك تكـــرهين الجنـــة

قد طالما قـــد كنـــت مطمئنـــة ::: هـــل أنـــت إلا نطفـــة في شـــنه

وقال أيضاً:

يـــا نفـــس إلا تقتلـــي تمـــوتي ::: هذا حمام المـــوت قـــد صـــليت

وهو يقصد صاحبيه زيداً وجعفراً ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بها صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس.

وقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان فقال:
يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاش بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس، (392 / صحيح السيرة / صحابة 1632).

انسحب خالد بن الوليد بجيش المسلمين.. فقد أيقن أن المعركة غير متكافئة على أية حال.. وأن هزيمة جيوش الروم المدججة بالسلاح ومعهم قبائل العرب المنضمين إليهم ويناهز عددهم ربع مليون مقاتل من جيش المسلمين الذي يقارب عددهم ثلاثة آلاف مقاتل.. أمر شبه مستحيل مهما كانت بطولات المسلمين في هذه الغزوة التي أذهلت الروم وأوقعت فيهم خسائر فادحة تعادل عشرات أضعاف ما وقع بالمسلمين... كما أيقن أن الرسالة التي كان يريدها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تصل للروم قد وصلت.. وأن ما رأوه من بسالة المسلمين في الدفاع عن دينهم وأرضهم ومقدساتهم بأبدانهم وأرواحهم.. قد حقق رد مطامعهم في أرض العرب أو منع هذا الدين لذا فقد رأى خالد أن إنهاء المعركة والعودة بجيش المسلمين.. هو

أصوب الحلول وأنه لا داع من قتال نتائجه غير مؤكدة لصالح المسلمين.. بل هي أقرب للخسارة منها إلى الكسب.. مهما كان أداء المسلمين الرائع وبطولاتهم الخارقة.. ومع ذلك لم يسلم خالد بن الوليد والجيش المنسحب من النقد
اللاذع من المسلمين في المدينة ومن الاتهام بالفرار والتخاذل.. إلى أن تدخل الرسول صلى الله عليه وسلم شخصياً في هذا الأمر..
ووافق على ما قام به خالد بن الوليد.

ولنعد إلى ما حدث في مؤتة من مشاهد.. وهي تبعد عن المدينة بمئات الكيلو مترات.. فهل كانت تلك المشاهد غائبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يأتيه خبرها في المدينة.. وهو رسول آخر الزمان والنبي الخاتم.. الذي حمله خالقه العظيم أعظم الرسالات على وجه الأرض.. فأودع فيه من المواهب الروحية وأسرارها مجتمعة ما لم يودعه في بشر آخر مصطفياً إياه على العالمين بنشر هذه الرسالة التي كمل بها الدين وتمت بها النعمة على البشرية جمعاء والعالمين...

لقد نقل صلوات الله وسلامه عليه في ذات يوم مؤتة ما رآه من مشاهد واصفاً إياها بدقة تفوق وصف من حضرها وشارك فيها وحتى في صمته صلوات الله وسلامه عليه قليلاً وهو يصف أحد المشاهد يكون وراء هذا الصمت معنى..

قال ابن إسحاق:

" ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى**

قتل شـهيداً.. } قـال: صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا الصمت هنا يعني بعض التردد الذي أصاب عبد الله بن رواحة بعد استلام الراية، ومقدمه على الاستشهاد حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بن رواحه بعض ما يكرهون ثم قال صلى الله عليه وسلم :{**ثم أخذها عبد الله بن رواحة بها فقاتل حتى قتل شهيداً..** } (392 / صحيح السيرة / صحابة / 1633)

وفي ذات اليوم يتوجه إلى عائلة ابن عمه جعفر ليعزيها في فقيدهم باعتبار أن ما رآه صلوات الله وسلامه عليه كان يقيناً.

قـال ابـن إسـحاق: فحـدثني عبـد الله بـن أبـي بكـر، عـن أم عيسـى الخزاعية، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدتها أسماء ابنة عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دبغت أربعين منا وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**ائتني ببني جعفر**}، قالت: فأتيته بهم، فتشمم وذرفت عيناه، فقلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك... أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال:{**نعم أصيبوا هذا اليوم**} قالت: فقمت أصيح واجتمع إلى النساء، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فقال:{**لا تغفلوا عن آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**} (392/صحيح السيرة/صحابة/1624).

ولابد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى يوم مؤتة أرض المعركة.. يرى رجاله من المسلمين وقد أقدموا، ولم يبالوا لمواجهة جيش الروم الذي حزروه بأكثر من مائتي ألف مقاتل.. ولكن متى كانت معارك الإيمان معارك كثرة..؟ أقدموا ولم يبالوا.. وأمامهم

قائدهم " وحبه " زيد حاملاً الراية مقتحماً رماح العدو ونباله وسيوفه، لا يبحث عن النصر، بقدر ما يبحث عن المضجع الذي ترسو عنده صفقته مع الله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.. لم يكن " زيد " يرى حواليه رمال البلقاء، ولا جيوش الروم، بل كانت روابي الجنة ورفرفها الخضر تخفق أمام عينيه كالأعلام، تنبئه أن اليوم يوم زفافه.. وكان هو ومن معه من المسلمين وهم يضربون ويقاتلون، لا يطوحون برؤوس مقاتليهم فحسب، إنما يفتحون الأبواب، ويفضون الإغلاق التي تحول بينهم وبين الباب الكبير الواسع الذي، سيدلفون منه إلى دار السلام وجنات الخلد، وجوار الله جلا وعلا..

ولابد أن رآه صلوات الله وسلامه عليه وهو يعانق مصيره.. وروحه وهي في طريقها إلى الجنة تبتسم محبورة وهي تبصر جثمان صاحبها، لا يلفه الحرير الناعم أو يعظمه حراس الدنيا.. بل يضمخه دم طهور سال في سبيل الله.. ولابد أن دار في تلك اللحظات على خاطره صلوات الله وسلامه عليه شريط الذكريات.. أليس بشراً.. إنه " زيد " ذلك الطفل الذي سبي، ثم بيع، وأهدته زوجته الحبيبة خديجة فحرره وأعتقه ورباه واتخذه ابناً قبل البعثة.. وأحبه صلى الله عليه وسلم حباً عظيماً، وكان بهذا الحب خليقاً وجديراً.. فوفاؤه الذي لا نظير له، وعظمة روحه وعفة ضميره ولسانه ويده.. وكل ذلك وأكثر من ذلك،كان يزين خصال " زيد " الحب.. كما كان يلقبه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.. إنه ذلك الرجل القصير الأسمر، الأفطس الأنف.. بيد أنه أيضاً ذلك الإنسان الذي قلبه جميع " وروحه حر ".. ومن ثم وجد له في الإسلام، وفي قلب رسول

صلى الله عليه وسلم أعلى منزلة، وأرفع مكانة، فلا الإسلام ولا رسوله من يعبأ لحظة بجاه النسب، ولا بوجاهة المظهر.. ففي رحاب هذا الدين العظيم، يتألق " بلال " ويتألق " صهيب " ويتألق " عمار " و " خباب " و " أسامة " و " زيد ".. يتألقون جميعاً كأبرار، وقادة.. لقد صحح الإسلام قيم الحياة حين قال كتابه الكريم:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣]، وفتح الأبواب والرحاب للمواهب الخيرة وللكفايات الأمينة المعطية.

ولابد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى ابتسامة روح زيد المطمئنة الهادئة وهي تتسع عندما أبصرت ثاني الأمراء " جعفرا " يندفع كالسهم صوب الراية ليتسلمها، قبل أن تغيب في التراب.. فما كادت الراية توشك على السقوط من يمين " زيد " حتى تلقاها " جعفر " باليمين.. ومضى يقاتل بها في إقدام خارق.. إقدام رجل يبحث عن الشهادة.. فتكاثر عليه وحوله مقاتلو الروم، ورأى فرسه تعوق حركته فاقتحم عنها فنزل.. وراح رجاله يصوبون سيوفهم ويسددونها إلى نحور أعدائهم، كنقمة القدر.. ولمح واحداً من الأعداء يقترب من فرسه ليعلو ظهرها، فعزت عليه أن يمتطي صهوتها هذا الرجس، فبسط نحوها سيفه وعقرها.. وانطلق وسط صفوف الروم المتكالبة عليه يدمدم كالإعصار.. وصوته يتعالى بهذا الرجز المتوهج:

يا حبذا الجنة واقترابها ::: طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ::: كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها

وأدرك مقاتلو الروم مقدرة هذا الرجل يقاتل، وكأنه جيش لجب.. فأحاطوا به في إصرار مجنون على قتله.. وحاصروه حصاراً لا منفذ فيه لنجاة.. وضربوا بالسيوف يمينه، وقبل أن تسقط الراية منها على الأرض تلقاها بشماله.. وضربوها هي الأخرى فاحتضن الراية بعضديه.. ففي هذه اللحظة تركزت كل مسؤوليته في ألا يدع الراية تلامس التراب وهو حي.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر:

" كنت مع جعفر في غزوة مؤتة فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية ".

ومع هذا فهل نال القتلة من روحه ومن مصيره منالاً.. أبداً، فما كانت سيوفهم ورماحهم سوى جسر عبر عليه الشهيد المجيد طائراً إلى جوار ربه الرحيم الأعلى حيث نزل في رحابه مكاناً علياً..

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان يلقبه بذي الجناحين.. وإذ قال صلى الله عليه وسلم: " لقد رأيته في الجنة.. له جناحان مضرجان بالدماء.. مصبوغ القوادم ".

ويدور في خلده صلوات الله وسلامه عليه أيضاً شريط الذكريات ماراً أمام عينيه.. إنه جعفر الذي يتميز بجلال شبابه ونضرة إهابه.. وأناته وحلمه.. وبره وتواضعه وتقاه.. وطهره وعفته.. وصدقه وأمانته وشجاعته التي لا تعرف الخوف.. وجوده الذي لا يخاف الفقر.. إنه جعفر أشبه الناس بالرسول خلقاً، وخلقاً.. إنه من كناه الرسول صلى الله عليه وسلم بـ " أبي المساكين " ولقبه بـ " ذي الجناحين " عظيم من عظماء الرعيل الأول الذي أسهموا في صوغ ضمير الحياة..

أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم مسلماً.. آخذاً مكانه العالي بين المؤمنين المبكرين.. وأسلمت معه في نفس اليوم زوجته.. أسماء بنت عميس، وحملاً نصيبيهما من الاضطهاد في شجاعة وغبطة..

فلما اختار الرسول لأصحابه الهجرة إلى الحبشة، خرج جعفر وزوجته حيث لبثا بها بضع سنين رزقا خلالها بأولادهما الثلاثة: محمد، عبد الله، وعوف.. وفي الحبشة كان " جعفر بن أبي طالب " المتحدث اللبق، الموفق باسم الإسلام ورسوله..

ذلك أن الله أنعم عليه فيما أنعم، بذكاء القلب، وإشراق العقل وفطنة النفس، وفصاحة اللسان.

ولئن كان يوم " مؤتة " الذي قاتل فيه قتالاً منقطع النظير حتى استشهد.. أروع أيامه، وأمجدها وأخلدها.. فإن يوم " المحاورة " التي أجراها أمام النجاشي بالحبشة، لا يقل روعة، ولا بهاء، ولا مجداً.. لقد كان يوماً فذاً، ومشهداً عجباً..

وذلك أن قريشاً لم يكن يهدئ من ثورتها، أو يذهب من غيظها هجرة المسلمين إلى الحبشة، بل خشيت أن يقوى هناك بأسهم ويتكاثر جمعهم.. هنالك قرر سادتها إرسال مبعوثين إلى النجاشي يحملان هدايا قريش النفيسة، ويحملان رجاءها في أن يخرج من بلاده هؤلاء الذين جاءوا إليها لائذين ومستجيرين.. وكان هذان المبعوثان عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة.. قبل إسلامهما.

وكان " النجاشي " الذي كان يجلس يومئذٍ على عرش الحبشة رجلاً يحمل إيماناً مستنيراً في قرارة نفسه ويعتنق مسيحية صافية واعية، بعيدة عن الانحراف والتعصب والانغلاق، وكانت سيرته العادلة

تنشر عبيرها في أي مكان تبلغه..

من أجل هذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم مُلهمًا.. بلاده دار هجرة لأصحابه.. ومن أجل هذا خافت قريش ألا تبلغ لديه ما تريد.. فحملت مبعوثيها هدايا ضخمة للأساقفة، وكبار رجال الكنيسة هناك، وأوصى زعماء قريش مبعوثيهم ألا يقابلا النجاشي حتى يعطيا الهدايا للبطارقة أولاً، وحتى يقنعاهم بوجهة نظرهما ليكونوا لهما عوناً عند النجاشي.. ونفذ المبعوثان بحنكة الدهاء ما رسم لهما ومضيا يوغران صدور القساوسة والأساقفة ضد المسلمين المهاجرين.. ويستنجدان بهم، لحمل النجاشي على إخراجهم من بلاده..

وحددا يوم يلقيان فيه النجاشي، ويواجهان بين يديه خصوم قريش الذين تلاحقهم بكيدها وأذاها.. وفي وقار مهيب، وتواضع جليل، جلس " النجاشي " على كرسيه العالي، يحفه الأساقفة ورجال الحاشية، وجلس أمامه في البهو الفسيح المسلمون المهاجرون، تغشاهم سكينة الله، وتظلهم رحمته..

ووقف مبعوثا قريش يكرران الاتهام الذي سبق أن ردداه أمام النجاشي حين أذن لهما بمقابلة خاصة قبل هذا الاجتماع الحاشد الكبير..

فقال عمرو بن العاص أحد دهاه العرب آنذاك " قبل إسلامه ":

(أيها الملك.. إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، بل جاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم،

وعشائرهم لتردهم إليهم).

وولى النجاشي وجهه شطر المسلمين، ملقياً عليهم سؤاله:

" وما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، واستغنيتم عن ديننا؟ "

ونهض " جعفر " قائماً ليؤدي المهمة التي كان المسلمون المهاجرون قد اختاروه لها إبان تشاورهم قبل مجيئهم إلى هذا الاجتماع، نهض في تؤدة وجلال، وألقى نظرات المودة والمحبة على الملك الذي أحسن جوارهم.. قائلاً:

(أيها الملك.. كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.. حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه.. فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان.. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء.. ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاءه من ربه، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فغدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، وإلى ما كنا عليه من الخبائث.. فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك..).

ألقي " جعفر " رضوان الله عليه بهذه الكلمات المضيئة ضوء الفجر.. فملأت نفس النجاشي إحساساً بالسكينة والاطمئنان الروعة..

والتفت إلى " جعفر " وسألـه: " هل معك مما أنزل على رسولكم شيء؟، فقال رضى الله عنه وأرضاه: نعم.. فقال النجاشي: فاقرأ على ومضى جعفر يتلو آيات من سورة مريم، في أداء عذب وخشوع آسر.. فبكي النجاشي.. وبكي معه أساقفته جميعاً.. ولما كفكف دموعه.. التفت إلى مبعوثي قريش قائلاً:

(والله إن هذا والذي جاء به المسيح،، ليخرج من مشكاة واحدة.. انطلقا فلا والله، لا أسلمهم إليكما).

انفض الجمع وقد نصر الله عز وجل عباده وآزرهم.. لكن عمرو ابن العاص.. داهية العرب لم يرد آنذاك أن يمتثل للحق والحقيقة.. أو أن يتجرع الهزيمة بشرف.. فلم يكد يعود مع صاحبه عبد الله بن أبي ربيعة إلى نزلهما حتى ذهب يفكر ويدبر ويمكر حتى قال لصاحبه:

(والله لأرجعن للنجاشي غداً ولآتينه عنهم بما يستأصل خضواهم، فوالله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبداً كبقية العباد).

هذه إذن هي المكيدة الجديدة.. والمكر في أوج شره.. من داهية العرب الذي لم يكن الله جل وعلا قد هداه للإسلام بعد.. كي يلجئهم إلى الزاوية الحادة، ويضعهم بين شقي الرحى، فإن هم قالوا: إن المسيح عبد من عباد الله، حركوا ضدهم إضغان الملك والأساقفة.. وإن هم تفوا عنه البشرية خرجوا من دينهم.

وفي الغداة غدا عمرو وصاحبه السير إلى مقابلة الملك وقال له عمرو:

" يا أيها الملك: أنهم ليقولون في عيسى قولاً عظيماً " واضطرب الأساقفة.. واهتاجتهم هذه العبارة الماكرة القصيرة.. ونادوا بدعوة

المسلمين مرة أخرى لسؤالهم عن موقف دينهم من المسيح.. وعلم المسلمون بالمؤامرة الجديدة، فجلسوا يتشاورون.. واتفقوا على أن يقولوا الحق الذي سمعوه من نبيهم عليه الصلاة والسلام، لا يحيدون عنه قيد شعرة، وليكن ما يكون.

وانعقد الاجتماع.. وبدأ النجاشي الحديث مرة أخرى سائلاً جعفرًا رضوان الله عليه: " ماذا تقولون عن المسيح؟ ".

فنهض جعفر كالمنار المضيء وقال:

نقول فيه ما جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: وهو عبد الله ورسوله... وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه كلمات موجزة جامعة بليغة حاسمة.. يصعب إنكارها أو الاعتراض عليها من عقل مستنير وقلب مفعم بالإيمان فهتف النجاشي مصدقاً ومعلناً أن هذا هو ما قاله المسيح عن نفسه.. وإن كان بعض من حضروا من الأساقفة قد ضج بما يشبه النكير..

ومضى النجاشي المستنير المؤمن يتابع حديثه للمسلمين قائلاً:

" اذهبوا، فأنتم آمنون بأرضي، ومن سبكم أو أذاكم فعليه غرم ما يفعل ".

ثم التفت صوب حاشيته. وقال وسبابته تشير إلى مبعوثي قريش: " ردوا عليهم هداياهم، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله من الرشوة حين رد على ملكي، فأخذ الرشوة فيه ".

وخرج داهية قريش وصاحبه مخذولين، حين وليا وجههما من فورهما شطر مكة عائدين إليها.

وفي رأينا أن ما حدث في تلك الحوارات وما تلي من آيات قرآنية كريمة.. وتعريف بهذا الدين العظيم القيم.. كان له أكبر الأثر على عمرو وصاحبه.. في إعمال العقل والضمير ومراجعة النفس.. والتعجيل بإشهار إسلامهما فيما بعد.

وخرج المسلمون بزعامة " جعفر " من عند النجاشي فور هذين الاجتماعيين التاريخيين ليستأنفوا حياتهم في الحبشة لابثين فيها كما قالوا " بخير دار مع خير جار " حتى أذن الله لهم بالعودة إلى رسول الله وإخوانهم وديارهم.. وكان ذلك بعد فتح خيبر وقبل غزوة مؤتة.. إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفل مع المسلمين بفتح " خيبر " حين طلع عليهم جعفر قادماً من الحبشة ومعه من كانوا لا يزالون بالحبشة من المهاجرين.. فعانقه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: لا أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر.. أم بقدوم جعفر.

وركب جعفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى مكة، حيث اعتمروا عمرة القضاء، وعادوا إلى المدينة وقد امتلأت نفس " جعفر " روعة بما سمع من أنباء أخوة الإيمان الذين خاضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر وأحد.. وغيرها من المشاهد والمغازي.. وفاضت عيناه بالدمع على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقضوا نحبهم شهداء وأبراراً وطار فؤاده شوقاً إلى الجنة وأخذ يتحين فرصة الشهادة ويترقب لحظتها المجيد.. إلى أن أتت على عجلة مشتاقة إليه هي أيضاً يوم مؤتة فلله درك يا طائر الجنة الغريد... نعم السفير للإسلام كنت... ونعم الشهيد في سبيل الله كنت.

ولنعد بعد استعراض هذا الشريط المضيء بأحداثه الرائعة الخالدة...

إلى ساحة الشرف في أرض مؤتة ومعاركها البطولية الخالدة... على مر التاريخ فحين تكوم جثمان جعفر الطاهر... كانت سارية الراية مغروسة بين عضدي جثمانه تنادي خفقاتها " عبد الله ابن رواحة " فشق الصفوف، كالسهم نحوها، وأخذها في قوة، ومضى بها إلى مصير عظيم.. لقد بلغ القتال أوج ضراوته... وكادت القلة المسلمة تتوه في زحام الجيش العرمرم الذي حشده هرقل؟ وحين كان ابن رواحة يقاتل كجندي كان يصول ويجول بفدائية منقطعة النظير في غير تردد ولا مبالاة.. أما الآن فقد أصبح أمير الجيش المسؤول عنه وعن حياته... فبدا رضى الله عنه وكأنما مرت به لمسة تردد تهيب، لكنه ما لبث أن استجاش كل قوى المخاطرة في نفسه وصاح:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ::: مالي أراك تكرهين الجنة؟؟
يا نفسي إلا تقتلي تموتي ::: هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ::: إن تفعلي فعلها هديت

وانطلق يعصف بالروم عصفاً... ولولا كتاب سبق أن يكون موعده مع الجنة لظل يضرب بسيفه حتى يغني الجموع المقاتلة... ولكن ساعة الرحيل دقت معلنة بدء مسيرته إلى الله.. فصعد شهيداً.. هوى جسده وصعدت إلى الرفيق الأعلى روحه المستبسلة الطاهرة وتحقق أعلى أمانيه:

حتى يقال إذا مروا على جدثي ::: يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

يرى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه... ذلك المشهد مستمعاً إلى أشعار عبد الله التي طالما أحب الاستماع إليها.. ويمر شريط

الذكريات المضيء أمام عينيه الشريفتين. فعندما كان عليه الصلاة والسلام يجلس مستخفياً من كفار قريش مع الوفد القادم من المدينة هناك عند مشارف مكة، يبايع اثنا عشر نقيباً من الأنصار الرسول بيعة العقبة الأولى، كان عبد الله بن رواحة واحد من هؤلاء النقباء حملة الإسلام إلى المدينة، والذين مهدت بيعتهم هذه للهجرة التي كانت بدورها منطلقاً رائعاً لدين الله (الإسلام).. وعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبايعه في العام التالي ثلاثة وسبعون من الأنصار أهل المدينة بيعة العقبة الثانية، كان " ابن رواحة " بإيمانه بهذا الدين العظيم والقيم واحداً من النقباء المبايعين.

وبعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة واستقرارهم بها، كان عبد الله بن رواحة من أكثر الأنصار حماسة وعملاً لنصرة الدين ودعم بنائه، وكان من أكثرهم يقظة لمكايد عبد الله بن أبي ابن سلول.. الذين كان أهل المدينة يتهيئون لتتويجه ملكاً عليها قبل أن يهاجر الإسلام إليها، والذي لم يبارح حلقومه مرارة الفرصة الضائعة، فمضى يستعمل دهاءه في الكيد للإسلام.. في حين مضى عبد الله بن رواحة يتعقب هذا الدهاء ببصيرة منيرة، أفسدت على " ابن أبي " أكثر مناوراته، وشلت حركة دهائه.. وبالإضافة إلى أنه رضى الله عنه وأرضاه كان كاتباً في بيئة لا عهد بها بالكتابة إلا يسيراً.. فقد كان شاعراً ينطلق الشعر من بين ثناياه ويستزيده منه..

ولا ريب في أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على خاطره شريط عمرة القضاء بالأمس القريب وابن رواحة ينشد من رجزه أثناء طوافه بالكعبة بصحبته صلى الله عليه وسلم والمسلمون يرددون معه:

يا رب لولا أنـــت مـــا اهتـــدينا ::: ولا تصـــــــدقنا ولا صــــــلينا
فــــأنزلن ســـــكينة علينــــــا ::: وثبــــت الأقـــدام إن لاقينــــا
إن الـــذين قـــد بغـــوا علينــــا ::: إذا أرادوا فتنـــــــة أبينـــــــــا

وحينما اضطر الإسلام لخوض القتال دفاعاً عن نفسه يحمل " ابن رواحة " سيفه في مشاهد " بدر " و " أحد " و " الحديبية " و " خيبر " جاعلاً شعاره دوما هذه الكلمات من شعره وقصيده: (يا نفس إلا تقتلي تموتي).. صائحاً في المشركين والكفار في كل معركة وغزاة.

لا ريب.. إنه صلوات الله عليه وسلامه.. كان يرى ويسمع ذلك كله.. بما أودعه العلي القدير فيه من مواهب روحية.. ورأى مسارعة " ثابت بن أقرم "رضى الله عنه إلى اللواء بعد سقوط آخر القواد شهيداً فحمله بيمينه.. ورفعه عالياً وسط الجيش المسلم.. طمأنة للنفوس.. ودرءاً لأي خلل في صفوفه، ومتوجهاً به إلى خالد بن الوليد قائلاً له: خذ اللواء يا أبا سليمان.. ولكن خالدًا لم يجد من حقه، وهو حديث العهد بالإسلام أن يقود قوماً فيهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي سبقوه بالإسلام.. فيعتذر خالد في أدب وتواضع وعرفان من أنعم الله جل وعلا عليه للإسلام قائلا: لا لا آخذ اللواء أنت أحق به.. لك سن وقد شهدت بدراً.. فأجابه ثابت: خذه، فأنت أدرى بالقتال مني، ووالله ما أخذته إلا لك.. ثم نادى في المسلمين: أترضون إمرة خالد؟ قالوا: نعم.

ولي خالد إمرة الجيش، بعد أن كان مصير المعركة قد بدأ يتحدد أمام كثرة جيوش الروم الساحقة، ولم يكن بوسع أية كفاية حربية أن تغير من المصير شيئاً.. وكان العمل الوحيد الذي ينتظر عبقرياً لكي

ينجزه، وهو وقف الخسائر في جيش الإسلام والخروج به سالماً أي الانسحاب الوقائي الذي يؤدي إلى نجاة القوة المقاتلة على أرض المعركة.. بيد أن انسحاباً كهذا.. يكاد أيضاً أن يكون مستحيلاً.. ولكن إذا كان صحيحاً أنه لا مستحيل على القلب الشجاع فمن أشجع من خالداً قلباً ومن أروع عبقرية وأنفذ بصيرة؟

هنالك تقدم سيف الله يرفق أرض المعركة الواسعة بعينين كعيني الصقر ويدير الخطط في بديهته بسرعة الضوء.. ويقسم جيشه والقتال دائر إلى مجموعات، ثم يكل إلى كل مجموعة بمهامها.. وراح يستعمل فنه القتالى المعجز حتى فتح في صفوف جيش الروم ثغرة فسيحة واسعة خرج منها جيش المسلمين معافي بعد أن نجا بإذن الله ومشيئته على يد قائد عبقري. يحدث هذا كله على مرأى ومسمع من صلوات الله وسلامه عليه وهو في المدينة وقلوب المسلمين جميعاً في المدينة.. متلهفة لسماع أخبار تطمئنهم على جيش لمسلمين خاصة بعدما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهاد الأمراء الثلاثة وأنهم يقاتلون جيشاً كثرته العددية أكبر من جيشهم بما يزيد عن السبعين ضعفاً.. فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صحبه من المهاجرين والأنصار.. قائلاً: " أخذ الراية: زيد ابن حارثة فقاتل حتى قتل شهيداً.. ثم أخذها جعفر، فقاتل بها، حتى قتل شهيداً ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً.. ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه ".

فاطمأنت قلوب المسلمين.. بنجاة جيشهم بعد ما حققه من بطولات في المعركة منقطعة النظير فلم يحدث في التاريخ قديمه أو حديثه أن يواجه جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يقاتل جيشاً يفوق عدده عنه أكثر

من سبعين ضعفاً ومجهزًا على أفضل ما يكون التجهيز في زمانه من عدة وعتاد وتدريب وعلى رأسه هرقل احد أبرز قواد التاريخ.. وينجو منه بعد أن أحدث فيه خسائر هائلة قدرتها بعض الروايات بأكثر من أربعين ألف قتيل.. وناهيك عن الهزة العنيفة التي أحدثتها نتائج تلك المعركة في معنويات جنود أو قادة جيوش الإمبراطورية الرومانية والتي كان لها أيضاً أكبر الأثر بعد ذلك في انتصار الفتح الإسلامي على الجيوش الجرارة لتلك الإمبراطورية التي طالما ما كانت تفاخر بانفراد قوتها.. ولكن هيهات بين من يقاتل في سبيل الله.. ومن يقاتل مع الطاغوت..

ولنعد إلى المدينة بعد أن علم المسلمون أخبار جيشهم من رسولهم الكريم.. واطمأنوا على أخر أخباره القتالية.. واطمأن قلب الرسول.. إلى أن من معه وحوله من المؤمنين بدعوته ورسالته.. جديرون وقادرون بإذن الله ومشيئته وتوفيقه.. على نشر دعوته ورسالته إلى مشارق الأرض ومغاربها.. وأن هذا الدين العظيم القيم أصبح يمتلك النفوس والعقول والقلوب.. وأنه سيترسخ في أرجاء الأرض بهذه النفوس والعقول والقلوب.. التي تحمل أرواحها على أكفها راجية الشهادة في سبيل الله... حتى قبل النصر لأنها على يقين أن نصر الله لدينه.. لا ريب.. آت.. آت.. لذا فإن الفوز الحقيقي هنا هو السبق بالشهادة..

يطمئن قلب محمد الرسول النبي المكلف ببلاغ رسالة خالقه العظيم والدعوة إليها مبشراً ونذيراً وهادياً إلى الحق وسراجاً منيراً.. ولكن خالقه العظيم اللطيف الخبير.. يعلم أن نفس محمد الإنسان يكتنفها الحزن والأسى ولوعة الفراق.. كلما فقد صاحباً أو تابعاً أو عزيزاً..

أليس خالقه العظيم ما يسري عنه ويذهب عنه وعن صحبه وتابعيه أي حزن على فقدان شهيد في سبيل الله.. ضارباً له المثل بمن أمرهم لغزوة مؤتة.. إذ بعد أن أسبل جفنيه قليلاً ثم رفعهما لينطلق من عينيه بريق ساطع يبلله أسى وحنان وطوفت نظراته الآسية وجوه أصحابه وأخبرهم باستشهاد الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة..

صمت صلوات الله وسلامه عليه قليلاً وتألقت عيناه بومض متهلل مطمئن مشتاق قائلاً:

" لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من الذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة إزوراراً عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضياً وشاب عبد الله بعض التردد، ثم مضى " ابن إسحاق /392 / صحيح السيرة / صحابة /1633.

فهل هناك تسرية عن النفس وذهاب للحزن أروع من هذه التسرية.. وهل هناك وصف لما يدور في المعركة وهو صلى الله عليه وسلم في المدينة على بعد مئات الأميال أدق من هذا الوصف..

وفي رأينا أن هذه الظاهرة الروحية المعجزة غير مسبوقة في تاريخ الرسالات السماوية على الأرض.. فلم نسمع أو نقرأ في تاريخ السير الذاتية للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى رسولنا أجمعين.. أن رسولاً أو نبياً ينقل أنباء جيش على بعد مئات الأميال من تابعيه والمؤمنين برسالته ويقاتل في سبيل الله من أجل نشر دعوته بهذه الدقة وتشهد على ذلك مدينة كاملة من أصحابه وتابعيه الذين يتلقون الأنباء منه مصدقين إياه دون أدنى شك أو ريبة للدرجة التي يعزي بعضهم بعضاً عند تلقي خبر استشهاد شهيد..

حتى أن شاعر الإسلام حسان بن ثابت وقف يرثي جعفر ورفاقه استشهادهم وتلقيه النبأ من الرسول صلى الله عليه وسلم في ذات يوم مؤتة بقصيدته الشهيرة التي مطلعها:

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ::: إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ::: أبى إذا سيم الظلام مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد ::: لمعترك فيه القنا يتكسر

نعم بمثل هؤلاء الصحب والرجال لابد وأن يطمئن قلب محمد الرسول النبي صلى الله عليه وسلم بنشر الرسالة التي كلف بالدعوة إليه خالقه العظيم، وإن كانت عين محمد الإنسان تذرف.

* * *

الفصل السادس:
فتح مكة

وعلم صلوات الله وسلامه عليه بنقض قريش لعهد الحديبية في حادث بني خزاعة فلم ير بداً من التوجه لمكة لفتحها.

يقول ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، ثم آخر من بني كعب، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس.. " (395/صحيح السيرة/صحابة/1654)

ويقول: (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{.. **نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله عنان من السماء**} فقال:.. إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب) (395/صحيح السيرة/صحابة1655).

ويقول: ".. وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على

أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام رضى الله عنه فقال: ".. أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم.. "

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة، خليقة ابن أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها، فلم يجدوا شيئاً، فقال لها على بن أبي طالب: أني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا، ولتخرجي لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجد منه قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال: " يا حاطب ما حملك على هذا؟.. فقال: " يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ضعيفاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم.. فقال عمر بن الخطاب: " يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال:

{اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم..}.

فأنزل الله سبحانه وتعالى في حاطب:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ

ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ } [الممتحنة: ١ - ٤]، (396/صحيح/صحابة/1661)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة مستخلفاً على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري لعشر مضين من شهر رمضان، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر.. ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين..

قال ابن إسحاق: (ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سليم وبعضهم يقول: ألفت سليم وألفت مزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف منهم أحد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق.

قال ابن هشام: " لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على ساقيته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما

ذكر ابن شهاب الزهري. (396 / صحيح السيرة / صحابة / 1663).

وقال: فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، ولئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: " فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها "، قال: " حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة..

قال: فوالله أني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل ابن ورقاء، وهما يتراجعان،، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكراً، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، قال: يقول أبو سفيان: " خزاعة أذل وأقل من أن يكون هذه نيرانها وعسكرها " قال: فعرفت صوته، فقلت: " يا أبا حنظلة " فعرف صوتي، فقال: " أبو الفضل؟ قال: " قلت نعم " قال: " مالك فداك أبي وأمي؟ " قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله.. قال: " فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ " قال: قلت: " والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك "، فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك قال: فركب خلفي ورجع صاحباه، قال: فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها

قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: من هذا؟ وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكنا منك بغير عقد ولا عهد...

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة، فسبقته بما تسبق الدابة الرجل البطيء، قال: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب (لو أسلم).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به}.

قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ويحك يا أبا سفيان.. ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله.. قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك.. والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعد.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ويحك يا أبا سفيان.. ألم يأن لك أن تعلم إني رسول الله ".. قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي وما أحلمك وأكرمك وأوصلك.. أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً.. فقال له العباس: " ويحك أسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول لله صلى الله عليه وسلم: قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم..

قال العباس: قلت: " يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً قال صلى الله عليه وسلم: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ".. فلما ذهب لينصرف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عباس أحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حيث تمر به جنود الله فيراها ".

قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه، قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة، قال: " يا عباس من هذه " من هذه "، فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم؟ "

ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة فيقول: " ما لي ولمزينة؟ " حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء.. فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا

طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: نعم إذن، قال: قلت: النجاء إلى قومك.. حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم.. قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فترفق الناس إلى دورهم وإلى المسجد " (400 / صحيح السيرة / صحابة / 1667).

وقال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما وعده وأكرمه الله من الفتح، حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل.

وقال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين.. حين أمرهم أن يدخلوا مكة.. ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم.. (401 / صحيح السيرة / صحابة / 1676).

وقال: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء بالبيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضي طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له

الناس في المسجد " (404 / صحيح السيرة / صحابة / 1680).

قال ابن هشام: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام، يستقسم بها فقال: " قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام ".

قال تعالى:{ مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٧].

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.. حديث صحيح أخرجه الشيخان وأحمد في مسنده.. إلخ.

وقال: وحدثني من أثق به من أهل الرواية، في إسناد له عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضى الله عنه قال:

" دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام وهو يقول:{جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً}.

فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

" وفي الأصنام معتبر وعلم.. لمن كان يرجو الثواب أو العقاب " (405 / صحيح السيرة / صحابة 1964).

وقال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف: من بني سليم سبعمائة، ويقول بعضهم: ألف، ومن بني عقار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.. (406 / صحيح السيرة / صحابة /1699).

هذه بعض لقطات من المشاهد التي سبقت فتح مكة أو صاحبت التجهيز لها والسير لفتحها وبعد فتحها.. ورأينا ما صنعه حاطب بن أبي بلتعة من الكتابة إلى قريش ليحذرهم بما قد أجمع عليه الرسول وصحبه من الخروج لفتح مكة.. بعد نقض قريش لعهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حادث بني خزاعة ولخطورة ما فعله حاطب.. وما قد يتبعه ذلك... من كشف خطة الرسول في تحقيق عنصر المفاجأة لأعداء دعوته.. وفتح مكة دون إراقة دماء بقدر الإمكان.. فقد أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب.. ليتمكن من إدراك المرأة التي كتب معها حاطب بكتابه إلى قريش وأخذ هذا الكتاب منها قبل وصوله إلى قريش وفوات الأوان.. وأنزل المولى عز وجل في أمر حاطب:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ
وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾} [الممتحنة: ١ - ٤]. إلى آخر القصة لتكون هذه الآيات.. درساً بليغاً لكافة عصور وأجيال المسلمين إلى يوم يبعثون.. بعدم كشف أسرار أو عورات بعضهم البعض.. وأن يستعينوا دائماً على قضاء حوائجهم بعد توكلهم على العلي القدير بالكتمان، وألا يتخذوا تحت أي مسمى أعداء الله أولياء لهم يصانعونهم أو يداهنونهم بالمودة.. وإنما عليهم أن يتحلوا بالشجاعة الإيمانية والأدبية.. بأن يصارحوا أعداء الله وأعدائهم بالبراءة منهم ومما يعبدون والكفر بهم أيضاً، وبما يعبدون من دون الله الواحد الأحد الديان حتى يثوبوا إلى رشدهم ويؤمنون بالله الأحد وحده، كما نرى عند نزول الرسول صلوات لله وسلامه عليه بممر الظهران، أثناء سيره في عشرة آلاف من المسلمين لفتح مكة.. يلتقي العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم صدفة بصديقه القديم أبي سفيان بن حرب ورأس الكفر والشرك في قريش وزعيمها.. والخصم اللدود لمحمد صلى الله عليه وسلم والعدو الأول للإسلام والمسلمين.. عندما خرج وصاحبه بديل ابن ورقاء يتحسسان أخبار المسلمين.. فيدور أثناء لقاء الصدفة هذه.. التي أرادها ورتبها العلي القدير ولحكمة يريدها عزّ وجل.. حوار طويل بين الصديقين القديمين العباس رضى الله عنه وأبي سفيان بن حرب تنتهي بإجارة العباس رضى الله عنه لأبي سفيان، وإشهار أبي سفيان بن حرب لإسلامه أمام الرسول صلوات

الله وسلامه عليه.. ووقوفه مع العباس رضى الله عنه بمضيق الوادي عند خطم الجبل فتمر به جنود الله في ثبات وجلال ووقار المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ثم تزداد هذه النورانية مصحوبة بازدياد الوقار والجلال والهيبة.. إلى أبعد مدى بمرور كتيبة الرسول صلى الله عليه وسلم الخضراء.. وفيها صحبه من المهاجرين والأنصار فتنتاب زعيم قريش الرهبة فيقول للعباس رضى الله عنه: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، فيصحح له العباس رضى الله عنه ما قاله بالرد عليه بثقة المؤمن بدينه ورسوله: يا أبا سفيان أنها النبوة فيتدارك أبو سفيان الذي أشهر إسلامه منذ ساعات الأمر.. ويؤكد على العباس بقوله: نعم إذن.

ويتوجه أبو سفيان إلى قومه صارخاً بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن.. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد... لتفتح مكة دون إراقة دماء... كما قدر وأراد الله جلا وعلا وفي الموعد.. الذي أراده وحدده العلي القدير لفتحها وبشر به من قبل ذلك بآلاف السنين في كتبه ورسالاته السماوية.. ولحكمة قدرها ويعلمها هو سبحانه وتعالى.. وبشر بها جل وعلا من قبل في أكثر من موضع من كتب أهل الكتب.

ومن ذلك ما جاء في العهد القديم في سفر التثنية 2/23 من الكتاب المقدس (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى معه عشرة آلاف من القديسين، وعن يمينه نار

شريعة لهم).

وهذه النبوءة وما تحمله من بشارات تتضمن النبوات الثلاث: نبوة موسى عليه السلام ونبوة المسيح عليه السلام، ونبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه، فالمجيء من سيناء المقصود به هنا هو جبل طور سيناء الذي كلم الله تبارك وتعالى عليه موسى عليه السلام... والإشراق من ساعير المقصود به ظهور رسالة المسيح عليه السلام في بيت المقدس.. وساعير قرية موجودة هناك إلى اليوم.

أما التلألؤ من جبل فاران، فالمقصود به الوحي الذي نزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء بمكة.. وكلمة تلألأ هي وصف دقيق لكيفية نزول الوحي جبريل عليه السلام على الرسول في غار حراء أو تلألؤه في السماء في أكثر من جهة حول الرسول وملأ نوره للسماء حول الرسول واقترابه وابتعاده.. ومناداته للرسول لدرجة أن أغشى على الرسول صلوات الله وسلامه عليه لهول ما صاحب ذلك من قوة نور وإضاءة حوله.

ومن المعروف أن فاران هي مكة، وقد جاء أيضاً ما يؤكد على ذلك في سفر التكوين 20/21 - 21 عن النبي إسماعيل عليه السلام:

(وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر).

ومن المشهور والمتعارف عليه تاريخياً أن إسماعيل سكن بجوار البيت الحرام أو ما يسمى بمدينة فاران وقد قيل: إنها سميت فاران بالتشديد على الراء بمعنى هاربان هما هاجر وإسماعيل عليه السلام.

وقد قال المؤرخ جيروم واللاهوتي يوسيبوس بأن فاران بلد عند بلاد

العرب على مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق من أيله (القدس).

فإذا ما عرف ذلك، فإنه لابد من خروج نبي من مكة وقد جاء في صحيفة حبقوق 3/3:

(والله جاء من تيماء والقدوس من جبل، فاران مجده على السماوات والأرض وامتلأت بحمده)

والمراد بالقدوس الطهور، وهي إحدى صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الوحي كما هو معروف نزل عليه في غار حراء في جبل حراء بمكة وخرج منه قدوساً، ليحمل أعظم الرسالات إلى الإنسانية جميعاً، كما أن كلمة " حمد " هنا ذات مغزى هام ذلك أن اسم محمد يعني حرفياً الممدوح.

ولقد كان اليهود قبل ظهور الرسالة المحمدية، يعلمون ذلك تماماً حتى أن يهود المدينة كانوا يهددون الأوس والخزرج بقرب خروج نبي يقتلهم قتل أرم وعاد، ولكنهم كانوا يأملون أن يخرج منهم وليس من ذرية إسماعيل، عليه السلام.

أما لفظ: (وأتى معه عشرة آلاف من القديسين) فهذا من أعجب العجائب، فالمقصود هنا يقيناً هو فتح مكة، فمن الموثق والموثوق به تاريخياً أنه لعشر خلون من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة وكما تقدم ذكره غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة متجهاً إلى فتح مكة في عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله عز وجل دينه وجنده ورسوله الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الحرام من أيدي الكفار والمشركين، ودخل بسببه الناس في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياء

وابتهاجاً.

ولفظ: (وعن يمينه نار شريعة لهم) جلي في أن هذا النبي القادم معه شريعة جديدة ناسخة مطهرة مشرقة سيحترق فيها كل غث أو باطل أو خارج عن الناموس أو منحرف بالإضافة إلى كونه صلى الله عليه وسلم بشيراً لأتباعه الموحدين بالله المؤمنين برسالته ودعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. بجنات تجري من تحتها الأنهار عرضها السماوات والأرض.. فيهن من البهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ومتكئين فيهن على فرش بطانها من إستبرق، وجني الجنتين دان... إلخ فإنه أيضاً يكون نذير لخصوم دعوته من المشركين والكفار والملاحدة ومرتكبي الكبائر والطغاة.. من عذاب جهنم المستعرة التي وقودها الناس والحجارة.

وفي تراجم أخرى كما هو الحال في نص النسخة المنقحة المعتمدة التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية يوجد لفظ (والشريعة المشعة بيده اليمنى) بديلا عن (وعن يمينه نار شريعة لهم).

وعلى أية حال، فإن كلا النصين يتوافق مع ما أتى به صلوات الله وسلامه عليه، فلا يوجد معنى لقيمة أو فضيلة، أو مبدأ سام لشريعة وضاءة إلا وأتى به صلوات الله وسلامه عليه.

كما وردت بشارات عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حامل السيف ذي الشفرتين والذي كان جهاده بالسيف مصحوبا بالتكبير والتسبيح والتهليل بوحدانية الله وتحطيم عبادة الأوثان ورفع الأذان للصلاة في عدة مواضع من كتب العهد القديم الملحقة بأسفار موسى الخمسة وهي في المزمور 1701/45 وفي المزمور 9/149 - 1 وفي

سفر أشيعا 1/42 - 17 وفي سفر دانيال 1/2 - 45 وفي رؤيا يوحنا 26/2 - 29 ويمكن للدلالة على ذلك وبإيضاح جلي الاكتفاء بنقل بعض الفقرات من كل موضع.

ففي مزمور 3/45 - 5 قال داود عليه السلام، بعد أن تغنى بصفات كثيرة للنبي المبشر به في أسفار موسى السابقة.

(تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة، والبر فتريك، مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون).

وفي المزمور 5/149 - 9 أن طلب داود عليه السلام من بني إسرائيل أن يفرحوا بالنبي المبشر به، قال:

(ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة هذا لجميع أتقيائه)

وفي سفر دانيال 1/2 - 45 رؤيا للملك نيوخذ نصر قد نكتفي لعدم الإطالة بذكر الفقرتين الرابعة والأربعين والخامسة والأربعين إذ يقول دانيال بعد تفسيره لرؤيا الملك:

(وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب، الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا العلم حق وتعبيره يقين).

وفي سفر أشعياء 10/22. 13 و 17:

(" 10 " غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتقوم سكان سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحة في الجزائر " 13 " الرب كالجبار ويخرج كرجل حروب ينهض غيرته ويصرخ ويقوي على أعدائه " 17 "، قد ارتدوا إلى الوراء وتخزى خزياً المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات وأنتن آلهتنا).

وفي سفر المشاهدات أي رؤيا يوحنا 27/2:

(فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف).

وإن المتأمل للبشارات الخمس السابقة ليلحظ بيسر، أنها اشتركت في ذكر بعض من صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيما يتعلق بجهامة وصفات أمته وتسبيحها وأذانها والتي لا تصدق فيمن سواها.

وقد نوجز ما يخلص إليه ذلك ومن سند ما يؤكده الواقع والتاريخ والجغرافيا فيما يلي:

أ) أن النبي المبشر به يتميز بالهيبة والوقار والبهاء، وهذا ما كان يتميز به وجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتتميز به سلوكياته وأخلاقه قبل وبعد بعثته حتى أن الله عز وجل وصفه في القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤]، كما شهد له به أنصاره وخصومه على السواء وتروي لنا كتب السيرة أن أحد غلاظ الأعراب ارتعد من هيبة وجهه الكريم فقال له النبي بتواضعه:{هون عليك يا أخي ما أنا إلا ابن امرأة من قريش كانت تأكل

القديد} كما أن هيبته ووقاره وحكمته ونبوغ قيادته وصدقه وأمانته وطاعة أتباعه له وإجلالهم ومحبتهم إياه ترتيباً على ذلك، وهم أكثر أهل الأرض شجاعة وإقداماً وهيبة وفروسية، وهذا له ما تؤكده كتب السيرة والتاريخ، وليست مجالاً للجدل أو المناقشة، حتى من أكثر خصومه عناداً أو مكابرة.

ب) إنه صلى الله عليه وسلم في فروسيته وجهاده ضد الكفر والشرك والوثنية كان يتقلد على فخذه سيفاً ذي شفرتين، كما كان أصحابه يتقلدون أيضاً ذات النوع من السيوف، إذ من المعروف أن السيوف العربية في زمن الرسول وأصحابه كانت تشتهر بأنها من ذوات الشفرتين لتميزها على سواها من السيوف ذات الشفرة الواحدة، كما كانت نباله صلى الله عليه وسلم في معاركه ضد الكفر والشرك معدة مسنونة، (فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة) إذ من المعروف أنه صلى الله عليه وسلم كان يعني كثيراً بدور النبال وأهميتها في معاركه وقتاله ومعروف تاريخياً أن عدم امتثال رماة النبال لأوامره في موقعة أحد، وتعجلهم في اقتسام الغنائم، كاد أن يترتب على ذلك آنذاك، وكما شرحنا من قبل هزيمة قاصمة بالمسلمين، وأن الله عز وجل أراد بذلك أن يعلمهم ويؤكد لهم ضرورة الامتثال لأوامر الرسول ونواهيه.

ج) إن جهاده وحروبه صلى الله عليه وسلم كانت لإقرار كلمة الحق بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ودك معاقل الكفر والشرك والوثنية سواء في الجزيرة العربية أو في العالم أجمع، وكانت رسالاته تؤكد على التهليل بتكبير الله ووحدانيته وأحديته والتسبيح له وحمده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما ترتب عليه

انتصار دعوته وأصحاب دعوته على أكبر إمبراطوريتين في التاريخ، الروم والفرس، وسقوط الممالك والشعوب الوثنية وانكسار وأسر أو قتل ملوكهم، وإجبارهم على اتباع ما حكم الله به في قرآنه الكريم وهو ما يفسر ما ورد بالمزمور 45: (اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون...).

وما ورد في الزمور: " تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم ليتصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسر بقيود وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه... ".

د) إن هذا النبي المبشر به له صفات وسمات وأماكن محددة ومميزة أيضاً تخصه لا يشاركه فيها نبي آخر - فبجانب كونه متقلداً بالسيف ذي الشفرتين ونبله دائماً مسنونة وسقوط أمم وشعوب الشرك والوثنية تحت دعوته وأن أصحابه وأتباع دعوته ورسالته المؤمنين بها سينشرون شريعة الله التي طالما انتظرتها الأمم - ويدكون معاقل الوثنية والشرك والكفر ويوبخون شعوب ويقيدون ملوكها وأشرافها بالقيود - فهم يسبحون لوحدانية الملك وأحديته وعظمته وعليائه وقدرته وقوته وجلاله تسبيحاً جديداً وبنهج ولغة جديدين يرفعون فيها الآذان من حلقوهم: (تنويهات الله في أفواههم، ترفيع الله في حلوقهم) قبل الصلاة والدعاء لله عز وجل وهو ما لم يحدث من قبل قط من أتباع أي نبي أو رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم - وترتب عليه فرح المناطق التي سكنها قيدار ابن النبي إسماعيل عليه السلام، وجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم - أي مكة المكرمة - بهم حيث

خرجت منها دعوة النبي المبشر به بالإضافة إلى أنه من أبنائها وينتمي إليها: (لترفع البرية ومدنها صوتها - الديار التي سكنها قيدار)، كما ستفرح أيضاً بهم المناطق التي بها جبل سالع - أي المدينة المنورة - " لتترنم سكان سالع " حيث استضافوا الرسول صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه المهاجرين معه واقتسموا معه ومع أصحابه المأكل والمشرب والمسكن والحياة في مدينتهم، وهم يهتفون منشدين مترنمين فرحاً بمقدمه إليهم:

طلع البدر علينا ::: من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ::: ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ::: جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ::: جئت يا خير داع

كما ناصروه وآزروه وجاهدوا معه في سبيل نشر دعوته وإبلاغ رسالته على خير ما تكون المناصرة والمؤازرة والجهاد..

وهنا يثور التساؤل: أليست هذه البشارات قد حددت وبصريح اللفظ والعبارة ظهور النبي المبشر به في منطقة قيدار وسالع؟! وأليس قيدار هو ابن إسماعيل لصلبه وبإجماع أهل الكتاب وغيرهم أنه كان يسكن مكة المكرمة؟!

وأليس جبل سالع مازال معروفاً إلى الآن في المدينة وسكان هذه المنطقة هم الأنصار الذين هتفوا منشدين فرحاً بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً هو وأصحابه وآزروه وعاهدوه على الجهاد معه في سبيل إقرار دعوته ورسالته، وصدقوا بما عاهدوا الله عز وجل ومحمدًا عبده ورسوله عليه؟!.

وهل ظهر نبي في مكة من نسل قيدار بن إسماعيل عليه السلام ثم هاجر إلى مكان فيه جبل سالع (المدينة المنورة) غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

أما لفظ (فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف) الواردة في رؤيا يوحنا 27/2، فلقد فسرنا ذلك من قبل فيما نقلناه في هذا الخصوص عن ابن هشام وسأترك لابن عباس الصحابي رضى الله عنه شرح إحدى اللقطات من أحداث فتح مكة، ثم أترك لك عزيزي القارئ التعليق: فقد قال:

(كان حول البيت الحرام ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب حديد في يده إليها ولا يمسها، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم).

وسبحانه من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ٢٠].

* * *

الفصل السابع:
موقعة حنين

اجتمعت قبائل هوازان وثقيف ونصر وحبش على محاربة المسلمين فسار إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في اثنى عشر ألف مقاتل.. ولكن وسوس الوسواس الخناس في صدور الكثيرين منهم بالغرور فقال بعضهم لبعض: لن نغلب اليوم لكثرتنا..

وفي فجر يوم الموقعة انقض الأعداء بنبالهم على المسلمين المخدوعين بكثرتهم فهزموهم وأعادوهم من حيث أتوا.. حتى لقد بدأ بعضهم في الردة..

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه صمدوا في القتال صمودا استبسالياً رائعاً خارقاً، وأخذ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ينادي المتراجعين ويحفزهم على الجهاد.. حتى إذا ما عادوا إلى عقولهم.. وإيمانهم كعقيدة قتالية، ومال النهار كروا على أعدائهم فهزموهم..

وقد تجدر الملاحظة أن هذه الموقعة الهامة كانت على عكس موقعة أحد التي انتصر فيها المسلمون في الصباح، وانهزموا في المساء..

والذي يعنينا في هذا هو كيفية تحول الهزيمة إلى نصر... وسر التحول في هذا الخصوص إنه لا ريب مفتاح أثيري لا يرى موضعه إلا في القلب.. إن الغرور بكثرة العدد ونسيان أن{وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ} [آل عمران: ١٢٦]، الذي حدث قبل بدء القتال هو عامل هدام مثل الطمع الذي ظهر في موقعة أحد... بجذب - كما سبق أن

قدمنا - الأرواح المتأخرة التي تجيء بالهزيمة... إلخ، وكلما زهد المرء في مطامع الدنيا.. وكبت من غرائزه الأرضية وكبريائه أتت إليه الأرواح العالية والملائكة لنصرته، وهذا هو ما حدث في أخر يوم حنين حين سادت السكينة في قلوب المسلمين، حين غلبت عقيدة الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه.. على أي زيف أو غرور..

وهذه المسألة يوضحها ويفسرها القرآن المجيد في صراحة وحسم بكيفية وأسباب نزول جند الله عز وجل لحراسة الرسول ومساعدته - إذ قال جلا وعلا في محكم آياته:

قال تعالى:{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾} [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

ومما نخلص أيضاً به أن النصر يكون دائماً حليف المسلمين ولا يهزموا قط عندما يكونون في طاعة الله ورسوله بعيداً عن غرور الدنيا وزينتها ومطامعها وشهواتها إذ يوحى الله عز وجل إلى الملائكة وجنده الذين لا يعلمهم إلا هو بتثبيت الذين آمنوا ونصرتهم.

قال تعالى:{إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾} [الأنفال: ١٢].

وهنا قد يدفعنا الفضول بالاجتهاد في البحث والتأمل كما أمرنا الله

تبارك وتعالى في كيفية مساعدة الملائكة للذين آمنوا لنصرتهم وتثبيتهم مع التفكر في الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في هذا الخصوص.. مثل:{فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾} [الأنفال: ١٢].

والضرب فوق الأعناق يعني من ضمن ما يعني الضرب في الرؤوس التي هي محل الفكر والتوجه.. ولا يشترط مطلقاً أن يكون ذلك بالسيف فقط، بل يكون بوسائل أخرى عديدة..

ولفظ{وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ } يعني من ضمن ما يعني ضرب اليدين وما تحمله الأصابع.. أي ضرب أدوات تنفيذ القوة المادية الضاربة، وقد لا يكون هذا بالسيف فقط أيضاً.. بل هناك أيضاً وسائل عديدة لذلك منها شل حركتها أو توجيهها التوجيه العكسي غير المقصود... إلخ.

على أية حال سنحاول الاجتهاد في تصور بعض أساليب هذا التثبيت المصحوبة بالنصرة والمساعدة.. بتوظيف ما لدينا من بعض المعلومات عن علم الروح الحديث تتوافق مع وما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ.. في ذات الوقت التي نقر فيه موقنين بأن الحقيقة كاملة لا يعلمها إلى الخالق العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى.. وأن اجتهادنا لا يخرج عن محاولة لتلمس القرب فقط من هذه الحقيقة..

وقد يجدر الذكر أيضاً في هذا الخصوص بأن الماديين والملاحدة يرون في نزول الملائكة لمساعدة البشر هو شيء خيالي أو أسطوري، مما يروى للأطفال، أما علم الروح الحديث، فيفسر ذلك تفسيراً بسيطاً، وأن مشاركتهم مع المؤمنين في معاركهم على سبيل

المثال، قد تأتي عن بإحدى الطرق الآتية:

* * *

1- المس الروحي للأعداء

أكدت التجارب الروحية العديدة التي أجريت في المراكز العالمية الروحية في الدول المتقدمة.. وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا.. أن هناك تفاعلاً بين سكان عالم الروح وسكان عالم الأرض.. وأن للإنسان جسماً مادياً وجسماً أثيرياً متداخلاً معه.. كما ثبت لدى علماء علم الروح الحديث تجريبياً أنه عند علاج شخص ما فالعلاج إذا ما انصب على الجسم الأثيري تنتقل الصلاحية في ذلك مباشرة إلى الجسم المادي.. وبالعكس لو أصيب الجسم الأثيري انتقلت الإصابة إلى الجسم المادي..

كما ثبت في تجارب علماء الروح الحديث أن التأثير الروحي الصادر من شخص قد يصيب الجسم الأثيري لشخص آخر، وهو ما يسمونه بالسحر الأبيض إذا كان صادراً من ملاك أو روح بشرية مهذبة ذات ذبذبة إيمانية عالية.. أو الأسود إذا كان صادراً من روح ساملة أو شيطان، والأخير للأسف الشديد هو الغالب، والأسهل ويمارسه الكثير من الناس بمعرفة الشياطين، والعياذ بالله من أجل أهداف دنيوية دنيئة وسافلة كما يعرف الكثيرون..

وعلى هذه النظرية قد يمكننا تفسير التأثير الذي يمكن أن يحدثه الجنود الروحيون الذين جاء ذكرهم في القرآن المجيد..

فنقول: إن هذا التأثير وقع أول ما وقع على الأجسام الأثيرية للأعداء ثم انعكس على أجسامهم المادية إثر ذلك.. وفي هذه الحالات من المس يمكن للروح أن يسلط من بعد أية فكرة هدامة على المقاتل من خصوم وأعداء الإسلام من قريش مثلاً، فيفزعه أو يشل تفكيره أو يده أو يعميه لحظياً أو بوقف نبضات قلبه.. وذلك شيء جد يسير..

وقد نخلص من هذا بأن الأرواح يمكنها أن تنتقل إلى عقول ورؤوس أفراد الجيش المعادي شعور الألم أو الضرب.. وينتقل هذا الشعور إلى الجسد ويظهر عليه فعلاً..

* * *

2.تغيير المناظر

هذا ويوجد نوع يمكن تسميته بالكامفولاج الروحي والذي يمكن إدخاله تحت باب المس الروحي الأبيض.. ومعناه فن تغيير المناظر التي تعرض على الشخص للوصول إلى هدف معين.. وبه يمكن للروح أن يحذر هذا الشخص أو يوجهه توجيهاً خاصاً بناء على عرض المنظر المبدل عليه والأشخاص الذين تعودا على رؤية أحلام لابد، وأنهم لاحظوا هذه الظاهرة والتي تشبه الكذب الأبيض عند الأحياء..

وقد تلاحظ لهذه الظاهرة وجوداً في موقعة بدر، وكيف تدخل عالم الروح في الرؤية التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الموقعة، وكيف أن جبريل " بإذن الله ومشيئته جل وعلا " وضع أمامه صورة مبدلة وليست الصورة الحقيقية التي كان عليها الأعداء:

قال تعالى:{ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ } [الأنفال: ٤٣].

ويوضح القرآن ما هو أكثر من هذا.. يوضح أن عالم الروح تدخلت جنده وقت المعركة لا بالمساعدة القتالية فقط.. وإنما بالتأثير على الأبصار سواء من جانب المسلمين أو جانب قريش بحيث أن الرائي كان يرى منظراً جزئياً من ميدان القتال فقط لا يراه كله.. وبمعنى آخر هناك كامفولاج روحي.. وتقول الآية الكريمة في وصف ذلك:

قال تعالى:{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ } [الأنفال: ٤٤].

3ـ الدعاء والصلاة

الدعاء والصلاة لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الحي القيوم العلي القدير بمثابة التليفون اللاسلكي الروحي الذي يوصل الإنسان بكل أنحاء الكون المحيط به.. هذا وفي حالة أن تكون الصلاة هادفة لاستدعاء خير يستدعى المصلى أرواحاً خيرة تتناسب قدرتها ومكانتها مع علو درجته الإيمانية.. لذا كان الرسل والأنبياء دائماً مستجابي الدعوة.. والعكس صحيح.. فإن طلب الشر - والعياذ بالله - يستدعى أرواحاً شريرة وكل نوع له قانون خاص يسير عليه.. ولكن على أية حال.. وفي كل الأحوال.. تكون الغلبة والنصر دائماً للخير..

ويقول اليوجيون بأن للأفكار قوة مادية وينادون بأن العقول يمكنها أن نتحكم في المادة وأن القوة الناتجة عنها يمكن أن تتركز في صورة مثلما تتركز أو تتجمع قوى الأعمدة الكهربائية " أي البطارية ".

وقد جاء في كتاب " يوجا التبت " لمؤلفه برنارد بروماج: " يقول أهل التبت بأن الفكر المندفع الذي تقويه ريح طيبة من العاطفة العميقة هو أعظم قوة على الأرض ".

ويوصي الكاتب بحسن توجيه الأفكار: " القوة الدافعة الخارجة من منبع التيار الروحي ليس لها قوة الرؤية في تكوينها " ومعنى هذا أنها قد تتوجه خطأ..

ويقول كذلك: " من الطبيعي أن الناس الذين لديهم استعداد بميكانيكية الفكر على مستوى جبار جداً " أن تشكل أفكارهم " تلبأ " يمكن أن

يكون على هيئة أشخاص لهم أي صورة أخرى يريد أن يبعث بها الكاهن من جعبته ".

يقول العالم الدكتور على راضي رحمة الله عليه في مؤلفه " أنت تحيا بعد الموت " :

(نشرت مجلة برد كشن عدد مايو 1958 قصة فشل إنجلترا في غزوها لكندا عام 1711 فقد كانت الحملة بقيادة الأميرال سير كوفنون وركر وكانت وجهته كويبك واستولت حالة الخوف على المزراعين، ولكن واحداً منهم يدعى جان بيرلفالي، وهو هندي الأصل وعد بأن يوقف هذا الزحف، وفي نفس الوقت بدأ سكان المدينة في الصوم والصلاة لعل السماء تساعدهم في صد غزو هذا العدو، وخلال الأسبوع الذي قضاه لفالي في صلاته، كان القائد ووكر يعاني نوبات كآبة من تأثير الأرواح والأحلام المزعجة التي تصور له النكبة للحملة التي يقودها. وقد تحقق خوفه إذ أحاط به ضباب عجيب، وانتهى به الأمر إلى تصادم سفنه بالصخور، وغرق جميع رجاله، ولم يعد إلى بورتسموث بإنجلترا إلا بسفينته الخاصة " إدجار " التي انفجرت وهي واقفة في الميناء بقوة مجهولة.

وقالت المجلة: إن تركيز لفالي لمدة ساعات طويلة مكنه من أن يكون صورة عقلية للحالة الجوية التي يريدها، وتوسل بدعائه إلى الله ليحقق له صلاته، فإذا كان مثل هذا التأثير ينتج عن أناس تشوب عقائدهم الكثير من الضلالات، ويتوجه دعاؤهم لأهداف أرضية، فما بالنا بالتأثير لو كان الداعي أو المصلي يبغى أهدافاً سامية عليا، ألا تستجيب له الملائكة والأرواح السامية وتشكل أفكاراً بطريقة أقوى كثيراً..؟!).

4ـ الغيبوبة

هناك رأي علمي يقول: أن الشجاعة قد تأتي للإنسان نتيجة لعدة عوامل تغير من حالة الوعي في الشخص فتجعله في شبه غيبوبة أو تخدير وعندئذ يكتسب صفات النائم، ومن صفات النائم المبالغة الزائدة فالمعروف والملاحظ أن المبالغة في الإحساس بالخوف والحزن والفرح.. إلخ تكون أثناء الأحلام.. وللوصول إلى هذه الغاية كان يستعمل القدماء المواد المخدرة كعامل من تلك العوامل، فكانت تجعل الشخص سريع الثورة لا تقف أمامه مقاومة.. ومن الطريف أن هتلر كان يحقن جنوده بمواد مخدرة تجعلهم يحاربون بجنون..

وقد جاء في وصف هذه الحالة في كتاب " الفرعونة المجنحة " :

(وعندئذ يكون الإحساس بالغضب عظيم لدرجة أنه قد يجعل الرجل النحيل يقوم بعمل الرجل الشديد القوي).

وفي ذات الكتاب يقول فرعون لابنته عن تأثير عامل آخر " هو الشعور الديني " على المعركة:

(حاصرني العدو وكان جيشه يبلغ خمسمائة رجل.. وكان معي سبعون رجلاً فقط وكاهن من كهنة حورس.. استطاع بفصاحته ومقدرته أن يخرج شجاعة جندنا من أجسامهم، فحاربوا كما لو كانوا آلهة الحرب، وهجموا على العدو وقتلوا عدداً كبيراً منه..).

ثم يشرح فرعون لابنته عاملاً آخر من عوامل إلهاب شعور الجيش وهي الأناشيد:

(إن هذه الأناشيد تخفف من تأثير أجسامهم عليهم فيحاربون والواحد

منهم كعشرة رجال من العدو).

وعندما سأله سائل عما يحدث لو قام هو الآخر بالأناشيد قال:

(إن في هذه الحالة يلجأ الكاهن إلى سحر يثقل جنود الأعداء.. ويقيدهم بالأرض فيفقدون وحدة الهدف ويدركهم الخوف ويفكرون في سبب مجيئهم للميدان.. والتفكير هكذا في ساحة الحرب يأتي بالهزيمة..).

ومن هنا تخرج نتيجة وهي أن الأناشيد في إمكانها أن تعمل عمل المخدر في إلهاب مشاعر المقاتلين، وما تفعله الأناشيد يمكن أن تعمله الموسيقى أو أي صورة حسية توحد الهدف وتبث الشجاعة..

وإذا كان المقاتل منهمكاً في القتال ومنصرفاً كلية له ومستسلماً لله وما يعمله به، فإنه ينسى نفسه ومن حوله ويصبح في شبه حالة تنويم مغناطيسي، لا يرى شيئاً سوى عدوه الذي يريد أن يتغلب عليه ولا تملأ رأسه أي فكرة سوى فكرة الانتصار للمبدأ الذي دخل القتال من أجله.. وهذا النوم المغناطيسي قد يكون موحى به من منوم خارجي غير منظور أي قد يكون مقدمة لهيمنة روحية أي استسلام لروح محارب مثله أو أفضل منه.. وبذلك يتحرك يمنة أو يسرة وبصول هنا وهناك بتوجيه عقل آخر غير عقله عقل مخلوق آخر في عالم الروح.. فعندما تغشى هذه الهيمنة أو النعاس الشخص تجعله إذن في حالة أمن وسعادة قلبية وثقة بالله وقوة لا نظير لها.. وقد يكون هذا الشخص الواقع تحت الهيمنة في قوة عشرة رجال أو أكثر.. ومن الممكن مشاهدة قدرة الوسيط على تحمل الأذى في فقراء الهنود وأشباههم.. وكيف ينام الفرد منهم في حالة شبه غيبوبة على فراش

من السيوف أو يضرب في صدره بسكين دون أن يدمى قطرة دم واحدة..

لذا فمن المحتمل أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حروبه وقتاله كان مؤهلاً لأن يتقبل كل أصناف الضرب والرشق دون أن يشتكي بناء على النظرية السابقة.. والجندي الواحد من جنوده المستغرقين في قتالهم ناسين أنفسهم كان في قوة عشرة رجال أو أكثر كما جاء ذكر ذلك في وصف موقعة بدر..

إذ يقول جل وعلا في محكم آياته:

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾} [الأنفال: ٦٥].

ويقول أبو طلحة رضى الله عنه: " كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً.. يسقط وآخذه.. ويسقط فآخذه ".

ونجد ظاهرة هذه الغيبوبة أو النعاس في القرآن المجيد في مناسبتين وهما أكبر موقعتين اشترك فيهما الرسول صلوات الله وسلامه عليه موقعة بدر وموقعة أحد.

ففي الأولى يقول الله تبارك وتعالى:

{وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } [الأنفال: ١٠ -

١٢].

وفي الثانية يقول جل وعلا:

{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [آل عمران: ١٥٣].

ويتبين من ذلك أن ما أصاب المسلمين من غم لتفرقهم في الموقعة قد غطى عليه الغم الذي أصابهم عندما اكتشفوا سقوط الرسول وجرحه وظنوا الظنون وقد يجدر الذكر هنا أن علاج الغم بغم هو من أحدث وسائل العلاج النفسي المعاصر.. ثم يصف القرآن الكريم الطمأنينة التي نزلت بعد ذلك الدفاع المجيد.. وكيف كانت هذه الجماعة التي دافعت باستماتة عن الرسول تحت هيمنة روحية أفقدتهم الاهتمام بأنفسهم واستغلت أجسامهم وصنعت منها ذلك الدرع الواقي:
يقول الله تعالى:

قال تعالى:{ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾} [آل عمران: ١٥٤].

5- **التجسد:**

لقد رأينا في موقعة بدر وغيرها نزول الملائكة وجند الله عز وجل

على حد تعبير القرآن والتعاون بين العالمين عالم المادة وعالم الروح على نصرة دين الله وإعلاء كلمة التوحيد.. وإزهاق كل ما هو باطل.. وقد ورد أن من ضروب هذا التعاون رمي الملائكة والأرواح من جند الله أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبال أو طعنهم بالسهام.. ولا يشترط أن تكون هذه الأرواح كاملة التجسد أو مرئية أو محسوسة للجميع.. وإنما كان يراها الرسول وبعض من لديهم موهبة لجلاء البصري من الصحابة.. وهي في هذه الحالة يمكنها أن تسحب قوة أي إكتوبلازم من أجساد المحاربين المسلمين وتحولها إلى قذائف أو أسهم أو تجلب بها أحجاراً لتلقيها على رؤوس الأعداء..

وكما اشتركت الملائكة في معارك الرسول صلى الله عليه وسلم ضد الكفار والمشركين فقد اشتركت أيضاً من قبل في حروب الأنبياء السابقين، فهذا هو النبي داود يقول عن الملائكة التي ساعدته على أعدائه في التوراة: (أرسل سهاماً فشتتهم برقاً فأزعجهم).

وفي موضع آخر من التوراة وصف ملاك الرب الذي حارب مع داود:

" وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب جيش آشور الذي بلغ مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا... "

وفي موضع ثالث تتكلم التوراة عن رؤية يشوع وبعد عودة بني إسرائيل إلى الأردن:

(وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر، وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسار يشوع إليه، وقال له: هل لنا

أنت أو لأعدائنا فقال: بل أنا رئيس جند الرب).

ونصر الله من قبل حزقيال على سنحريب ملك آشور:

(فأرسل الرب ملاكاً فأباد كل جبار بأس ورئيس وقائد في محلة ملك آشور).

وكانت الأرواح أحياناً تساعد بطريق آخر وهو تسليط حيوانات أو حشرات... إلخ كما حدث عند إرسال الجراد وغيره إلى قوم فرعون.

تقول التوراة: (ثم قال الرب لموسى: مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد).(فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل).

(ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة، وانشق الماء والنبي موسى هنا عندما خرج ببني إسرائيل من مصر جاء جبريل، فاقتحم البحر وتبعه موسى وقومه ومن ورائه فرعون وجيشه).

وجاء في كتاب قصص الأنبياء للنيسابوري:

" وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فما أدرك فرعون الغرق قال:{ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٩٠].. ثم جعل جبريل يديه في فيه من جمان البحر).

ومن هنا نرى أن جبريل حارب مع النبي موسى عليه السلام كما حارب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضاً رأينا كيف تجسد ملكان وذهبا إلى لوط عليه السلام، ورجما قريته فأهلكا قومها المجرمين في غمضة عين وجعلا عاليها سافلها.

الباب الرابع: العلاج الروحي والظواهر الفيزيقية لدى الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع

العلاج الروحي والظواهر الفيزيقية لدى الرسول ﷺ

الفصل الأول:

العلاج الروحي لدى الرسول صلوات الله وسلامه عليه

تؤكد روايات السيرة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعالج بعدة طرق منها:

1ـ وضع اليدين والدعاء للمريض والنفث

فعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه عندما مرض وزاره النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(ثم وضع يده على جبهتي ثم مسح يده على وجهي وبطني ثم قال:{اللهم اشف سعداً وأتم له هجرته} فمازلت أجد يده على كبدي فيما يخال إلى حتى الساعة).

وعن جرير رضى الله عنه قوله:

(كنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدره، وقال:{اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً} قال: فما وقعت عن فرس بعد).

وعن السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قولها:

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً.. ".

وعن أبي جحيفة قال:

" إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مرة إلى البطحاء وقام الناس

فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك.. ".

وعن ابن عباس رضى الله عنه:

" جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره وفتح فمه فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي ".

وقد يجدر الذكر هنا بأن من يقرأ كتب أو مجلات علم الروح الحديث (الباراسيكولوجي) يجد أن الكثير من الجلسات تعقد يومياً في المراكز الروحية في جميع أنحاء العالم وخاصة في الدول المتقدمة للقيام بعلاج المرضى علاجاً روحياً.. فلنتأمل كيف يحدث هذا النوع من العلاج..؟

يقول الدكتور هوارد كولير مؤلف كتاب " النظرية الحديثة وممارسة العلاج " عن العلاج الروحي:

(أنه يقوم على الاستسلام مع الرضا النفسي بصفة عامة من حيث أنها شخصية لإرادة الله تعالى - ولكي تعالج شخصاً عليك أن تتصل بالكل ولكي تعالج أنت عليك أن تصبح في الكل).

ولا نجد في هذا الوصف للعلاج الروحي بالاستسلام إلا التعبير الصريح عن معنى الإسلام، والعلاج الروحي قسمان علاج حضوري وعلاج غيابي، ففي الحضوري يقوم الوسيط المعالج، بوضع يديه أو يصلي، وهو في حالة يقظة أو غيبوبة على أماكن المرض فتشفى في لحظتها أو بعد بضع جلسات.

وعن عثمان بن حنيف:

أن أعمى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يكشف لي

عن بصري قال صلى الله عليه وسلم :{انطلق فتوضأ ثم صلي ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في}. قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره.

وعن حبيب بن فديك:

" أن أباه أبيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئاً فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر ".

وقال حبيب:

" فرأيته يدخل الإبرة وهو ابن ثمانين ".

وعن على رضى الله عنه:

" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة ابن الأكوع يوم خيبر فبرأت ".

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

" كان رسول الله إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي "..

هذا والنفث هنا معناه النفخ الخفيف بدون ريق، وقد يلاحظ من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها أنه يفضل مع قراءة المعوذات النفث والعلاج باليد في ذات الوقت.

وقد عولجت لا الأمراض العادية فحسب بل المستعصية أيضاً من شلل وسرطان.. إلخ.

وبات هذا الفرع من العلاج محط أنظار العالم في الدول المتقدمة ويعترف به الأطباء من بين طبقات المثقفين الآخرين..

هذا ويشبه الكثير من العلماء والباحثين المتخصصين جسم الإنسان والقوى غير المنظورة فيه بالجسم المغناطيسي.

يقول مستر أوزلي عن اليدين وتشبيه جسم المريض بالدائرة الكهربائية ما يلي:

" اليد اليمنى أو الموجبة تستخدم لإرسال الذبذبات العلاجية في جسم المريض واليد اليسرى أو السالبة تستخدم لقفل الدائرة ولسحب الحالات السلبية من المريض.. "

ويقول الدكتور كوتس عن فائدة اليد في كتابه " المغناطيسية البشرية ":

" وتستخدم يد الإنسان بالفطرة في رفع الألم والعلاج.. والعملية كلها عملية طبيعية سواء استخدمت للعلاج الذاتي أو لعلاج الآخرين.. "

كما يقول كوتس عن " النفث " في ذات الكتاب:

" الفم بؤرة للمغناطيسية البشرية والإشعاع اللوني والمعالج المتقدم يمكنه أن يرسل بالقوة العلاجية بالنفث على المريض.. "

كما ثبتت بالتجربة القاطعة فائدة الدعاء والصلاة فقد ثبتت بالتجربة القاطعة فائدتها في إنماء النبات وعلاج الحيوان أو الإنسان.. وهناك مجلات وكتب تحوي أبحاثاً عديدة في هذا الموضوع الآن.. "

هذا ويؤكد العلماء الروحانيون الحديثون.. بأنه يشرف على الحركة العلاجية الروحية من عالم الروح اليوم أرواح عالية - بإذن الله

تعالى - لأن القاعدة الروحية لديهم أن كل وسيط روحي يكون له روح مرشد.

يقول الدكتور على راضي في هذا الخصوص " المصدر السابق ":

(... يشرف على الحركة العلاجية الروحية من الجانب الآخر اليوم أرواح عالية مثل السيد المسيح عليه السلام ومساعديه مثل السيد عبد اللطيف البغدادي القارسي الذي يقوم بنشاط كبير في مختلف الدوائر الروحية ومنها دوائر في إنجلترا.. حيث رأوه ورسموا له صورته.. وكان يستخدم الوسيط باريش الذي توفي منذ عدة سنوات وهو الآن ما يزال يستخدم وسطاء آخرين هذا ومن أشهر الوسطاء المعالجين هاري إدواردز في إنجلترا والذي يسمى تلميذ المسيح.. وهو يقوم بالعلاج أحياناً في قاعة ألبرت هول التي هي من أكبر قاعات لندن أمام الآلاف من المشاهدين..

هذا ولما كانت القاعدة الروحية هي أن كل وسيط روحي له روح مرشد هو الذي يرشده للعلاج - بإذن الله تعالى - فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذن كوسيط علاجي كان روحه المرشد هو جبريل عليه السلام..).

* * *

2ـ الريق وخلافه

عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل في عينيه يوم خيبر وكان به رمد فأصبح بارداً.

وعن أبي سعيد قوله:

" أن رجل لدغ فأتى به للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.. فانطلق صلى الله عليه وسلم يتفل على اللدغ ويقرأ:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢} [الفاتحة: ٢] فكأنما نشط من عقال وانطلق يمشي وما به قلبه.. "

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنها أخرجت جبة طيانسة وقالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى ليستشفى بها بإذن الله تعالى، وتروي كتب السيرة أيضاً أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا توضأ " كادوا يقتتلون على ماء وضوئه.. "

جاء في مقدمة كتاب الموتى أن عادة التفل أو الريق تدل على العلاج.

وقال مستر تومسون في مؤلفه الشهير " أرض ماساي " :

" كانت تغمس قطع صغيرة من الورق في الماء.. وبعد أن يتفل عليها ينتهي الاحتفال وكانت القطع توزع على أنه علاج أكيد لا يمكن أن يفشل.. "

ونحن نجد أيضاً لاستخدام الريق أو الماء في العلاج نظيراً في طرق العلاج الحديثة جداً يأتي نتائج أكيدة...

يقول مستر وزلي في كتابه " العلاج المغناطيسي " :

" إن الإنسان يمكنه أن يشبع كمية من الماء بمغناطيسيته الخاصة وبعد إذ يعطيها للمريض ليشربها كالدواء ".

كما يقول:

" أن المعالج يمكنه أن يشبع قطعاً من القماش بنفسه ويعطيها للمريض ليضعها على الجزء المعتل منه فيشفى ".

ويقول الدكتور متز:

أن المعالج يمكنه أن يحمل أي شيء آخر زهرة مثلاً بقوته العلاجية ليستعملها المريض بدوره.

وهناك تجربة طريفة أجراها العالم الدكتور بيكرت في جامعة جوتنجن بألمانيا نشرتها مجلة فيبيت عدد مارس 1961 عن الزاوية السيكولوجية المتعلقة بأثر الإفراز الحيواني لشخص " اللعاب - العرق " على صلته الآخرين - واختار الدكتور بيكرت لهذه التجربة فريقاً من الشبان وفريقاً من الشابات دون أن يعرف أفراد أي فريق أحداً من الفريق الآخر وأخذ يستخرج اللعاب أو زيت الجلد من كل شاب على حدة، ثم ينقيه كيماوياً، ويقويه ثم يضعه في الحلوى أو الفاكهة وجاء بالشابات ليعطي كل واحدة منهن شيئاً من هذا الطعام.. فكانت النتيجة، أن كل فتاة أصبحت تبحث في شغف عن الفتى الذي أكلت لعابه والأدهش من هذا أنها استطاعت بقوة مجهولة أن تتعرف عليه من الفريق الآخر ومن هنا نرى أن ما روته كتب السيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قائم على أساس من العلم الحديث الذي يمارسه علماء أو ملهمون في العالم الآن.

* * *

3- إجراء عمليات

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: من ضمن ما قاله عن موقعة أحد:

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل به فيقول: ارم به، وقد رمي رسول الله يومئذ عن قوسه حتى اندقت، وأصيبت يومئذ عين قتادة، حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه.. ".

وفي رأينا إن إعادة عين قتادة - بإذن الله تعالى - بعد خروجها عن موضعها ووقوعها على وجنته ليس بشيء شاذ على القوانين الروحية على أية حال - وقد سبق لأبيه النبي إبراهيم عليه السلام أن أعاد الحياة - بإذن الله - كلها لبعض الطيور بعد قتلها كما ذكر في القرآن الكريم. إذ قال تعالى:

قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾} [البقرة: ٢٦٠].

وفي العصر الحديث نجد في كتب ومجلات علم الروح الحديث وغيرها.. الحديث عن كثير من العمليات التي تجريها أرواح..

هذا وقد جاء في البخاري على لسان السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتي

النساء ولا يأتيهن فقال صلى الله عليه وسلم :{يا عائشة إن الله قد أفتاني فيما استفتيت فيه. أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل قال: مطبوب قال: ومن طبه قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً، والله قد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً}.

وفي هذه الرواية نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يخضع لما يخضع له البشر الآخرون من تأثير السحر أي للقانون ثم يستنجد فيأتي له معالجان " روحان متجسدان " يجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند قدميه ويكشفان عليه ويعلمان أن به سحراً ثم يعملان على علاجه روحياً ويعود إلى طبيعته الأولى. وليس الأنبياء معصومين عن الأمراض.. فقد كان أيوب مصاباً بمرض جلدي.. وموسى بالعي في النطق..

ولقد كان جبريل عليه السلام نفسه يعالج النبي صلى الله عليه وسلم فعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

" كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل نفسه قال:{بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين}.

ولا ريب أنه من هذا الحديث ينبع برهان كبير على وجود المعالج الروحي ومقدرة الروح من عالمه فكما أن البشر تصلي من أجل علاج مريض أو حل مشكلة.. تصلي الملائكة كذلك لنفس الغرض.

قال الله تبارك وتعالى: قال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب:

٤٣].

وجاء في الحديث الشريف:{إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء أمين، فوافقت أحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه..} رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده..

لذا فقد نرى أن منح هذا العلاج الروحي من عالم الروح لا يكون إلا لمستحقيه الذين يعلمهم الله سبحانه وتعالى من عالمنا.

هذا ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أهل بيته وغيرهم العلاج الروحي باستخدام وضع اليدين والدعاء.

وقد جاء في صحيح مسلم:

" عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر}.

وفي حديث لأم المؤمنين أم سلمة قال:

" أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم من السفعة " البقعة " التي أصابت الجرية في وجهها ".

وقد جاء ذكر العلاج الروحي في الزمن القديم.. ففي كتاب " أول فرعون " نجد أن عبد الله " الذي كان يؤمن بالإله الواحد ويدعو إليه " كان يستمع لوحي الروح التي كانت تطلب منه علاج رجل مشلول وذلك بوضع يديه عليه فيقول:

" وذهبت إلى الرجل وفعلت مثلما طلبت مني، وشعرت بالقوة تمر

خلالـي، وبالتـدريج أخـذت الرعشـة التـي كانـت تـهز جسـده تضـمحل وأصبح ساكناً، وبعد قليل استطاع أن يقوم ".

كما أن المسيح عليـه السـلام كـان نموذجاً لوسطاء العـلاج الروحـي، وتوجد أمثلة عديدة على ذلك ومنها ما جاء في إنجيل يوحنا وكيف كان يصف علاجه لمريض بواسطة الإيحاء " وهو من أسس العلاج الروحي "

"... وكان هناك إنسان بـه مرض منذ ثمان وثلاثين سنة " هذا رآه يسوع مضطرباً وعلم أنـه لـه زماناً كثيراً قال لـه يسوع: قم احمل سريرك وامش فحالا برئ الإنسان وحمل سريره ومشى ".

واليوم يؤمن بـالعلاج الروحـي ملايين المتعلمين والمثقفين فـي جميع أنحـاء العـالم وخاصـة فـي الـدول المتقدمـة وقـد بـدأ تزايـد الاهتمـام بـالعلاج الروحـي علـى مستوى العـالم فـي مـارس 1963 حيث عقد مؤتمر جنيف للتنمية الاقتصادية حيث نادى عالم أمريكي هو الدكتور ألكسندرليتون أستاذ علم الاجتماع بجامعة كورنيل: بإقامة مراكز في مختلف المنـاطق الريفيـة للدول الناميـة للعلاج عن طريق الاستعانة بخبراء العلاج الروحي وعلى أثر ذلك كذب رجال الدين الحرفيون فـي أول الأمـر العـلاج الروحـي ثـم بعد ذلك أصدرت الكنيسة فـي إنجلترا قراراً اعترفت فيه بقوة العلاج الروحي على شرط أن يقوم به رجال الكنيسة أنفسهم.

وفي مصر قال فضيلة الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر في حديث إذاعي في هذا الخصوص:

" إن العلاج قد يتم للمريض على أثر دعاء رجل صالح لـه.. ولكن

يبقى تحديد من هو الرجل الصالح وهل هو ضرورة رجل الدين ".

تراجع صحيفة الأهرام عدد 1963/3/1:

وقد علق على رأي فضيلة الشيخ آنذاك بعض العلماء الروحانيين في مصر ومنهم العالم الدكتور / على راضي فيقول في كتابه الروحية والدين رداً على ذلك:

(كما يجب علينا أن نقول لفضيلته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعالج بالدعاء وباليد في وقت واحد وليس بالدعاء وحده.. فاليد فيها قوة أو بركة أخرى.. وبركة يده كان معها تعاون جبريل عليه السلام أي الروح المعالج معه والطريقة التي اتبعها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في العلاج هي نفس الطريقة التي يتبعها كل المعالجين الروحيين في عصرنا هذا).

إن معظم الأنبياء قاموا بالعلاج الروحي وأمروا به فلا يجدر بنا ونحن أتباعهم أن نكفر بجزء من عملهم ولنا أسوة في حجة الإسلام الإمام الغزالي الذي قال عنه الغربيون وذكره الأستاذ العقاد في صحيفة الأخبار عدد 11 ديسمبر 1963 أنه: " أكبر مسلم في العالم كله ظهر بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد ذكر في كتابه " المنقذ من الضلال " عن وجود الوساطات لدى العامة بنسبة من وجودها لدى الأنبياء: " لأن معك أنموذجاً منها وهو من مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والفلك وهي معجزات الأنبياء ". " فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها أنموذج ولا تفهمها أصلاً فكيف تصدق بها وإنما التصديق بعد الفهم ".

والعلاج الروحي على أية حال هو نوع من الاتصال الروحي والعامة

تعترف بصحته لأنه يحدث لها بين الحين والآخر وبالاعتراف به اعتراف بنزول الأرواح:

قال تعالى:{رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾} [غافر: ١٥].

وفي رأينا أننا نتفق مع فضيلة الشيخ شلتوت في حسمه لقضية الدعاء كعلاج روحي بأن يكون الدعاء صادرًا من إنسان صالح بل وقد نضيف وأن يكون الدعاء صادرًا لمن يستحقه.

ولا نختلف أيضاً مع الدكتور راضي في استخدام بركة اليد مع الدعاء أسوة بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتفق تماماً مع فضيلة الشيخ شلتوت عن تساؤله عن تحديد من هو الرجل الصالح.. وهل هو بالضرورة رجل الدين؟ وحيث أن تحديد ذلك وعلمه فقط عند العليم الخبير سبحانه وتعالى، وأن احتمال الخطأ فيه وارد تماماً عند البشر لذا فإنه لا يجب التعويل فقط على العلاج الروحي.. بل يجب أيضاً الاجتهاد في الأسباب فيما أتى العلم به من علاج دوائي أو جراحي وأن يكون مصاحباً للعلاج الروحي.

وعلى أية حال وفي كل الأحوال بهد الاجتهاد في الأسباب سواء روحياً أو مادياً فإن الشفاء لا يأتي إلا من العلي القدير الشافي المعافي سبحانه وتعالى:

قال تعالى:{وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾} [الشعراء: ٨٠].

* * *

الفصل الثاني:
الظواهر الروحية الفيزيقية

يقول الله تبارك وتعالى في محكم آياته:

قال تعالى:{ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾} [المائدة: ١١١ - ١١٥].

والمتأمل في هذه الآيات يرى أن طلب الحواريين بعد إقرارهم بالإيمان بالله ورسوله من المسيح عليه السلام أن يسأل الله ربه بأن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها لتطمئن بذلك قلوبهم ويتم إيمانهم ويتأكدوا من أنه قد صدقهم قد قوبل بالامتعاض والشك في إيمانهم فبادرهم على الفور بالقول كما جاء في ذكره في القرآن المجيد على لسانه:{ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [المائدة: ١١٢]، كما يلاحظ المتأمل أيضاً أن نزول هذه المائدة كآية كان بناء على دعوة رسوله عيسى.. وكانت مصحوبة بإنذار وتحذير شديدين.. بأن من يكفر بعد نزول هذه المائدة كآية بوحدانية الله وأحديته وبرساله رسوله عيسى عليه السلام أو ينحرف بها عن الصراط المستقيم فإن الله عز وجل سيعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، ومن هنا قد

يتبين لنا ما قد نستطيع أن نتلمسه من حكمة وراء إرادة العلي القدير سبحانه وتعالى في أن يظهر في خاتم رسالاته على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم البراهين العقلية لإثبات وجود الخالق العظيم الواحد الأوحد الأحد للكون.. والابتعاد قدر الإمكان عن الظواهر الفيزيقية أو ما يسميه الناس بالمعجزات الحسية.. إلا إذا ألحت الضرورة بذلك وأملته.. إذ لا يخفى أن مثل هذه الظواهر الذي يعتبرها معظم الناس قليلو الإيمان أعظم البراهين تعتبرها الأقلية الراقية العالية الإيمان أدنى البراهين.. ومن الملفت للنظر أننا نجد أيضاً رفضاً لهذه الظواهر الفيزيقية أو المعجزات الحسية لدى علماء الروح الحديثين وتزخر مؤلفاتهم بهذا الرفض معتقدين بأنه من أدنى البراهين.. لإثبات وجود خالق للكون أوحد باعتبار أن العالم الروحي ما هو إلا عالم بالفكر وليس بالمادة..

يقول الدكتور على راضي:

(إن الظواهر الفيزيقية التي يعتبرها معظم الناس أعظم البراهين تعتبرها الأرواح الراقية أحط البراهين.. وكثير من الأرواح المرشدة التي تزور الجلسة الروحية الآن تأبى أن تقوم بواحدة منها وتكتفي في جلساتها بما يسمى إعطاء تعاليم.. أي محاضرات عن الكون وخالقه العظيم وطبقاته المنظورة وغير المنظورة.. وإذا ما ألح الحاضرون على مشاهدة ظاهرة فيزيقية تخلت هذه الأرواح العالية وأرسلت من هي أدنى منها.. ذلك لأن المادة الفيزيقية هي أقرب إلى تكوين الأرواح الأدنى منها إلى الأرواح العالية).

ويقول:

(والمعجزة قد يقوم بها النبي والساحر على السواء، ألم يقم طليحة

زعيم بني أسد في بلاد نجد ويزعم أنه نبي ورسول وكانت حجته في ذلك قدرته على التنبؤ بموضوع ماء في الصحراء عندما اشتد بقومه العطش؟ وألم يقم الأسود صاحب اليمن بادعاء الكهانة ومعرفة السحر واتخذوا هذا سلاحاً للدعوة لنفسه؟ والمعجزة المادية قد تقنع الناس مؤقتاً وقد لا يقنعون وينكصون عن صناعها.. وهو ما حدث من السيد المسيح عليه السلام فرغم ما أتي به بني إسرائيل من كم من هذه المعجزات إلا أن الأمر انتهى باتهامه بالسحر والشعوذة.. والكفر به وبرسالته.. واتهام أمه السيدة مريم عليها السلام بالفحشاء ولم يبق على مر الزمان من رسالته عليه السلام إلا مواعظه وكلماته..)

ويقول الدكتور هيكل رحمه الله في كتابه " حياة محمد " :

" إن كتب السيرة جميعاً لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء قد ارتدت عن إيمانها حين ذكر النبي أن الله أسرى به ليلاً.. ولم يؤمن سراقة بن جعثم لما رأى محمداً مع ماروت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده.. ولم يذكر التاريخ أن مشركاً آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لمعجزة من المعجزات. ولكن لما كانت عقليات البشر على مستويات مختلفة والمخطئون منهم يطلبون دائماً من أنبيائهم أن يظهروا لهم براهين مادية.. لذا كان على مر التاريخ براهين من هذا النوع لهذا المستوى من البشر، وكانت تتغير هذه البراهين المادية أو المعجزات كما كان يسميها الناس على حسب تخصص النبي أو الزمان الذي يعيش فيه.. إلخ ".

وفي هذا يقول الشيخ الدباغ في " الإبريز ":

(وكانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها فمنها من يوهب لهم بعد الكبر، ومنها ما يتربى مع ذواتهم في حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حال الكبر).

والناس في واقع الأمر لا يشبعون من الظواهر الفيزيقية: وإذا ساروا فيها مشواراً كبيراً طمعوا في المزيد منها، وكأنهم يريدون تلك الأرواح أن تعمل لهم عملهم، وتؤدي عنهم مشاقهم، أو كأن كل واحد منهم يبغي أن يكن مثل النبي سليمان عليه السلام يأمر الجن، فيطاع ويؤتى له بعرش بلقيس، فلقد ظل بنو إسرائيل يطالبون أنبياءهم كل يوم بآية فيزيقية وما اكتفوا ولا اقتنعوا بعد كل هذا العرض المستمر وقتلوهم، وعادوا إلى ضلالهم ومادتهم يعبدون..

لقد جاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم وجود هذه العقدة في جهلة البشر مدركاً ما حدث لأخوته من الأنبياء السابقين.. وأراد أن ينأى بنفسه عن هذا المستوى الأدنى من الوساطة الروحية.. وألا يربط بينهما وبين الوساطة العقلية التي تأتي بالقرآن.. وأدرك أن ما قد يعلمه من ظواهر فيزيقية قد يلتبس على الكثيرين كأنه سحر أو شعوذة لا تمكث إلا القليل ولطالما رد طلباتهم هذه.

يقول الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " :

(أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنس والجن الإتيان بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.. هذه المعجزة هي القرآن..).

وقد قال مثل هذا كثيرون من فلاسفة المسلمين ومفكروهم مثل ابن رشد والإمام الغزالي ومحمد عبده ورشيد رضا.. كما ينادي الإمام

الغزالي بطلب التقدم للحصول على العلم بالمبادرة لا لرؤية معجزة..

جاء في كتابه المنقذ من الضلال:

(فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعباناً وشق القمر.. فإن ذلك لو نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخيل وأنه من الله إضلال فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء).

ويقول العالم الفريد ولاس في كتابه " المعجزات والروحية الحديثة " :(إن المعجزة هي حدث مادي يقوم به عامل عاقل غير منظور ويؤدي إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة).

ويقول الإمام الشيخ محمد عبده في كتابه " رسالة التوحيد " عن المعجزة:

(المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلاً).

ويذكر قدرة الله على كل شيء فيقول: فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات وغاية ما في الأمر أننا لا نعرفها ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده.

ويقول في مقدمة كتابه " الإسلام والنصرانية "

(فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني، الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق العادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير المعتاد).

وجاء في كتاب " الإبريز "

ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي.. كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة رضى الله عنهم فقد تبين أن الخوارق المذكورة تكون أيضاً لغير الأنبياء فليست من أجزاء النبوة بحال).

وعلى كل فالنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه ما كان ليقدم عمداً على عمل المعجزات أبداً، كما قدمنا من قبل، فلقد كان ذلك في أضيق نطاق وليس على الإطلاق للبرهان على نبوته، وإنما لأمور ضرورية وملحة اقتضت ذلك، ولم يكن لها حل آخر كما سنرى في تناولنا ذلك بعد وسبحان من أنزل هذا الكلام:

قال تعالى:{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [العنكبوت: ٥١].

1 ـ انشقاق القمر:

قال الله تبارك وتعالى:

قال تعالى:{ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾} [القمر: ١ - ٢].

ولقد وقعت هذه الآية المعجزة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ليؤكد الله عز وجل صدق نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي آخر الزمان المبشر به إذ كان أهل الكتاب يرددون للكفار والمشركين من أهل مكة، وما حولها أن آية انشقاق القمر الدالة على اقتراب آخر الزمان وقيام الساعة ستحدث في عهد نبي آخر وخاتم الأنبياء والمرسلين وليفحم الكفار والمشركين الطالبين لهذه المعجزة.. وجدير بالذكر أن الله جلا وعلا قد أخبر بوقوع الانشقاق بلفظ الماضي، فيجب تحققه أما حمله على معنى سينشق كما يرى

بعض المفسرين فهو بعيد للأسباب التالية:

أ) إن الأحاديث الصحيحة وما هو مروي في الصحيحين وغيرهما وما رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره وقرأه حذيفة وقد إنشق القمر هي صريحة في الزمان الماضي وتدل على أنه وقع قطعاً.

ب) إن الطالبين لهذه المعجزة وغيرهم رأوها وأن الكفار منهم لما رأوها قالوا: هذا سحر وقال أبو جهل أيضاً هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا رأوا ذلك أم لا فأخبر أهل آفاق مكة أنهم رأوه منشقاً، وذلك لأن العرب يسافرون في الليل غالباً ويقيلون بالنهار.

ج) وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ فرشته أن أهل مليبار في الهند قد رأوه أيضاً وأسلم أمير الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر.

د) كما نقل الحافظ المري عن ابن تميمة أن بعض المسافرين أكد أنه وجد في بلاد الهند بناءاً قديماً مكتوباً عليه: " تم بناؤه ليلة انشق القمر ".

هـ) أكد رواد الفضاء الذي هبطوا على القمر انشقاقه وأعدت تقارير بذلك نقلتها الصحف ووكالات الأنباء كما تحدث عن ذلك تفصيلاً العالم الدكتور / زغلول النجار في أكثر من حديث تليفزيوني على الفضائيات.

* * *

2ـ جلب الماء

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال: فرأيت الماء ينبع من أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم) رواه مسلم. وهذه المعجزة صدرت بالزوراء عند سوق المدينة.

ويجدر الذكر هنا أن معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم قد حدثت في مواطن متعددة لأسباب كانت تمليها الضرورة القصوى فمن المعروف قلة وشح المياه في البيئة الصحراوية وشهدها أصحابه رضى الله عنهم جميعاً، ولا يتسع المجال هنا لسردها جميعاً، ولكن سنكتفي بسرد القليل منها والمروية عن صحابته المقربين رضى الله عنهم الذين شهدوا بأنفسهم ذلك:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال:

عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه، فقال: مالكم؟، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ أو نشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور بين أصابعه، كأمثال العيون، وكان الناس ألفاً وأربعمائة). رواه البخاري.

وعن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك:

(وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه فيه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستسقى الناس). رواه مسلم وأحمد في مسنده.

وفي حديث ابن إسحاق قال: فانهرق من الماء ماله حسن كمس الصواعق ثم قال صلى الله عليه وسلم :**{يوشك يا معاذ أن طالت بك الحياة أن ترى ماهھنا قد ملئ جنانا}**.

عن جابر رضى الله عنه قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جابر ناد بالوضوء، وذكر الحديث بطوله، وأنه لم نجد إلا قطرة في عزلاء شجب، فأتى به النبي فغمره ونطق بشيء لا أدري ما هو، وقال: نادى بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة، وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستسقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى).

وهذه المعجزة كانت في غزوة بواط وقد يجدر الذكر في هذا المقام أيضاً أن معجزة نبع الماء وتفجره من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فقد يكون ذلك ليس بمستغرب أن يصدر من الحجر في الجملة حيث نشاهده الآن في كثير من بقاع الأرض، وأما من لحم ودم معجزة غير مسبوقة لم

يعهد بها من غيره صلى الله عليه وسلم.

* * *

3ـ تكثير الطعام:

ومعجزة تكثير الطعام ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم مروية عن بضعة عشر صحابياً ممن شهدوها وروى ذلك عنهم المئات من التابعين ثم لا يعد بعدهم.. وأكثرها وردت في قصص ومجامع مشهورة أيضاً نسرد منها البعض القليل على سبيل المثال.. إذ لا يتسع المجال هنا كما تقدم ذكره لغير ذلك:

عن سلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم أنهم ذكروا مخمصة أصابت الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد.. فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع وقال سلمة فخرزته كربضة العنز، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه.

قال أبو هريرة رضى الله عنه: " أصاب الناس مخمصة " مجاعة " فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل من شيء؟ قلت: نعم شيء من التمر في المزود، قال: فأتى به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة، ثم قال: ادع عشرة فيأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك حتى أطعم أفراد الجيش كلهم وشبعوا وقال: خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه، فقبضت على أكثر ما جئت به، فأكلت منه، وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهت مني فذهب).

عن أبي أيوب رضى الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه

وسلم زهاء ما يكفيهما من طعام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار، فدعاهم فأكلوا حتى تركوا، ثم قال: أدع ستين فكان مثل ذلك ثم قال: أدع سبعين فأكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحد، حتى أسلم وبايع، قال أبو أيوب رضى الله عنه فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين رجلاً من أقراص شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه.

عن سمرة بن جندب:

أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون.

وعندما كان النبي والمسلمون جياعاً وهم يستعدون لموقعة الخندق يقول جابر: (جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان قال: كم هو؟ فذكرت له قال: كثير طيب قال: قل لها، لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخلت على امرأتي قلت: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، فقالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور، إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية، ثم قال لي: كل هذا وأهد، فإن الناس أصابتهم مجاعة).

وعن جابر أيضاً في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه. ولم يكن في ثمر حديقته كفاف دينهم فجاءه النبي بعد أن أمره بجزها، وجعلها بيادر في أصولها، فمشى فيها ودعا، فأوفى منه جابر غرماءه، وفضل مثلما كانوا يجدون كل سنة.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنه قال:

كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه دجن صاعاً من طعام، وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال: وايم الله ما في الثلاثين ومائة، إلا وقد حز له حزة ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين فحملته على البعير.

عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أن زوجته فاطمة الزهراء طبخت قدراً لغذائهما ووجهت علياً إلى أبيها النبي عليه الصلاة والسلام ليدعوه ليتغذى معهما فأمرهما النبي فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلي ثم لها ثم رفعت القدر وأنها لتفيض قال: فأكلنا منها ما شاء الله.

وعن جابر أن الناس اشتكت للنبي الجوع فقال:

(عسى الله أن يطعمكم فأتينا سيف أي سيف البحر فزخره البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فأطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا).

ويقول الإمام الغزالي في مسائل جلب الماء وتكثير الطعام عند النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب " إحياء علوم الدين " :

وأطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل أبي طلحة ويوم خندق ومرة أطعم ثمانين، من أربعة أمداد شعير وعناق " وهو ابن الماعز

" فوق العتود.. ومرة أكل أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة أكل الجيش، من تمر يسير، ساقته بنت بشير في يدها، فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك، وفضل لهم ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، فشرب أهل العسكر كلهم، وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام يده فيه، وأهرق عليه السلام وضوءه في عين تبوك، ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر حديبية، فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش، وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء، وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يزود أربعمائة راكب ممن كان في اجتماعه، كربضة البعير، وهو موضع بركوة فزودوهم كلهم منه وبقى منه فحبسه).

ونلاحظ فيما تقدم أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قد حصل أولاً الماء القليل أو الطعام القليل، ثم كثره ببركة الدعاء لله، وبإذن الله تبارك وتعالى ليعلم أصحابه، وتابعوه ومن بعدهم المؤمنين بدعوته ورسالته أن الموجد هو لله عز وجل وإنما حصلت البركة بسبب دعاء النبي لخالقه العظيم الذي لا نجاة إلا به ولا ملاذ إلا إليه.. واستجابة المولى عز وجل لهذا الدعاء.. ليؤكد للمؤمنين كرامة هذا النبي وصدق نبوته ودعوته ورسالته..

وهو أيضاً ما تم مع الأنبياء من قبله.. كما يظهر من معجزة إيليا عليه السلام في استجابة الله سبحانه وتعالى له في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة طبقاً لما ورد في سفر الملوك الأول / الإصحاح 17. ومن معجزة أيسع عليه السلام في تكثير عشرين

خبزاً من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مائة رجل وفضل، كما ورد في سفر الملوك الثاني / الإصحاح الرابع.

ومن معجزة المسيح عليه السلام في استجابة المولى عز وجل لدعائه في تكثير خمسة أرغفة وسمكتين طبقاً لما ورد في إنجيل متى الإصحاح الرابع عشر: (فقالوا ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين.. لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل... فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء، وباركهن ثم كسر، وأعطى التلاميذ ليقدموا للجميع فأكلوا وشبعوا جميعاً).

هذا ويقول علماء الروح أن جلب الماء والطعام وتكثيرها يكون بناء على قانون روحي، إذ هو يوضع، ويعد أولاً على هيئة أثيرية غير منظورة ثم بمساعدة الروح، يمكن تكثيفه إلى هيئة مادية للإنسان أن يتحسسها ويشربها أو يأكلها... إلخ.

ويقول الشيخ الجبلي في " الإنسان الكامل " عن التجلي وهو ما يطلق عليه الروحانيون " الوساطة ":

(ومن هذا التجلي.. جعل القليل كثيراً والكثير قليلاً إلى غير ذلك من الخوارق).

* * *

4. سقوط المطر

عن أنس رضى الله عنه قال:

(أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب يوم جمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله، هلكت الكراع، وهلكت الشاة فادع الله يسقينا فمد يده ودعا).

ويكمل أنس:

(وإن السماء لمثل الزجاجة، فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت، فادع الله يحبسه فتبسم، ثم قال:{**حوالينا ولا علينا**} فنظرت إلى السحاب، وقد تصدع حول المدينة كأنه إكليل).

وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جيش العسرة، ذكر ما أصابهم من العطش، حتى أن الرجل ينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر النبي في الدعاء، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعها، حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر.. ".

وقال ابن هشام عن ابن إسحاق واصفاً حادث سقوط المطر في غزوة تبوك:

{**ودعا رسول الله حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس**}.

ويعقب الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد ": على اختلاف الروايات في قصة هذا الأمطار فيقول: (هذا الاختلاف في الواقع يجعل تأكيدها والقطع بها أمراً غير ميسور في العلم).

ولو كان طال العمر بالدكتور هيكل رحمه الله إلى أيامنا هذه لأيقن أنه بني رأيه هذا على أساس خاطئ، ولاعتذر يقيناً عن هذا.. فلقد أصبحت الأمطار الصناعية ممكنة اليوم ونسمع عن نجاح تجاربها في أمريكا ودول الخليج العربي وجنوب شرق آسيا.. وغيرها.. وما يعمله العلم الكلاسيكي تعمله الروح على نطاق أوسع بكثير.. فالوساطات الروحية المختلفة ما هي إلا عرض لقدرات علمية فوق مستوى العلماء الكلاسيكيين بكثير.. كما أنه ثبت يقيناً وتجريبياً أن الكثير من الظواهر الفيزيقية يمكن إحداثها بالصلاة والدعاء للخالق العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى.

* * *

5ـ معجزات أخرى

عن ابن عمر رضى الله عنه قال:

(كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه إعرابي فقال:{يا أعرابي أين تريد؟} قال: أهلي: قال:{هل أدلك إلى خير؟} قال: وما هو؟ قال:{أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله} قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال:{هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي. فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت كما قال ثم رجعت إلى مكانها}.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي:

(أرأيت أن دعوت هذا العزق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فدعاه حتى أتاه، فقال: ارجع. فعاد مكانه).

وعن جابر رضى الله عنه:

{كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له لمنبر سمعنا لذلك الجذع صوت كصوت العشار}.

وفي رواية أنس بن مالك رضى الله عنه:

{حتى ارتج المسجد لخواره}.

وفي رواية سهل:{وكثر بكاء الناس لما رأوا ما به}.

وفي رواية المطلب:

{حتى تصدع وانشق جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت}.

وتروي كتب السيرة أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث مع الغزال واشتكى إليه البعير، كما يروي لنا البخاري عن أعرابي يدعي أسيد بن حضير، جلس يقرأ القرآن فكلما قرأ أخذت فرسه تؤدي حركات غريبة.. فيقول البخاري: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكتت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف).

ثم يصف الإعرابي دهشته فيقول:

(فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل المظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها).

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

{وتدري ما ذاك؟ قال: لا قال: تلك الملائكة دنت لصوتك}.

ونجد هنا أن قراءة القرآن حضرتها كوكبة من الملائكة فرأتها الفرس لأنها تتمتع بالجلاء البصري ويبدو أن ابن حضير لم يرها إلا عند انصرافها، بعد أن أنهى قراءته، ولم يتبين شكلها الحقيقي، وكل ما رآه هو مظلة مضيئة ترتفع.. إذن ليس معنى جولان الفرس، أنها كانت تفهم القرآن، وإنما المعنى هو رؤيتها للملائكة كما فسر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له..

ومنذ فجر التاريخ والقصص تحكي عن أناس يمكنهم التخاطب مع الحيوانات.. وقد جاء ذكر تلك الحقيقة في سورة النمل في القرآن

الكريم عندما خاطب نملة النبي سليمان ففهم ما تقول:

قال تعالى:{وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾} [النمل: ١٦].

قال تعالى:{حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل: ١٨ - ١٩].

وحتى يومنا هذا يوجد أناس من هذا القبيل.. فلقد أثبت علم الحيوان الحديث لكل حيوان أصوات وإشارات خاصة وبفهمها يمكن فهم ما يعنيه.. والأبحاث مستمرة وفي تقدم كبير في الدول المتقدمة حالياً.. هذا من ناحية العلم.. أما من ناحية الوسطاء فيوجد منهم من يسمع أصوات الحيوان التي لا يسمعها الناس العاديون..

فمثلاً تقول لزلي كريلز في مجلة فيت أنه يمكنها أن تسمع غناء الفئران وتفهم لغة تخاطبها.. وتدرك شعور الحيوان من فرح وحزن..

وتقول العالمة إندرا ليفي في كتابها " اليوجالك " أن صديقاً يدعى ألين بون قال لها: أنه يوما فكر في أن يتخلص من النمل في منزله بواسطة رش مسحوق مبيد، ولكنه فكر في أن هذه المخلوقات ما هي إلا جزء من الحياة العظمى ولها الحق في الوجود.. وبعد تردد عزم على أن يكلمه قائلاً: أنه يحترم رغبته في حب الحياة، وأنه لن يقتله، وإن مكانه الطبيعي في الحديقة أي في الخارج، ولهذا فهو يرجوه أن

يخرج، وترك له يومين مهلة بعدها لـه الحق في اتخاذ ما يرى من إجراءات إذا لم يصغ إليه.. والذي حدث أنه بعد يومين اختفى النمل.

وتقول أيضاً أن بعض البوجيين: " لأنهم يتوافقون مع كل مخلوق حي يمكنهم أن يروضوا حتى النمور والحيوانات المتوحشة الأخرى ". وتقول: " ومنذ ذلك الوقت بدأت أتكلم مع كل الزواحف التي كان من بينها حية جميلة كنت وجدتها بين غرائب معبد قديم في كمبوديا ".

عن جابر رضي الله عنه أنه ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة، وأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلوات الله وسلامه عليه، ويقول لهم:{كلوا ولا تكسروا عظماً} ثم أنه صلى الله عليه وسلم جمع العظام، ووضع يده عليها داعياً سبحانه وتعالى أن يحييها مرة أخرى، فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها، وهنا قد نستطيع أن نتلمس مدى بركة دعاء الرسول، حينما يتوجه به إلى مرسله وخالقه العظيم، حتى فيما يتعلق بإعادة الحياة..

والمتتبع لسيرة الرسول يوقن بأن الله عز وجل لم يرد دعوة دعاه بها صلى الله عليه وسلم. إذا كان من المؤكد أن المعجزة الأولى والأساسية التي أوتي بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه هي القرآن المجيد الموحي به من العلي القدير بالروح الأمين جبريل عليه السلام، على قلب رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهي معجزة عقلية بالدرجة الأولى، أنعم بها الله عز وجل على محمد وأمته الإسلامية والإنسانية جمعاء والعالمين وتحدى به الجن والإنس إلى قيام الساعة، أن يأتوا بسورة من مثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.. إلا أنه جل وعلا تبارك وتعالى أيضاً أنعم على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بجمع عديد من المواهب الروحية لم تجتمع

بهذا التكامل فيمن سبقوه من الأنبياء والمرسلين كما أنعم عليه أيضاً، وطبقاً لما تتطلبه الظروف وتمليه الضرورة بمعجزات حسية تفوق في مجملها، ما أوتي أي من سبقوه من إخوته الرسل والأنبياء.

* * *

الفصل الثالث:

عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحمايته من القتل

قال الله تبارك وتعالى:{قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾} [الطور: ٣١ - ٣٤].

تؤكد روايات السيرة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نجا بفضل الله تعالى وحمايته له من محاولات عديدة لقتله - وكانت كلها على المستوى البشري محكمة، والأمل في الإفلات منها ضعيفاً، وخاصة أنها دبرت في بيئة صحراوية، يتميز أهلها بالإقدام والغلظة والعنف والقسوة إلخ.. إلا أن الله عز وجل أراد له أن يحيا حتى يكمل أعظم الرسالات على الأرض منذ خلق آدم وحتى قيام الساعة بالرغم من كل ما دبر له.. وليأخذ لحكمة أرادها الله عز وجل - بثأر ما سبقه من الأنبياء والمرسلين الذين أهدرت دماؤهم من بني إسرائيل والذين كان آخرهم المسيح عليه السلام.

وقدر الله جل وعلا أن يعيش ثلاثة وستين عاماً، وفي هذه المدة أعطاه مرسله وخالقه العظيم الفرصة ليمارس كقدوة وأسوة حسنة حياة البشر من حقوق وواجبات ومن جهاد ونصب وجوع وعطش وزواج وطلاق ونصر وهزيمة ومرض ثم موت..

كما شاء له العلي القدير أن يكون من أسباب موته حمى من أثر تعاطيه لسم قديم - فلقد أهدت له زينب ابنة الحارث، امرأة إسلام ابن مكشم شاه مصلية. وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقيل: لها الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأسافها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: (إن هذا العظم ليخبرني إنه مسموم) ثم دعابها، فاعترفت، فقال ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر من أكلته التي أكل..

فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يحفظه ويحوطه من أدران الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً حتى ما اسمه في قومه إلا " الأمين " ولما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

نعم لحكمة ما أرادها المولى عز وجل أنجاه خالقه العظيم من الموت فور تعاطيه هذا السم، وأخبرته عظام الشاة، بأنها مسمومة حتى يلفظها.. ولحكمة ما أرادها المولى عز وجل أن يتحمل أثر ما تناوله من سم لعدة سنوات حتى يكمل رسالته على أكمل وجه.. ولحكمة ما أراد خالقه العظيم أن تكون من أسباب الحمى التي سبقت وفاته صلوات الله وسلامه عليه إثر تعاطيه لهذا السم.

وفي رأينا المتواضع إذا ما تلمسنا البحث في بعض جوانب هذه

الحكمة على قدر علمنا المتواضع هو أن ينال صلوات الله وسلامه عليه أيضاً جزاء الشهادة في سبيل الله ونشر خاتم وأعظم رسالات العلي القدير على الأرض.

ولنرى معاً بعض من هذه المحاولات لاغتياله، وقتله من أعدائه وأعداء رسالته على الأرض التي أنجاه الله تبارك وتعالى منها:

1) قصة بحيرى الراهب وإكرامه للوفد الذين معهم النبي ومنع قوم من أهل الكتاب من إيذائه: قال ابن إسحاق:

"... ثم إن أبي طالب خرج في ركب تاجر إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له (أبو طالب) وقال: لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً أو كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصري من أرض الشام وبها راهب يقال له: بحيرى في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب إليه بصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيري، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنعاً لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يزعمون.. عن شيء رآه وهو في صومعته، وهو أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، قال: ثم أقبلوا، فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهمرت أغصان الشجر على رسول الله، حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت

لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحريمكم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى: إن لك لشأنا اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً!! فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت فقد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله من بين القوم ـ لحداثة سنه آنذاك في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، وقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد يتبقى له أن يأتيك إلا غلاماً، وهو أحدث القوم سناً، فتخلف في رحالهم فقال: لا تفعلوا ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم، قال: فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى، جعل يلحظه لحظاً شديداً، ونظر إلى أشياء من جسده، وقد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى وقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى، إلا ما أخبرتني عما أسالك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها فعلموا أنه رسول الله قال: لا تسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً بغضها. فقال بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال: سلني عما بداخلك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وقال

ابن هاشم، وكان مثل أثر المعجم (65 صحيح السيرة / صحابة 177).

وقال ابن إسحاق: " فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فأنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام. فزعموا فيما روى الناس أن زريراً وتماماً ودريساً وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب. فأرادوا إيذاءه فردهم عنه بحيرى وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وارجعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا، ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه (66 / صحيح السيرة / صحابة / 178).

2) مرة جاء أبو جهل يقول لقومه: (يا معشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب دينكم، وشتم آلهتكم، وتسفيه أحلامكم، وسب آبائكم، إني أعاهد الله لأحبسن له غداً بحجر لا أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم..)

وبالفعل في صباح اليوم التالي، أخذ الحجر وذهب إلى النبي حتى إذا سجد رفع أبو جهل الحجر وتوجه نحو النبي.. حتى إذا اقترب منه

نكص على عقبيه في فزع ووجهه مكفهر، وقذف الحجر أمام الموجودين قالت له قريش: (ما لك يا أبا الحكم قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل والله ما رأيت مثله قط. هم بي أن يأكلني..)

وقد ضحكت قريش من قول أبي جهل هذا واستهزأت به... إلا أنه عندما ذكرت رواية أبي جهل للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك قال: ذاك جبريل ولو دنا لأخذه..

وقد يتضح من هذا الحديث أن جبريل عليه السلام المأمور بحماية الرسول، قد أتى بجمل من عالم الروح - بإذن الله تعالى - بذات المواصفات التي رآها أبو جهل ليراه أبو جهل وحده، فيرتعد منه ويولي هارباً، ويقذف الحجر بعيداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتفسر ذلك في علم الروح الحديث هو أن الاتصال الروحي يعتمد في الأساس على الحالة العقلية والخلقية، التي تهيئ للشخص نوع الروح الذي يتصل به ودرجته من الرقي أو الانحطاط، فأبو جهل هنا يتجه مباشرة نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وفي قلبه ظلمة وضغينة وحقد، وخوف من هذا الشاب المبارك وهذه المشاعر من طبيعتها أن تجذب الأرواح السفلى - فيأمر جبريل - بإذن الله تعالى - أن يتدلى من العوالم السفلية حيوان ضخم يخيفه فيتدلى هذا الجمل - وهو الحيوان المتداول عند العرب وبالأوصاف التي ذكرها أبو جهل يهجم عليه ويجعله يفر..

هذا ومن المعروف إن علماء الروح الحديث يؤكدون على أن هناك

حيوانات في عوالم الروح، إلا أن مستواها منخفض بالطبع عن مستوى أرواح الآدميين.

يقول الدكتور على راضي في كتابه (الروحية والدين):

" الحقيقة أن لأرواح الحيوانات عالمها هناك وهو مستوى منخفض بالطبع عن مستوى أرواح الآدميين.. والحيوان يمكنه أن يقابل صاحبه هناك إذا أراد هذا الصاحب، رؤيته فترة ثم يعود الحيوان إلى مكانه.. وقد ذكرت في كتبي الأخرى أمثلة تثبت خلود أرواح الحيوانات وإمكانية هبوط هذه الأرواح إلى عالمنا في بعض الأحيان.

وتحكي سلفيا في كتابها (عندما يموت حيوانك): " كيف تجسدت قطتها وجلست على فراشها كما تجسدت كلاب وأخذت لها صور بعد موتها.. ".

3) هذا وتروي لنا كتب السيرة (ابن هشام) أنه قد تكرر هذا الحادث مرة أخرى عندما جاء مجرم عنيد هو كلدة بن أسد ورمى النبي محمداً بمزراق، وهو يمشي قاصداً المسجد وحيداً.. فرجع المزراق إلى صدر كلدة فرجع قريش يقول لها:

(ويحكم ما ترون الفحل خلفي؟) قالوا ما نرى شيئاً، قال: (ويحكم فأني أراه).

لقد رأى روحاً على هيئة فحل يسير وراءه ويضربه بنفس المزراق الذي كان يستعمله.

4) وقال ابن إسحاق: " فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب (زوجة أبي لهب) حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن - أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس في المسجد عند الكعبة،

ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ترى إلا أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذمماً عصينا أبينا ودينه قلينا، ثم انصرفت فقال أبي بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني، وقال ابن هشام: قولها (ودينه قلينا) عن غير ابن إسحاق (133 / صحيح السيرة / صحابة / 432).

5) وتؤكد روايات السيرة على أنه في الليلة التي عزم فيها النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة من مكة أمر على أن يتخلف بعده بمكة، وأن ينام في فراشه حتى يؤدي صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس من جهة وأن يوهم المتربصين بأنه مازال في بيته.. ثم خرج على المترصدين له من عصابة فتيان قريش - فلما رآهم، أخذ حفنة من تراب ألقاها عليهم من بعد فعمت أعينهم عن رؤيته، ومر عليهم كأنهم خشب مسندة.

ويفسر علم الروح ذلك بحالة المس الروحي الذي سبق الحديث عنها والتي يكون سببها اتصال روح شخص (ميت) بروح شخص (حي) من جهة، وبذلك تظهر لهذا الشخص الأخير شخصيتان متباينتان - ومن جهة أخرى يمكن للروح باتصاله بالشخص الحي، أن يؤثر فيه تأثيراً مادياً أي أن يجعله يرى ما لا يمكنه أن يراه في حالته العادية - كما حدث مع أم جميل حمالة الحطب (زوجة أبي لهب) حينما ذهبت لترمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر، وهو جالس في الحرم بجوار أبي بكر الصديق، فلم تر الرسول، ورأت أبا بكر فقط، كما

ذكرنا من قبل فالعمى أتى لها عندما تدخل الروح الماس، وصوب تأثيره نحو عينيها، أو بمعنى أدق المركز البصري في مخها وما يقال عن النظر يمكن أن يقال على السمع.. إلخ. أما حفنة التراب فأنها لا ريب ستصيب أعينهم مباشرة، بفعل الروح، أو بفعل الريح وسبحان من ما أنزل هذا الكلام..

قال تعالى:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧].

قال تعالى:{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١]،{وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} [التوبة: ٤٠].

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان خارجاً من بيته مخترقاً حصار قريش وكان الروح القدس جبريل عليه السلام في صحبته، وأحدث جبريل عليه السلام - بإذن الله تعالى - المس الروحي اللازم ليفقد عصابة قريش بصرها وسمعها حتى يمر محمد صلى الله عليه وسلم في سلام.. وظلت رزات حفنة التراب التي ألقاها صلى الله عليه وسلم في أعينهم، لتذكرهم دائماً بأنهم ممنوعون بأمر الله تعالى سواء هم أو غيرهم بإلحاق أي أذى بالرسول صلى الله عليه وسلم.

6) وتروي لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء هجرته لجأ هو وصاحبه أبي بكر الصديق رضى الله عنه إلى غار ثور، وظهر على باب الغار عش وحمامتان وبيض وعنكبوت.. إلخ لإخفاء الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه من أعين مطارديه وعدم دخولهم الغار للبحث عنه.

ويحدثنا الدكتور / محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) عن العنكبوت والحمامتان، فيقول (ووجه المعجزة فيها أن هذه الأشياء لم

تكن موجودة) وينقل عن المستشرق درمنجم رأيه: (هذه الأمور الثلاثة هي وحدها معجزة.. نسيج العنكبوت وهوى حمامة ونماء شجرة) ولكن من الغريب أن الدكتور هيكل يتحفظ على صحة حدوث هذه المعجزة ودليله في هذا فقط أنها لم ترد في سيرة ابن هشام..

ولكن في رأينا أن تواتر نقل هذه المعجزة من مصادر عديدة موثوق بها أيضاً، بل وورودها في أشعار العرب، منذ عصر حدوثها وحتى الآن.. ليؤكد يقيناً على حدوثها.

أما عن تحفظ الدكتور هيكل على حدوثها فقط لأنها لم ترد في سيرة ابن هشام، فهو تحفظ غير مقبول، وعلى أية حال فإن لحدوث هذه المعجزة تفسير في ضوء الروحية وعلم الروح الحديث فتكون العنكبوت وبناء عش به حمامتان، وبيض في مكان لم يك به شيء من هذا من قبل إنما هو ظاهرة روحية صميمة يمكن أن تحدث في وجود وسيط روحي قوي ويسميها علماء الروح بظاهرة (التجسد) ويعني هذا أنه يمكن للروح المرشد جبريل عليه السلام في هذه الحالة أن يعمل بإذن الله تعالى ومشيئته على إبطاء الذبذبات الأثيرية العالية التردد والتي كانت تمثل هذه الأشياء السابقة الذكر (العنكبوت والحمام والبيض) إلخ في الروح إلى أشياء مادية مناظرة لها، وذوات ذبذبات بطيئة تماثل ذبذبات العالم المادي الذي نحيا فيه بحيث يمكنها التأثير على حواس كفار قريش الذين جاءوا لينظروا إليها مندهشين، وإذا كان من المعلوم عند علم الروح الحديث الوارد في كتبهم وأبحاثهم وتقاريرهم أن عملية التجسد تقتضي غالباً مكاناً خفيف الإضاءة، حتى يتسنى خروج الأكتو بلازم من جسم الوسيط،

وهذا كان متوفراً عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق جالسين في الغار المظلم، هذا وقد يجدر الذكر هنا أيضاً أن عملية تجسيد كائن حي شيء معروف وشائع في علم الروح الحديث.

يقول هاري بودنجتن في مؤلفة الشهير (التجسد):

" المفروض في صفات الأكتوبلازم أنه يأخذ هيئة بشرية معينة ولو أن وسيطين قويين هما جوزريج، كلسكي كثيراً ما جسدا حيوانات مثل نسر وسنجاب وكلب ".

كما يقر أن الكائن المتجسد قد يظهر منفصلاً تمام الانفصال عن جسم الوسيط ويبدو أنه مخلوق له ذاتية المستقلة.

وقد يجدر الذكر أيضاً أن هناك تفسيراً آخر لحدوث هذه المعجزة نجده في تقارير الكثير من الدوائر الروحية في الدول المتقدمة - وهو جلب وإحضار الحمامتين والبيض، إلخ من مكان آخر بسرعة، وإن كنا نميل في رأينا إلى التفسير الأول فهو أكثر ملاءمة وأكثر سمواً..

جاء في كتاب سلفيا بربانيل (عندما يموت حيوانك)

" لقد سمعنا خلال بعض جلساتنا زقزقة طائر متجسد، وكان صوت حركة جناحية مسموعاً بوضوح وهو يطير حول الحجرة.. وأحياناً كان يأتي فيستريح قرب أحد الجالسين.. "

ونشرت صحيفة صنداي بكتوريال في نوفمبر 1938 قصة حياة الوسيطة الشهيرة مسز إستيل روبرتس وكيف أحضر روحها المرشد ردكلاود طائراً حياً في الغرفة كما حدث أيضاً أن أحضرت حمامة حية في الدائرة الروحية، ببوسطن بالولايات المتحدة أمام أحد عشر

شخصاً من المعروفين.

ونشرت صحيفة السيكك أوبرز فر في 1958/2/10 تقريراً يتضمن أنه في إحدى جلسات الوسيط الأسترالي شارل بيلي شوهدت مجلوبات ومن بين هذه كانت طيور حية وعش بيض ولقد عاشت هذه الطيور مثل الطيور العادية، كما حدث أن نمت بذرة فجأة، وأصبحت شجيرة في زهرية موضوعة في الغرفة بدون أي قوة منظورة..

وجواز حدوث أي من العمليتين التجسيد أو الجلب يعترف به علماء الروح الحديث.

يقول أيضاً هاري بورنجتن في كتابه (التجسد)

(ولو أني أعتقد أنه في معظم الحالات تأتي المادة التي تبني منها الأجسام من الوسيط والجالسين معه، بالإضافة إلى بعض العناصر التي تسحب من ملابسهم والجو أو مواد مشابهة موجودة بجوارهم، فإننا لا نستبعد عن ذاكرتنا في إمكانية نقل الجسم المتجسد من بعد).

هذا ويتفق علماء الروح على أنه في هذه الحوادث جميعهاً تقوم أرواح عالية معينة خبيرة بفن التجسد أو الجلب الروحي بدور إظهار هذه الطيور وخلافها في غرفات الجلسات الروحية، وهذه الأرواح شخصيات غير مرئية للناس، ما عدا وسطاء الجلاء البصري - ولكنها تقوم بدور فعال وتؤيد الوسيط فيما يريد إبرازه من عمل مرئي للناس يهدف إلى الخير والإيمان بوجود عالم الروح، وأن الموت ما هو إلا الانتقال من حياة إلى حياة أخرى مختلفة (البرزخ)، وسبحان من أنزل هذا الكلام{وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} [التوبة:

٤٠].

وكذلك حمي العلي القدير سبحانه وتعالى النبي محمداً صلى الله عليه وسلم من سراقة الذي ذهب وراءه يتعقبه أثناء هجرته صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق من أجل الحصول على مكافأة قريش، فغاصت أرجل فرسه ووقع من على فرسه أكثر من مرة..

وتفسير ذلك في علم الروح الحديث أنه عندما فوجئ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق بسراقه مقترباً منه دعا الرسول عليه الصلاة والسلام فعمل جبريل بتأثيره الروحي السامي على أن يضعف قوة الفرس من تحت سراقة، بإحداث روحي، وبذلك غاصت رجلاها إلى الركبتين.. فوقع سراقة من على فرسه، وربما أصاب المس أيضاً سراقة لأنه رجا الرسول أن يعفو عنه، وأن يعطيه عهداً بالأمان..

7) كما تروى كتب السيرة أنه في أحد الغزوات كان النبي جالساً تحت شجرة بعيداً عن أصحابه، وأتباعه، وقد علق سيفه فإذا بإعرابي يهجم عليه بسيفه.. فإذا النبي يصحو فجأة ويصيح لرفاقه:

(أن هذا اخترط على سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال: ما يمنعك عني؟ فقلت: الله). ولقد وجد الأعرابي نفسه عاجزاً فجأة فجلس من فرط دهشته...

ويفسر ابن إسحاق ما حدث بقوله أن جبريل دفع الأعرابي في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: من يمنعك مني؟ قال الإعرابي: لا أحد وانتهى الأمر بإسلام الإعرابي.

وفي موقعة بدر حدث نفس الشيء، حين انفرد به رجل من

المشركين رافعاً سيفه فخذله الله.

8) وتروى أيضاً أنه في موقعة أحد عندما هجم عليه أبي بن خلف منتهزاً فرصة ضعفه وإصابته صلى الله عليه وسلم بالجروح، نجده صلى الله عليه وسلم قد أصبح فجأة شخصية جديدة قوية، وصوب ضربة قاتلة لمهاجمه، فأسقطه من على حصانه، وجعله يفر مهزوماً، ويموت من أثر الضربة، وهو في طريقه إلى مكة، فما الذي حول الجريح المصاب المكدود إلى مهاجم بهذه القوه إنه حارسه جبريل، عليه السلام جاء إلى صاحبه في الوقت المناسب مأموراً من العلي القدير سبحانه وتعالى، ليحميه من القتل، وكان إعطاؤه هذه الانتفاضة وإكسابك هذه القوة الهائلة ليسدد رميته السداد المنشود.

قال تعالى:{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال: ١٧].

9) وقال ابن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: قلت: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قتل يوم أحد، اليوم أقتل محمداً، قال: فأردت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع مني (412 / صحيح السيرة / صحابة / 1748).

10) وجاء يوماً عامر بن الطفيل ومعه أربد بن ربيعة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم واتفقا على أن يعمل الأول على شغل النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام حتى يهجم عليه الثاني بالسيف، فقال عامر: يا محمد اتخذني خليلاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :{لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له}.

واستمر عامر يضيع الوقت في الكلام حتى ينفذ إربد ما اتفق عليه، ولكن إربد لم يقدم على شيء ويبست يده على السيف فلم يستطع أن يسله.

ولا جدال أننا نرى في هذه الحوادث جميعاً المقصود بها قتل النبي صلى الله عليه وسلم أن هناك قوى غير منظورة، تتدخل بأمر الله عز وجل ومشيئته في الوقت المناسب لحمايته، ولا ريب أن الروح القدس جبريل عليه السلام يقف وراء النبي بأمر الله جلا وعلا بحميه بطريقة أو بأخرى، ولو كان هناك إنسان لديه جلاء بصري واقفاً وقتذاك لرآه بجانبه، وهو يجذبه من أماكن الخطر، ويصد عنه كيد، وقذائف أعدائه، أما بشلّ يد المعتدي، أو عمى بصره أو الضرب على سمعه أو شل الحركة وعدم التوازن... إلخ.

11) وفي غزوته صلى الله عليه وسلم لبني النضير أخذ يهودي حجراً كبيراً وصعدا إلى أعلى الجدار ليسقطه فوق رأسه، فألهمه العلي القدير أن يبتعد دون أن يعلم أحد، وبحث عنه أصحابه فوجدوه في المدينة وأخبرهم بسر القصة ونزلت الآية الكريمة:

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾} [المائدة: ١١].

هذا ويمكن تفسير اختفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه هنا طبقاً لمعطيات علم الروح الحديث على أنه طرح روحي، فهو قد أخذ

بواسطة الأرواح من مكان الحادث إلى المدينة بدليل أنه لم يقل لأصحابه أنه ذاهب.

وإنما فوجئ به الناس في المدينة، وهذا الحادث الذي يشبه تماماً حادث اختفاء المسيح عليه السلام من الهيكل عندما أراد أن يضربه اليهود.

جاء في إنجيل لوقا:

" وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل أما هو فجاز في وسطهم ومضى.. "

* * *

المراجـع

القرآن الكريم

- السيرة النبوية — ابن هشام
- البداية والنهاية — ابن كثير
- صحيح البخاري — الإمام البخاري
- صحيح مسلم — الإمام مسلم

- الكتاب المقدس

- المنقذ من الضلال — الإمام الغزالي
- الروح — الإمام العلامة ابن القيم
- الطبقات — الإمام الشعراني
- الإسلام انطلاق لا جمود — مصطفى صادق الرافعي
- الإنسان الكامل — الإمام الجيلاني
- أعرف روحك — أ. د. على عبد الجليل راضي
- الابريز — أحمد بن المبارك عن إمامة الشيخ عبد العزيز الدباغ
- الطهارة الروحية — العالمة فيزا إلدر
- اكتشاف العين الثالثة — العالمة فيزا إلدر
- الاتصال الروحي — العالم هوارس ليف
- الطرح الروحي — العالم هوارس ليف
- الجنة والنار — العالم الدكتور / سويدنبرج
- العالم هنا وإلى الأبد — العالم الدكتور / أرثرولز
- ظواهر الروحية — العالم الدكتور / وليم كروماكس
- خواطري في العلوم الباطنية — الكاتب والعالم الروحي / شورزهوند
- التجسد — العالم الروحي / هاري بودنجتن
- الجسم الأثيري للأحياء — العالم / هيكتور درفيل

- العلاج المغناطيسي الحيوي — العالم / أويليد جاردنر
- العالم / برنارد بروماج
- يوجا التبت — الكاتبة د / جمار أوكونر
- أول فرعون — المستشرق جون إرفنج
- حياة محمد — المفكر / نظمي لوقا
- محمد الرسالة والرسول — الميجور تيودر بول
- الطريق الصامت — العالم الروحي هاري إدواردز
- المرشد للتدريب الوساطي

* * *

الفهـرس

* * *